طبعة جديدة
مصححة ومنقحة

لَطائِفُ المِنَن

في مناقِب الشَّيخ أبي العبّاس المُرسي وَشيخهِ الشّاذلي أبي الحسَن

تأليف

الشّيخ العارِف تاج الدّين أحمد بن محمّد بن عبد الكريم
ابن عطاء الله السّكندري
المتوفى سنة ٧٠٩ هـ

حققه
الشيخ الدكتور عاصم إبراهيم الكيالي
الحسيني الشاذلي الدرقاوي

BOOKS - PUBLISHER
كتاب ـ ناشرون

لَطَائِفُ المِنَنْ
في مَنَاقِبْ الشَّيخ أبيْ العَبَّاسْ المُرسيْ
وَشَيخهِ الشّاذلي أبي الحَسَن

تأليفْ

الشَّيخ العَارِف تَاج الدّينْ أحمدَ بنْ محمَّد بنْ عَبدالكَريمْ
ابن عَطاء الله السَّكندَريْ
المتَوفى سنَة 709 هـ

حَقّقهُ

الشَّيخ الدكتورْ عاصِم إبْراهِيم الكيَّاليْ
الحُسَيني الشّاذلي الدّرقاويْ

طبْعة جَديْدة مصحّحة ومنقّحة

BOOKS - PUBLISHER
Beirut-Lebanon بيروت - لبنان | كتاب - ناشرون

LAṬĀ’IF AL-MINAN FĪ MANĀQIB AŠ-ŠAYḪ ABĪ AL-‘ABBĀS AL-MURSĪ WA ŠAYḪIH AŠ-ŠAḎILĪ ABĪ AL-ḤASAN

لطائف المنن في مناقب الشيخ أبي العباس المرسي وشيخه الشاذلي أبي الحسن

Author: *Ibn 'Ata'ullah As-Sakandari (D.709 H.)*
Editor: *Dr. Assem Ibrahim Al-Kayyali*
Classification: *Sufism - Virtues*
Year: *1436 H. -20l5 A.D*
Edition: *First edition*
ISBN: *978-2-7451-8507-5*

المؤلف: □□□ □□□□ □□□□ □□□□□□□□□ (□ 709 □□)
المحقق: □□□□□□□□ □□□□ □□□□□□□□ □□□□□□□□
التصنيف: □□□□-□□□□□
سنة الطباعة: 1436 هـ - 2015 م
الطبعة: □□□□□□□

ISBN-13: 978-2-7451-8507-5
ISBN-10: 2-7451-8507-1

BOOKS - PUBLISHER

Beirut-Lebanon بيروت - لبنان | كتاب - ناشرون

Mazraa. Ras Nabea, Mohamad Al Hout Street,
Katerji Buildlng, First Floor, Beirut-Lebanon
Tel:+96176 944 855-P.O.Box:11- 374 Riyad Al-Soloh
E-mail: books.publlsher@hotmail.com

فهرس المحتويات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تقديم

بسم الله الرحمن الرحيم المتصف بكل كمال والمنزّه عن كل نقص كان ولم يكن شيء غيره وهو الآن على ما عليه كان والحمد لله تعالى القائل: **(لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا (21))** [الأحزاب: 21].

والصلاة والسلام على الخليفة الحقيقي والإنسان الكامل الذي كان خلقه القرآن مصداقاً لقوله تعالى: **(إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً)** [البقرة: 30]. وقوله تعالى: **(وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ (4))** [القلم: 4] وقول السيدة عائشة: "كان خُلُقه القرآن" والقرآن كلامه وكلامه صفته والصفة قائمة بالموصوف لا تنفك عنه فكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ متصفاً بصفات الله مصداقاً لقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ: "إن **لله** تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة". فهو القدوة التي نتمثل بها في التخلق بأخلاق الله تعالى مصداقاً لقوله تعالى: **(كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ (79))** [آل عمران: 79]. وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ: "إن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورثوا العلم فمن أخذه فقد أخذ بحظ وافر".

وبما أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ جاء بالدين الكامل الذي هو مجموع الإسلام والإيمان والإحسان فيكون العالم الحقيقي هو الذي ورث عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ علم الشريعة الشارح للإسلام وعلم الطريقة المبين للإيمان وعلم الحقيقة الموضح للإحسان.

وفي إطار الحديث عن هؤلاء العلماء الحقيقيين الذين ورثوا عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ العلم، نقدم للقراء الكرام كتاب (لطائف المنن في مناقب الشيخ أبي العباس تقديم المرسي وشيخه القطب أبي الحسن الشاذلي) للعارف **ب**الله تعالى تاج الدين بن عطاء الله السكندري وهو كتاب في المناقب والتراجم شريف القدر عظيم القيمة يحتوي على علم غزير وأدب كثير وفكر صوفي عميق تكلم فيه المصنف عن مناقب شيخه أبي العباس المرسي من ناحية التعريف بشخصه وفكره الصوفي وزهده وورعه ومكاشفاته وهمته وحلمه وصبره وتفسيره بعض الآيات والأحاديث وكلامه في الحقائق والمقامات وما قاله من الشعر أو قيل في حضرته وأمور أخرى كالدعاء والأحزاب والأوراد والوصايا.

كما ترجم لشيخ شيخه القطب أبي الحسن الشاذلي حيث لم يترك أيّ منهما كتاباً ولم يُعرفا بالتصنيف، لذلك لما سئل الشيخ أبو الحسن الشاذلي عن ذلك قال أصحابي هم كتبي.

هذا وقد جاء الكتاب في مقدمة وعشرة أبواب وخاتمة ذكر فيها أورادهما وجعل فصلاً ذكر فيه أدعية الشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه.

ونلفت عناية القارئ الكريم إلى أنّ هذه الطبعة من الكتاب محقّقة عن مخطوط حصلنا عليه من جامعة ميتشيغن ويقع المخطوط في 116 صفحة بقياس 227x158 (150×90) mm كتبت بخط نسخ، ويوجد 21 سطراً في الصفحة.

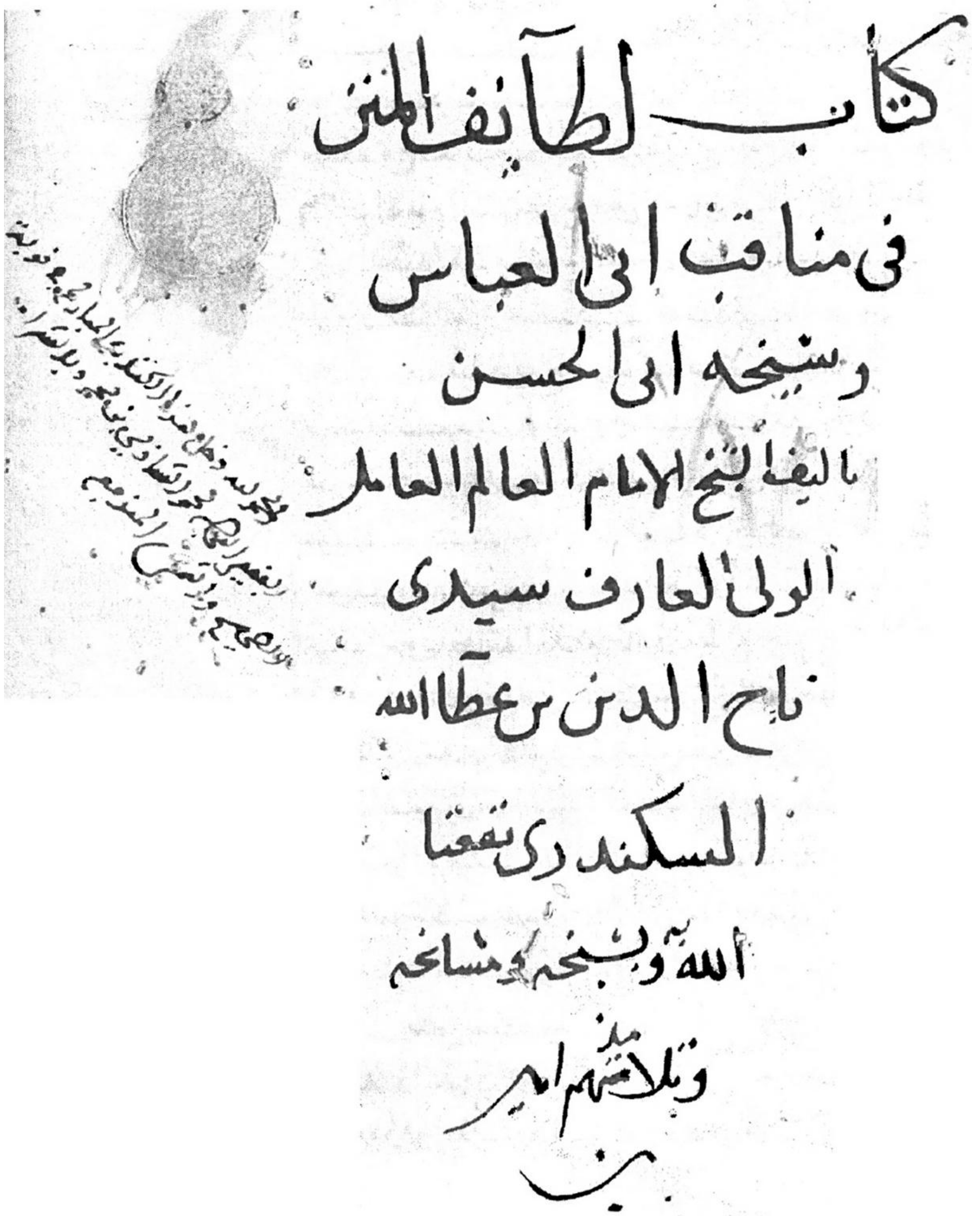
وفي الختام لا بد من الإشارة إلى أن كتب التصوف الإسلامي تساعد المُريد على الاطّلاع على الأحوال والمقامات، التي يمرّ بها السالك إلى الله تعالى، كما يطّلع على الحكم والقواعد الصوفية،

التي يستلهم منها كيفية التحقّق بأحكام مقام الإسلام وأنوار مقام الإيمان، وأسرار مقام الإحسان، وصولاً إلى قوله تعالى: **(وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ(99))** [الحجر: 99] كل ذلك بإشراف ورعاية وتربية شيخه العالم بأمراض النفوس والقلوب؛ وبالأدوية الشافية له من هذه الأمراض. لأنه ورث عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ علوم وأسرار مقامات الدين الثلاث؛ الإسلام والإيمان والإحسان؛ الشريعة والطريقة والحقيقة؛ المُلْك والملكوت والجبروت، مصداقاً لقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ: "العلماء ورثة الأنبياء". وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ: "إن هذا العلم دين فانظروا عمّن تأخذون دينكم".

ونرجو الله تعالى أن ينفعنا والمسلمين بما في هذه الكتب من الحب والإخلاص والصدق واليقين ومن أنوار أسرار ما تعبَّدنا الله به على لسان نبيّه مصداقاً لقوله تعالى: **(لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا(21))** [الأحزاب: 21]، وقوله تعالى: **(وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (4))** [النجم: 3، 4]، وقوله تعالى: **(وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا (69))** [النساء: 69] لننال السعادة الحقيقية المتمثّلة بمعرفة الله تعالى في الدنيا، والنظر إلى وجهه الكريم في الآخرة مصداقاً لقوله تعالى: **(وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (22) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ)** [القيامة: 22، 23].

كتبه الشيخ الدكتور
عاصم إبراهيم الكيالي
الحسيني الشاذلي الدرقاوي

نماذج من صور المخطوط

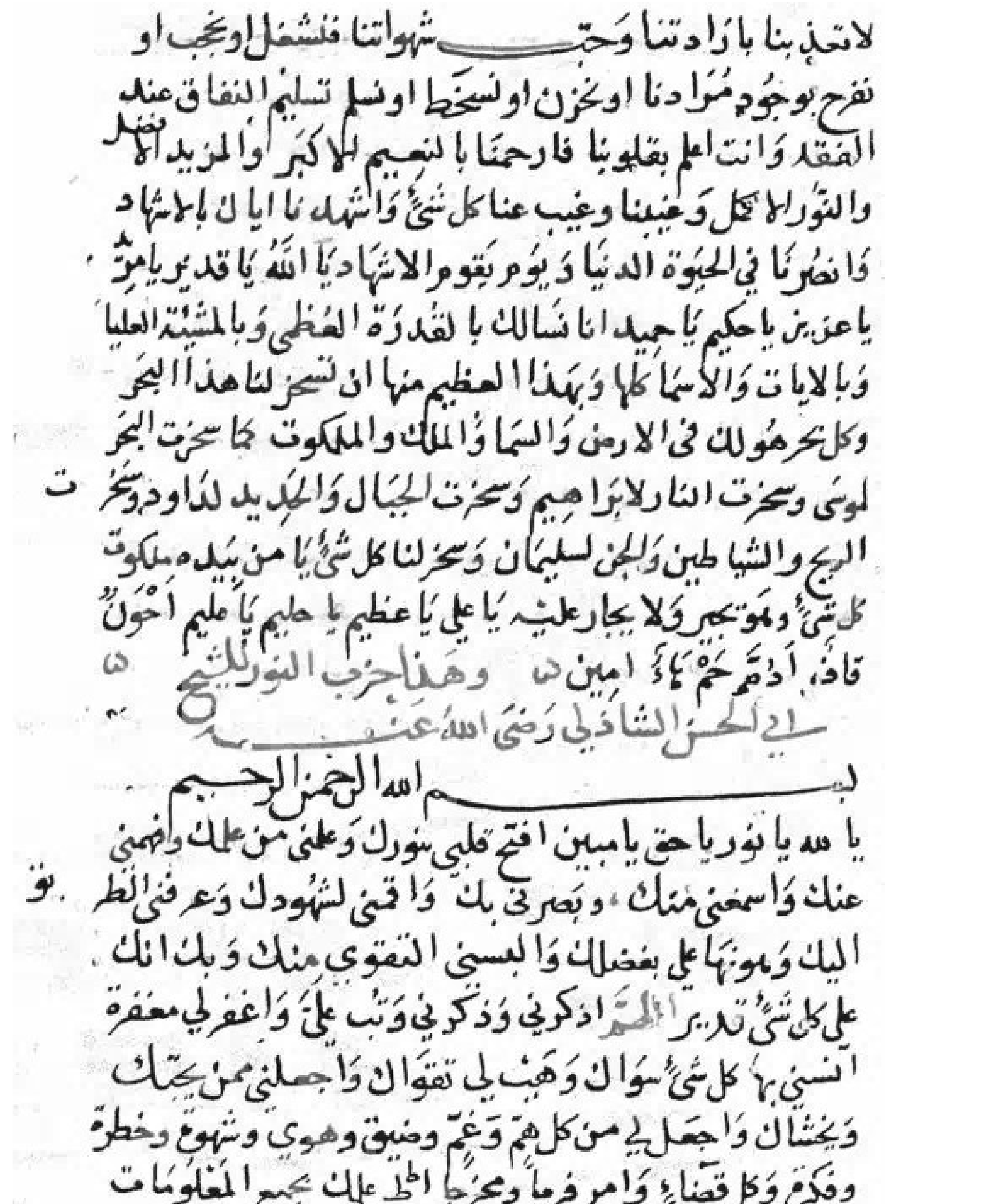


كتاب لطائف المنن
في مناقب أبي العباس
وشيخه أبي الحسن
تأليف الشيخ الإمام العالم العامل
الولي العارف سيدي
تاج الدين بن عطا الله
السكندري نفعنا
الله به وبشيخه ومشايخه
وتلامذتهم آمين

غلاف المخطوط


بسم الله الرحمن الرحيم
قال الشيخ الامام العالم العامل الولي العارف شيخ الطريقة ومعدن
الحقيقة تاج العارفين وحجة المتكلمين تاج الدين ابو العباس احمد
بن الشيخ الامام العالم العامل مفتي المسلمين فخر الدين ابي بكر محمد بن
الشيخ الفقيه الامام العالم العامل مفتي المسلمين رشيد الدين عبد
الكريم بن عطا الله الاسكندري فسح الله في مدته ونفع المسلمين ببركته
امين. الحمد لله الذي فتح لاوليائه باب محبته وانشط نفوسهم
من عقال القطعة فقاموا له بوجود خدمته وامد عقولهم بنوره
فعاينت عجايب قدرته. وحرس قلوبهم من الاغيار. ومحى منها
صور الاثار حتى ظفرت بمعرفته. كشف لارواحهم عن قدس كماله
ونعوت جلاله. فهم سبايا حضرته متع اسرارهم بقربه بخطفات جذبه
فتحققوا بشهود احديته اخذهم منهم وافناهم عنهم فغرقوا في بحر
هويته. فرق جيوش التفرقة بكتايب الجمع لاهل خصوصيته وحمى
حمى الاسرار بمداد الانوار ان تكون مظهرا لغير فردانيته. اطلع
كواكب العلوم في سما الفهوم. تهدي السايرين لحضرة ربوبيته
واقام قمر التوحيد في بيدا التفريد فانطوت الكاينات في وجود
ازليته. وما كانت معه في ازله حتى تكون معه في ابديته. بل هو
الاول الاخر بلا اضافة لبريته. والظاهر الباطن كذلك. وما
الكون حتى يقاس بقدوسيته. احمده والحمد واجب لصفات جلاله
وعظمته. واشكره والشكر مستحق له لسبوغ نعمته. وارجوه وكيف
لا ارجوه وهو الذي وسع كل شي برحمته. وعم العباد في الغيب والشهاد

صفحة المخطوط الأولى


لا تحذ بنا بإرادتنا وحجب شهواتنا فنشتغل او نعجب او
نفرح بوجود مرادنا او نحزن او نسخط او نسلم تسليم النفاق عند
الفقد وانت اعلم بقلوبنا فارحمنا بالنعيم الاكبر والمزيد الافضل
والنور الاكمل وغيبنا وغيب عنا كل شيء واشهدنا اياك بالاشهاد
وانصرنا في الحيوة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد يا الله يا قدير يا مريد
يا عزيز يا حكيم يا حميد انا نسالك بالقدرة العظمى وبالمشيئة العليا
وبالايات والاسما كلها وبهذا العظيم منها ان تسخر لنا هذا البحر
وكل بحر هو لك في الارض والسما والملك والملكوت كما سخرت البحر
لموسى وسخرت النار لابراهيم وسخرت الجبال والحديد لداود وسخرت ت
الريح والشياطين والجن لسليمان وسخر لنا كل شيء يا من بيده ملكوت
كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه يا علي يا عظيم يا حليم يا عليم احون
قاف ادم حم هاء امين ه وهذا حزب النور للشيخ
ابي الحسن الشاذلي رضي الله عنه
بسم الله الرحمن الرحيم
يا الله يا نور يا حق يا مبين افتح قلبي بنورك وعلمني من علمك وافهمني
عنك واسمعني منك وبصرني بك واقمني لشهودك وعرفني الطريق نو
اليك وهونها علي بفضلك والبسني التقوى منك وبك انك
على كل شيء قدير اللهم اذكرني وذكرني وتب علي واغفر لي مغفرة
انسيني بها كل شيء سواك وهب لي تقواك واجعلني ممن يحبك
ويخشاك واجعل لي من كل هم وغم وضيق وهوى وشهوة وخطرة
وفكرة وكل قضاء وامر فرجا ومخرجا احط علمك بجميع المعلومات

صفحة من أواخر المخطوط

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قال الشيخ الإمام العالم العامل الولي العارف شيخ الطريقة ومعدن الحقيقة تابع العارفين وحجة المتكلمين تاج الدين أبو العباس أحمد بن الشيخ الإمام العالم العامل مفتي المسلمين رشيد الدين عبد الكريم بن عطاء الله الإسكندري فسّح الله في مدته ونفع المسلمين ببركته آمين.

الحمد **لله** الذي فتح لأوليائه باب محبته، وأنشط نفوسهم من عقال القطيعة، فقاموا له بوجود خدمته، وأمد عقولهم بنوره، فعاينت عجائب قدرته، وحرس قلوبهم من الأغيار[1]، ومحا منها صور الآثار حتى ظفرت بمعرفته، كشف لأرواحهم عن قدس كماله، ونعوت وجود جلاله فهم سبايا حضرته، متع أسرارهم بقربه بخطفات جذبه، فتحققوا بشهود أحديته[2]، أخدهم منهم وأفناهم عنهم، غرقوا في بحور هويته[3]، فرق جيوش التفرقة[4] بكتائب الجمع[5] لأهل خصوصيته، وحمى حمى الأسرار بمدد الأنوار أن تكون مظهراً لغير فرديته، أطلع كواكب العلوم في سماء الفهوم تهدي السائرين لحضرة ربوبيته، وأضاء قمر التوحيد في قيد التفريد[6] فانطوت الكائنات في وجود أزليته، وما كانت معه في أزله حتى تكون معه في أبديته، بل هو الأول الآخر لا بالإضافة لبريته، والظاهر الباطن كذلك، وما الكون حتى يقاس بقدوسيته.

أحمده والحمد واجب لصفات جلاله وعظمته، وأشكره والشكر مستحق له لسبوغ نعمته، وأرجوه وكيف لا أرجوه وهو الذي وسع كل شيء برحمته، وغمر العباد في الغيب والشهادة بطوائل[7] منته، وأعترف له بالتقصير عن القيام بحقوق أحديته، واعلم أنه لا يحاط بذاته وصفته، ليس للعبد منه إلا ما مَنَّ به عليه، ولا يضاف له من المحاسن إلا ما أضافه إليه، ولا ينتصر في المصادر والموارد إلا بالتوكل عليه، العزيز، القادر، الحكيم، القاهر، الرقيب على فعل كل فاعل، ونظر كل ناظر لا يخفى عليه ما في الضمائر، ولا يعزب عن علمه مستكنات السرائر، أظهر في ملكه حكمته وفي ملكوته قدرته، وتعرف لكل شيء، ولا شيء يجحد ربوبيته، **(أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ(54))** [الأعراف: 54].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وكل شيء يشهد بأحديته في ألوهيته... وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، المصطفى من خليقته، المشهود له في الغيب والشهادة بكمال خصوصيته القائم لمولاه بكمال الوفاء في عبوديته، صلى الله عليه وعلى آله وصحابته، صلاة تدوم بدوام أبديته وسلم تسليماً كثيراً...

أمّا بعد:

فإنّي قصدت في هذا الكتاب أن أذكر فيه جملاً من فضائل سيدنا ومولانا الإمام قطب العارفين، علم المهتدين، حجة الصوفية، مرشد السالكين، منقذ الهالكين، الجامع من علم الأسماء والحروف والدوائر، المتكلم بنور بصيرته الكاملة في السرائر، كهف الموقنين، ونخبة الواصلين، مظهر شموس المعارف بعد غروبها، ومبدي أسرار اللطائف بعد غروبها، الواصل إلى الله والموصل إليه شهاب الدين أبو العباس أحمد بن عمر الأنصاري المرسي أسكنه الله تعالى حضيرة قدسه، ومتعه على ممر الساعات بموارد أنسه، وأذكر شيخه الذي أخذ عنه ومنازلاته التي نقلت عنه وسمعتها منه، وكراماته، وعلومه، وأسراره، ومعاملاته مع الله سبحانه وتعالى، وما قاله في تفسير آية من كلام الله عز وجل، وإظهار لمعنى خبر نقل عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ وكلام على

حقيقته نقلت عن أحد من أهل الطريق، وأشكل معناها ولم يفهم مغزاها، وما نقله عن شيخه الشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله تعالى عنه، وما قاله هو من الشعر أو قيل بحضرته، أو قيل فيه مما يتضمن ذكر الطريق وأهلها، وأنقل ما يمكن إثباته من أخباره كثيرها وقليلها.

وكان أصحاب الشيخ الإمام القطب الجامع "أبي الحسن" قدس الله روحه قد أثبتوا جملاً من كلامه، وإن كان هو رضي الله تعالى عنه لم يضع كتاباً. وقد بلغني عنه أنه قيل له: يا سيدي لم لا تضع الكتب في الدلالة على الله تعالى، وعلوم القوم؟ فقال رضي الله تعالى عنه: (كتبي أصحابي) وكذلك شيخنا "أبو العباس" رضي الله تعالى عنه لم يضع في هذا الشأن شيئاً، والسبب في ذلك أن علوم هذه الطائفة علوم التحقيق، وهي لا تحتملها عقول عموم الخلق.

ولقد سمعت شيخنا أبا العباس رضي الله تعالى عنه يقول: جميع ما في كتب القوم، غبرات من سواحل بحر التحقيق، ولا أعلم أن أحداً من أصحاب شيخنا، أبي العباس رضي الله تعالى عنه تصدى إلى جمع كلامه، وذكر مناقبه وأسرار علومه وغرائبه، فجذبني ذلك إلى وضح هذا الكتاب، بعد أن استخرت الله تعالى، وطلبت منه المعونة، وهو خير معين، وسألته أن يهديني إلى الطريق المستبين.

وقسمته إلى مقدمة، وعشرة أبواب وخاتمة.

أمّا المقدمة: فتشتمل على إقامة الدليل على أن نبينا محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ أفضل بني آدم، بل أفضل البشر بل أفضل الخلق كافة، وأفردت كل مقام بإقامة الدلالة عليه من كتاب الله تعالى وسُنّة نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ، وبينت أن مدد الأولياء من الحقيقة المحمدية، وأن الأولياء إنما هم مظاهر أنوار النبوة ومطالع شوارقها، وأعلمت أن أنوار الولاية دائمة الثبوت، للزوم دوام أنوار النبوة، وذكرت الفرق بين الرسالة والنبوة والولاية، وبينت من هو أولى بالميراث في قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ: **"العلماء ورثة الأنبياء"**[8] وبينت ما هو العلم الذي أثنى الله تعالى عليه، ومن هم العلماء الذين هم أولى بالزلفى لديه، وبينت أو الأولياء الظاهرين في أوقات الظلمة أولى بأن يكثر الله أنوارهم، ويجزل لهم من وجوه اليقين ما يوجب انتصارهم، ليدافعوا ظلمة الأوقات، وليهزموا بعساكر أنوارهم جيوش الغفلات. وذكرت أقسام الولاية، وغزارة قدر الولي، وفخامة رتبته وشفوف منزلته مما تضمنه الكتاب العزيز والأحاديث النبوية، ليكون ذلك توطئة لك بتصديق ما يرد عليك من أخبار أوليائه، وكرامات أصفيائه.

وأمّا الأبواب:

فالباب الأول: في التعريف بشيخه الذي أخذ عنه هذا الشأن، وشهادة من عناصره من العلماء الأعيان أنه قطب الزمان والحامل في وقته لواء أهل العيان.

الباب الثاني: في شهادة الشيخ له أنه الوارث للمقام، والحائز قصب السبق بالتمام وإخباره هو عن نفسه بما منَّ به عليه من النعم الجِسام وشهادة الأولياء له أنه بلغ من الوصول إلى الله لأفضل مرام.

الباب الثالث: في مجرباته ومنازلاته، وما اتفق لأصحابه معه، ومكاشفاته.

الباب الرابع: في علمه، وزهده، وورعه، ورفع همته، وحلمه، وصبره، وسداد طريقته.

الباب الخامس: في آيات من كتاب الله تبارك وتعالى تكلم على تبيين معناها وإظهار فحواها.

الباب السادس: فيما فسره من الأحاديث النبوية، وإبداء اسرار فيها على مذاهب أهل الخصوصية[9].

الباب السابع: في تفسيره لما أشكل من كلام أهل الحقائق[10]، وحمله لذلك على أجمل الطرائق.

الباب الثامن: في كلامه في الحقائق، والمقامات، وكشفه فيها الأمور المعضلات.

الباب التاسع: فيما قاله من الشعر أو قيل بحضرته، أو قيل فيه مما يتضمن ذكر خصوصيته.

الباب العاشر: في ذكره ودعائه عقيب كلامه، وحزبه الذي رتبه للآخذين من علومه، وأفهامه، ولوازم ذلك من ذكر شيخه أبي الحسن وحزبيه، ليتم العقد بنظامه.

أما الخاتمة: ففي اتصال نسبتنا إليه ووصايا نثراً ونظماً تنهض إلى الله، وتجمع عليه، وهي آخر الكتاب وليس كل شيء سمعته من الشيخ رضي الله تعالى عنه. استحضرته وقت وضعي لهذا الكتاب، ولا كل شيء استحضرته، يمكن إثباته. وقصدت بذلك أن تنتفع به هذه الطائفة خصوصاً، وغيرهم عموماً، ليؤمن بأحوال هذه الطائفة مَنْ قَسَم الله له نصيباً من المنّة، وجعل في قلبه نوراً من الهدايا، وليرجع المكذب إلى الاعتراف، والمكابر إلى وجود الإنصاف وليستبين لمن أراد الله تعالى به الهدى والمحجة، وتقوم على من لم تنصره عناية الله تعالى الحجة فيكون للمصدق بتصديقه لهذه الطائفة نصيب من الولاية قسطا من العناية.

وقد قال الجنيد رضي الله تعالى عنه:

"التصديق بعلمنا هذا ولاية، وإذا فاتتك المنة في نفسك، فلا يفتك أن تصدق بها في غيرك، فإن لم يصبها وابل فطل".

وقد قال بعض العارفين:

"التصديق بالفتح لا يكون إلا بفتح". ومصداق ما قال هذا العارف قول الله سبحانه وتعالى: **(وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ(40))** [النور: 40] وقال سبحانه وتعالى: **(وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ(55))** [الذاريات: 55]، وقال: **(إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ(37))** [ق: 37] وقال: **(إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ)** [الرعد: 19] و[الزمر: 9].

وإذا أراد الله بعبد خيراً جعله من المصدقين لأوليائه تعالى فيما جاؤوا به وإن قصر عقله عن إدراك ذلك فمن أين يجب أن لا يهب الله تعالى لأوليائه إلا ما تسعه عقول العباد؟ وقد قالوا: يخشى على المكذب لهم سوء الخاتمة.

وقد قال أبو تراب النخشي: من لم يصدق بهذه الكرامات فقد كفر... أي غطّى عليه الأمر وستر عنه شهود قدرة الله تعالى جعلنا الله وإياك من المعترفين بفضله في عباده، ومن المصدقين بآثار عنايته في أهل وداده. إنه ولي ذلك، والقادر عليه، ولم أخل الكتاب من الكلام على الشيء المشكل، وحل الأمر المعضل، والتنبيه على أمور جليلة، وإظهار أسرار أبصار من لم يؤمن بهذه الطائفة عنها كليلة، فالله سبحانه وتعالى يجعل ذلك لوجهه خالصاً، ومن أوحال القطيعة مخلصاً، وأن يمنّ علينا بالصدق في الأقوال والأفعال والأحوال، وأن يجعلنا من العارفين به في الحال، والمآل، وأن يتفضّل علينا بالفهم عنه، وحسن الاستماع منه إنه الإله القدير وبالإجابة جدير وسميته: **(لطائف المنن في مناقب الشيخ أبي العباس وشيخه أبي الحسن).**

وهذا أوان ابتدائي بما قصدت، وإظهار ما أردت، وبالله أستعين، وعليه أتوكل وإليه بجاه سيد المرسلين أتوسل، وهو حسبي ونِعم الوكيل.

المقدّمة

أمّا المقدّمة

فاعلم أن الله سبحانه وتعالى لما أراد إتمام عموم نعمته، وإفاضة فيض رحمته واقتضى فضله العظيم، أن يمنّ على العباد بوجود معرفته، وعلم سبحانه وتعالى عجز عقول عموم العباد عن التلقي من ربوبيته، جعل الأنبياء والرسل لهم الاستعداد التام لقبول ما يرد من إلهيته، يتلقون منه بما أودع فيهم من سر خصوصيته، ويلقون عنه جمعاً للعباد على أحديته، فهم برازخ الأنوار، ومعادن الأسرار، رحمة مهداة، وَمَنِّه مصفاة، حرر أسرارهم في أزله من رق الأغيار، وصانهم بوجود عنايته من الركون إلى الآثار، لا يحبون إلا إيّاه، ولا يعبدون رباً سواه؛ يلقي الروح من أمره عليهم، ويواصل الأمداد بالتأييد إليهم، وما زال فلك النبوة والرسالة دائراً إلى أن عاد الأمر من حيث الابتداء، وختم بمن له كمال الاصطفاء، وهو نبينا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ هو السيد الكامل، القائم الفاتح، الخاتم نور الأنوار وسر الأسرار، والمبجّل في هذه الدار، وفي تلك الدار على المخلوقات، أعلى المخلوقات مناراً؛ وأتممهم فخاراً دلَ على ذلك الكتاب المبين، قال الله سبحانه: **(وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ(107))** [الأنبياء: 107]. ومن رحم به غيره فهو أفضل من غيره، والعالم كل موجود سوى الله تعالى.

وأما تفضيله على بني آدم خصوصاً فمن قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ: **"أنا سيد ولد آدم ولا فخر"**[11].

وأما تفضيله على آدم عليه السلام فمن قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ: **"كنت نبيّاً وآدم بيْن الماءِ والطين"**[12].

ومن قوله: "آدم فمن دونه من الأنبياء يوم القيامة تحت لوائي"[13]. وقوله: "أنا أول شافع وأنا أول مشفّع وأنا أول من تنشق الأرض عنه"[14].

وحديث الشفاعة المشهور الذي أخبرنا به الشيخ الإمام الحافظ، بقية المحدثين شرف الدين أبو محمد عبد المؤمن بن خلف بن أبي الحسن الدمياطي، بقراءتي عليه أو قرئ عليه وأنا أسمع قال: أخبرنا الشيخان الإمام فخر الدين، وفخر القضاة أبو الفضل أحمد بن عبد العزيز الجبَّاب التميمي، وأبو التقي صالح بن شجاع بن سيدهم المدلجي الكناني، قالا: أخبرنا الشريف أبو المفاخر سعيد بن الحسين بن محمد بن سعيد العبّاسي المأموني قال: أخبرنا أبو عبد الله الفراوي قال: أخبرنا عبد الغافر الفارسي قال: أخبرنا أبو أحمد محمد بن عيسى بن عمروية الجلودي، قال: أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن سفيان الفقيه، قال: حدثنا أبو الحسين مسلم ابن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري قال: حدثنا أبو الربيع العتكي، قال: حدثنا حماد بن زيد، قال حدثنا معبد بن هلال العنزي، وحدثنا سعيد بن منصور واللفظ له قال: حدثنا حماد بن زيد، قال: حدثنا معبد بن هلال الغنوي، قال انطلقنا إلى أنس بن مالك، وتشفعنا بثابت، فانتهينا إليه وهو يصلي الضحى، فاستأذن لنا ثابت، فدخلنا عليه وأجلس ثابتاً معه على سريره، فقال له: يا أبا حمزة إن إخوانك من أهل البصرة يسألونك أن تحدثهم حديث الشفاعة؟...

قال: حدثنا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ قال: "إذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم إلى بعض، فيأتون آدم عليه السلام فيقولون اشفع لذريتك، فيقول: لست لها، ولكن عليكمبإبراهيم عليه السلام،

فإنه خليل الله، فيأتون إبراهيم عليه السلام، فيقول: لست لها ولكن عليكم بموسى عليه السلام فإنه كليم الله، فيأتون موسى فيقول: لست لها ولكن عليكم بعيسى عليه السلام، فإنه روح الله وكلمته فيأتون عيسى عليه السلام فيقول: لست لها ولكن عليكم بمحمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ، فيأتوني فأقول: أنا لها فأنطلق فأستأذن على ربي فيؤذن لي فأقوم بين يديه فأحمده بمحامد لا أقدر عليه إلا أن يلهمنيه الله عزّ وجلّ ثم أخرّ له ساجداً، فيقال لي يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعطه، واشفع تُشفَّع، فأقول: أمتي، فيقال: انطلق، فمن كان في قلبه مثقال حبّة من بُرّة أو شعيرة من إيمان فأخرجه منها فأنطلق فأفعل ثم أرجِعُ إلى ربي فأحمده بتلك المحامد ثم أخرّ له ساجداً فيقال لي يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعط واشفع تُشفَّع، فأقول: أمتي أمّتي فيقال: انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبَّة من خردل من إيمان فأخرجه منها، فأنطلق فأفعل ثم أعود إلى ربي فأحمده بتلك المحامد ثم أخرُّ له ساجداً فيقال لي يا محمد ارفع راسك وقل يسمع لك وسل تعطه واشفع تُشفَّع، فأقول: يا رب أمّتي أمّتي فيقال لي انطلق فمن كان في قلبه أدنى أدنى أدنى من مثقال حبَّة من خردل من الإيمان فأخرجه من النار، فأنطلق فأفعل"[15].

هذا حديث أنس الذي أنبأنا به فخرجنا من عنده، فلما كنا بظهر الجبانة قلنا: لو دخلنا إلى الحسن نسلم عليه، وهو مستخف في دار أبي خليفة، قال فدخلنا وسلمنا عليه، ملنا له: يا أبا سعيد خرجنا من عند أخيك أبي حمزة فلم نسمع بمثل حديث حدثنا به في الشفاعة قال: هيه فحدثناه الحديث فقال: هيه قلنا: ما زادنا قال: قد حدثنا به منذ عشرين سنة وهو يومئذ جمع، ولقد ترك شيئاً ما أدري أنسي الشيخ أم كره أن يحدثكم به قلنا له: حدثنا، فضحك وقال: خلق الإنسان في عجل، ما ذكرت لكم هذا إلا وأنا أريد أن أحدثكموه ثم قال: "أرجع إلى ربي في الرابعة فأحمده بتلك المحامد فأخر له ساجداً فيقول لي يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعط واشفع تشفع فأقول يا رب ائذن لي فيمن قال لا إله إلا الله قال: ليس ذلك إليك ولكن وعزتي وكبريائي وعظمتي لأخرجن من النار من قال لا إله إلا الله فأشهد على الحسن أنه حدثنا به أنه سمع أنس بن مالك قرأه قبل عشرين سنة وهو يومئذ جميع... فانظر رحمك الله ما تضمنه هذا الحديث من فخامة قدره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ وجلالة أمره وأن أكابر الرسل والأنبياء لم ينازعوه في هذه الرتبة التي هي مختصة به وهي الشفاعة العامة في كل من ضمه المحشر.

فإن قلت فما بال آدم أحال على نوح ودل نوح على إبراهيم وإبراهيم على موسى وموسى على عيسى وعيسى على محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ ولم تكن الدلالة على محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ من الأول.

فاعلم: أنه لو وقعت الدلالة على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ من الأول لم يتبين من هذا الحديث أن غيره لا يكون له هذه الرتبة فأراد الله سبحانه وتعالى أن يدل كل واحد على من بعده، كل واحد يقول: لست لها مسلماً للرتبة غير مدع لها حتى أتوا عيسى عليه السلام فدل على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ فقال: أنا لها... وفي الحديث من الفوائد أن الإيمان يزيد وينقص، وفيه من الفوائد أن الإيمان يزيد وينقص وفيه أن المعارف لا تتناهى لقوله: **"لا أقدر عليه إلا أن يلهمنيه الله عز وجل"**[16] ويشهد له قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ: **"ولا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك"**[17] ويشهد له قوله سبحانه وتعالى: **(وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ**

عِلْمًا(110)) [طه: 110] إلى غير ذلك من الفوائد التي لو تكلمنا عليها خرجنا عن غرض الكتاب...

ولقد سمعت شيخنا أبا العباس رضي الله عنه يقول: جميع الأنبياء خلقوا من الرحمة، ونبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ هو عين الرحمة قال الله سبحانه وتعالى: **(وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (107))** [الأنبياء: 107] صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ وشرّف وكرّم فدعا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ إلى الله تعالى بالبصيرة الواضحة، والبينة الفائقة، وقرَّب المدارك، وبيَّن المسالك، وحثَّ على سلوك سبيل الهدى، واجتناب سبيل الردى، فما ترك شيئاً يقرب من الله إلَّا ودعا إليه، ولا أدباً يصلح أن يكون العبد به مع الله تعالى إلَّا حثَّ عليه ولا شيئاً يشغل عن الله تعالى إلَّا حذّر العباد منه، ولا عملاً يقطعهم عن الله تعالى، إلَّا وأخرجهم عنه. لا يألوا نصحاً في تخليص العباد من أوحال القطيعة ومواطن الهلكة إلى أن ترجَّل ليل الشرك وانقضت أغباره وأضاء نهار الإيمان، وأشرقت أنواره فرفع صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ من الدين لواءه وتمَّم نظامه وقرر فرائضه وأحكامه، وبيَّن حلاله وحرامه. وكما بيَّن للعباد الأحكام كذلك فتح لهم باب الأفهام حتى قال الراوي: لقد تركنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ وإن الطير ليتحرك في السماء فنستفيد منه علماً بحق. قال الله تعالى: **(لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ)** [البقرة: 256]، وقال سبحانه وتعالى: **(الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًاۚ)** [المائدة: 3].

وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ: **"تركتكم على البيضاء النقية"**[18] فجزاه الله خير ما يجزي نبياً عن أمته". ولما أكمل صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ البيان لسبيل الرشاد وأظهر المسالك الموصلة إلى الله تعالى للعباد، توفاه الله تعالى إلى الدار التي هي خير له وأولى بعد أن خُيِّر فاختار الرفيق الأعلى، ثم جعل الله تعالى الدعاة في أمته أبداً ودائماً سرمداً بما ورثوا منه وأخذوا عنه وقد شهد لهم الحق بذلك وجعلهم أهلاً لما هنالك.

قال سبحانه وتعالى: **(قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِيۖ)** [يوسف: 108].

قال الشيخ أبو العباس رضي الله تعالى عنه: أي معاينة تعين سبيل كل أحد من الأتباع فتحمله عليها ودليل ما قال الشيخ رضي الله عنه اختلاف وصاياه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ لأصحابه على حسب اختلاف سبيلهم. فقال لبلال رضي الله تعالى عنه: **"أنفق بلالاً ولا تخشى من ذي العرش إقلالاً"**[19].

وقال لآخر أراد أن ينخلع عن ماله كله: **"أمسك عليك مالك فإنك إن تدع ورثتك أغنياء خير لك من أن تدعهم عالة يتكففون الناس"**[20].

وقال رجل: أوصني، فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ: **"استح من الله كما تستحي من رجل صالح من قومك"**[21].

وقال آخر: أوصني، فقال له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ: **"لا تغضب"**[22].

وسمعت شيخنا أبا العباس يقول: "فتح الحق سبحانه وتعالى بقوله: **(وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۖ)** [يوسف: 108] باب البصائر للأتباع" يريد الشيخ أن قول الله سبحانه وتعالى: **(قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو**

إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۖ) [يوسف: 108]، أي ومن اتبعني يدعو إلى الله على بصيرة على ما يقتضيه اللسان لأنك إذا قلت زيد يدعو إلى السلطان على نصيحة هو وأتباعه أي وأتباعه يدعو إليه على نصيحة إذا ثبت هذا فالرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ يدعو على بصيرة الرسالة الكاملة والأولياء يدعون على حسب بصائرهم قطبانية وصديقية وولاية وقد قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ: **"العلماء ورثة الأنبياء"**[23].

وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ: **"فإن الأنبياء لا يورثون ديناراً ولا درهماً وإنما يورثون العلم"**[24].

وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ: **"علماء أمّتي كأنبياء بني إسرائيل"**[25]، وها هنا نكتة وهو أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ لم يقل علماء أمتي كرسل بني إسرائيل فمن الناس من ظنّ أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ هو الذي نبئ في نفسه والرسول هو الذي أرسل لغيره وليس الأمر كما ظن هذا القائل وإن كان كذلك فلماذا خصّ الأنبياء دون الرسل بالذكر في قوله: **"علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل"** ومما يدلك على بطلان هذا المذهب، قوله سبحانه وتعالى: **(وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ)** [الحج: 52]، فدل على أن حكم الإرسال يعمهما وإنما الفرق ما قال بعض أهل العلم أن النبي لا يأتي بشريعة جديدة، وإنما يجيء مقرراً لشرع من كان قبله. كيوشع بن نون فإنه إنما أتى مقرراً لشريعة موسى عليه السلام وآمراً بالعمل بما في التوراة ولم يأت بشرع جديد والرسول كموسى عليه السلام إنما أتى بشرع جديد وهو ما تضمنته التوراة فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ: **"علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل"** أي: يؤتون مقررين ومؤكدين وآمرين بما جئت به لا أنهم يأتون بشرع جديد.

إعلام وبيان: اعلم أن قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ: **"العلماء ورثة الأنبياء" "علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل" فإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً إنما ورثوا العلم"** إلا أن **"الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالم ومُتعلم" "وإنّ الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم".**

وقوله سبحانه وتعالى: **(شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ)** [آل عمران: 18].

وقال الذين أوتوا العلم: **(بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ۚ)** [العنكبوت: 49] وحيثما وقع العلم في كلام الله تعالى وكلام رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ فإنما المراد به العلم النافع المخمل للهوى القامع الذي تكتنفه الخشية وتكون معه الإنابة قال الله سبحانه وتعالى: **(إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ۗ)** [فاطر: 28]، فلم يجعل علم من لم يخشه من العلماء علماً وقال داود عليه السلام: يا رب ما علم من لم يخشك وما خشيك من لم يطع أمرك فشاهد العلم الذي هو مطلوب الله الخشية **لله** وشاهد الخشية موافقة الأمر ما علم تكون معه الرغبة في الدنيا والتملك لأربابها وصرف الهمة إلى اكتسابها والجمع والادخار والمباهاة والاستكثار وطول الأمل ونسيان الآخرة فما أبعد من هذا العلم علمه من أن يكون من ورثة الأنبياء وهل ينتقل الشيء الموروث إلى الوارث إلا بالصفة التي كان بها عند الموروث عنه ومثل من هذه الأوصاف أوصافه من العلماء كمثل الشمعة تضيء على غيرها وهي تحرق نفسها جعل الله العلم الذي علمه من هذا وصفه حجة عليه وسبباً في تكثير العقوبة لديه لا يغرنك أن يكون به انتفاع للبادي

والحاضر. فقد قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ: "**إن** الله تعالى **ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر**"[26].

ومثل من يتعلّم العلم لاكتساب الدنيا وتحصيل الرفعة فيها كمثل من رفع العذرة بملعقة من ياقوت فما أشرف الوسيلة وما أحسن المتوسل إليه ومثل من قطع الأوقات في طلب العلم فمكث أربعين سنة أو خمسين سنة يتعلم العلم ولا يعمل به كمثل من قعد هذه المدة يتطهر ويجدد الطهارة ولم يصل صلاة واحدة إذ مقصود العلم العمل كما أن المقصود بالطهارة وجود الصلاة وقد سأل رجل الحسن البصري عن مسألة فأفتاه فيها فقال الرجل للحسن: "وقد خالفك الفقهاء"، فزجره الحسن وقال: "ويحك وهل رأيت فقيهاً إنما الفقيه من فقه عن الله أمره ونهيه".

وسمعت شيخنا أبا العباس رضي الله تعالى عنه يقول: الفقيه من انفقأ الحجاب عن عيني قلبه وإذ قد عرفت أن الدعاء إلى الله لا يزال أبداً فاعلم أن الأنوار الظاهرة في أولياء الله إنما هي من إشراق أنوار النبوة عليهم. فمثل الحقيقة المحمدية، كالشمس وأنوار قلوب الأولياء، كالأقمار وإنما أضاء القمر لظهور نور الشمس فيه ومقابلته إياها فإذا الشمس منيرة نهاراً ومضيئة ليلاً لظهور نورها في القمر الممدود منها فإذا هي لا غروب لها فقد فهمت من هذا أنه يجب دوام أنوار الأولياء لدوام ظهور نور رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ فيهم.

فالأولياء آيات الله يتلوها على عباده بإظهاره إياهم واحداً بعد واحد، تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق.

وقد سمعت شيخنا أبا العباس رضي الله تعالى عنه يقول في قوله عز وجل: **(۞ مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَآ)** [البقرة: 106]، أي ما من ولي **لله** إلا ونأتي بخير منه أو مثله وقد سئل بعض العارفين عن أولياء الله أينقصون في زمن فقال: لو نقص منهم واحد ما أرسلت السماء قطرها ولا أبرزت الأرض نباتها وفساد الوقت لا يكون بذهاب أعدادهم ولا بنقص إمدادهم ولكن إذا فسد الوقت كان من مراد الله سبحانه وتعالى وقوع اختفائهم مع وجود بقائهم فإذا كان أهل الزمن معرضين عن الله تعالى مؤثرين لما سوى الله تعالى لا تنجح فيهم الموعظة ولا تميلهم إلى الله التذكرة لم يكونوا أهلاً لظهور أولياء الله فيهم ولذا قالوا أولياء الله تعالى عرائس ولا يرى العرائس المجرمون وقد قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ: "**لا تؤتوا الحكمة غير أهلها فتظلموها ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم**"[27] فإذا كان الله سبحانه وتعالى وصانا على لسان نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ لا تؤتى الحكمة غير أهلها فهو أولى بهذا الخلق العظيم منا وقد قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ: "إذا رأيت هوى متبعاً وشحاً مطاعاً ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بخويصة نفسك"[28]** فسمعوا وصية رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ فآثروا الخفاء بل آثر الله لهم ذلك مع أنه لا بد أن يكون منهم في الوقت أئمة ظاهرون قائمون بالحجة مالكون المحجة لقول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ: "**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من ناوأهم إلى قيام الساعة**"[29].

وقد قال علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه من مخاطبته لكميل بن زياد: "اللهم لا تخل الأرض من قائم لك بحجتك أولئك الأقلون عدداً الأعظمون عند الله قدراً قلوبهم معلقة بالمحل الأعلى أولئك خلفاء الله في عباده وبلاده واشوقاه إلى رؤيتهم".

وروى الإمام الربَّاني محمد بن علي الترمذي رضي الله تعالى عنه في كتاب الختم له يرفعه إلى ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: "قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ **أمتي كالمطر لا يدري أوله خير أم آخره**"[30]***.
وروى أيضاً يرفعه إلى أبي الدرداء قال: "قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ **خير أمّتي أولها وآخرها وفي أوسطها الكدر**".
وروى أيضاً يرفعه إلى عبد الرحمن بن سبرة قال: "جئت مبشراً من غزوة مؤتة فلما ذكرت قتل جعفر وزيد بن رواحة ومن معه بكى أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ فقال عليه الصلاة والسلام: **"ما يبكيكم"**[31] فقالوا: **وما لنا لا نبكي وقد قتل خيارنا وأشرافنا وأهل الفضل منا؟ فقال عليه السلام: "لا تبكوا! إنما مثل أمتي مثل حديقة قام عليها صاحبها فاجتلب رواكيها وهيَّأ مسالكها وجلق[32]* سعفها فأطعمت عاماً فوجاً ثم عاماً فوجا فلعل آخرها طعماً يكون أجودها قنواناً[33]** وأطولها شمراخاً[34]*** والذي بعثني بالحق ليتخذن ابن مريم من أمتي خلفاء من حواريه"**[35].
وروى أيضاً يرفعه إلى سهل بن سعد قال: "قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ **إن في أصلاب أصلاب رجال من أصحابي رجالاً ونساء يدخلون الجنة بغير حساب ثم تلا**[36]: **(وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ(3))** [الجمعة: 3]، الآية. **(ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ(4))** [الجمعة: 4].
وروى أيضاً يرفعه إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ أنه قال: **"في كل قرن من أمتي سابقون"**.
واعلم: جعلك الله من خاصة عباده وعرفك لطائف وداده أنه سواء منهم الظاهر والخفي والصديق والولي فساد الوقت لا يكدر أنوارهم ولا يحطُّ مقدارهم لأنهم مع المؤقِّت لا مع الأوقات فمن كان مع المؤقِّت لا يتغير بتغيير الوقت شيئاً ومن كان مع الوقت تغير بتغييره وتكدر بتكدره.
وقال قال الإمام أبو عبد الله الترمذي رضي الله عنه: "الناس صنفان، فصنف منهم عمّال الله تعالى يعبدونه على البر والتقوى فهم محتاجون إلى خير الزمان وإقبال دولة الحق لأن تأيدهم من ذلك، وصنف منهم أهل اليقين يعبدون الله على صفاء ووفاء التوحيد عن كشف الغطاء وقطع الأسباب فهم غير ملتفتين إلى إقبال الزمان وإدباره ولا يضرهم إدبار"، وهو قول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ: **"إن لله عباداً يغذوهم برحمته يحييهم في عافيته ثم تمر بهم الفتن كقطع الليل المظلم لا تضرهم"**[37].
وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ: **"يكون في أمتي فتن لا ينجو منها إلا من أحياه الله بالعلم"**[38]، قال الترمذي: "يعني بالعلم بالله فيما ترى".
ولقد سمعت شيخنا أبا العباس رضي الله تعالى عنه يقول: "رجال الليل هم الرجال وإن أولياء هذا الوقت ليؤيدون بشي من الغنى واليقين فالغنى لكثرة ما عند الناس من الإفلاس، واليقين لكثرة ما عند الناس من الشكوك، وقال بعض العارفين إن **لله** عباداً كلما اشتدت عليهم ظلمة الوقت كلما قويت أنوار قلوبهم فمثلهم كمثل الكواكب كلما قويت ظلمة الليل قوي إشراقها وأين أنوار الكواكب

من أنوار قلوب أوليائه. وأنوار الكواكب من أنوار قلوب أوليائه. أنوار الكواكب تنكدر وأنوار قلوب الأولياء لا انكدار لها، وأنوار الكواكب تهدي إلى الدنيا وأنوار قلوب أوليائه تهدي إلى الله. ولنا في هذا المعنى شعر:

أَمُر تَقِب النجومَ مِنَ السّماء نجوم الأرض أبهى في الضياءِ

فتــلكَ تبــينُ وقتاً ثمَّ تخفىَ وهــذي لا تكَــدَّر بالخــفـــاءِ

هداية تلك في ظُلَمِ الـليالي هداية هـذه كـــشفُ الغطــاءِ

وقال صوفي يوماً بحضرة فقيه: "إن **لله** عباداً هم في أوقات المحن والمحن لا تضرهم" فقال ذلك الفقيه: "هذا ما لا أفهمه" فقال الصوفي: "أنا أريك مثال ذلك الملائكة الموكلون بالنار هم في النار والنار لا تضرهم".

وسمعت شيخنا أبا العباس رضي الله تعالى عنه يقول: "الدنيا كالنار وهي قائلة للمؤمن جز يا مؤمن فقد أطفأ نور قناعتك لهبي" واعلم أن شأن الولاية والولي عظيم، والخطب فيهما جسيم "ويكفيك في ذلك ما حدثنا به الشيخ السيد الجليل شهاب الدين أبو المعالي أحمد بن إسحاق بن محمد بن المؤيد بن الأبرقوهي رحمه الله تعالى قال: أنبأنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن سابور الفلانس الشيرازي بها وأنا أسمع في سنة ثلاث وستمائة وستمائة، قال: أخبرنا الإمام أبو المبارك عبد العزيز بن محمد بن منصور الشيرازي الآدمي قراءة عليه وأنا أسمع في سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة قال: حدثنا الشيخ الإمام أبو محمد رزق الله بن عبد الوهاب ابن عبد العزيز بن الحارث بن أسد التميمي الحنبلي، إملاء في يوم السبت السادس عشر من صفر سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة بأصبهان قال: أخبرنا أبو عمر عبد الواحد بن محمد بن عبد الله بن مهدي الفارسي قال: حدثنا أبو عبد الله محمد بن مخلد بن حفص العطار الخطيب الدوري. حدثنا محمد بن عثمان بن كرامة أنبأنا خالد بن مخلد عن سليمان بن بلال عن شريك بن أبي نمر عن عطاء عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنهم، قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ: **"إن الله عز وجل قال من عادى لي ولياً فقد آذنني بالحرب وما تقرّب إليّ عبدي بشيء أحبَّ إليّ مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن سائلني لأعطينه ولئن استعاذ بي لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه"**، وهذا الحديث أخرجه البخاري في صحيحه، وقد روي هذا الحديث من طريق آخر فإذا أحببته كنت له سمعاً وبصراً ولساناً وقلباً وعقلاً ويداً ومؤيداً، فاصخ رحمك الله تعالى إلى ما تضمنه هذا الحديث من غزارة قدر الولي وفخامة رتبته حتى ينزله الحق سبحانه وتعالى هذه المنزلة ويجله هذه المرتبة فقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ عن الله: **"من عادى لي ولياً فقد آذنني بالحرب"** لأن الولي قد خرج عن تدبيره إلى تدبير الله عز وجل وعن انتصاره لنفسه إلى انتصار الله عز وجل. وعن حوله وقوته بصدق التوكل على الله تعالى. وقد قال الله

سبحانه وتعالى: **(وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ)** [الطلاق: 3]، وقال عز وجل: **(وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ (47))** [الروم: 47].
وكان ذلك لهم لأنهم جعلوه تعالى مكان هومومهم فدفع عنهم الأغيار وقام لهم بوجود الانتصار.
وأخبرني الشيخ شهاب الدين الأبرقوهي قال: "دخلت على الشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله تعالى عنه فسمعته يقول: يقول الله عز وجل: "عبدي اجعلني مكان همك أكفيك همك. عبدي ما كنت بك فأنت في محل البعد وما كنت بي فأنت في محل القرب واختر لنفسك".
وقد جاء في الحديث: **"من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين"**[39]، فإذا كان الحق سبحانه وتعالى قد رضي لهم أن يشغلهم ذكره عن مسألته فكيف لا يرضى لهم أن يشغلهم ذكره والثناء عليه عن الانتصار لنفوسهم ومن عرف الله تعالى أفسد عليه باب الانتصار لنفسه إذ العارف قد اقتضت له معرفته أن لا يشهد فعلاً لغير معروفه فكيف ينتصر من الخلق من يرى الله تعالى فاعلاً فيهم فكيف يدع أولياءه من نصرته وهم قد ألقوا نفوسهم بين يديه سلماً واستسلموا لما يرد عنه حكماً فهم في معاقل عزه تحت سرادقات مجده يصونهم من كل شيء إلا من ذكره ويقطعهم عن كل شيء إلا عن حبه، ويختارهم من كل شيء إلا من وجود قربه ألسنتهم بذكره لهجة وقلوبهم بأنواره بهجة وطَّن لهم وطناً بين يديه فقلوبهم حائمة في حضرته وأسرارهم محققة لشهود أحديته.
ولقد سمعت شيخنا أبا العباس رضي الله تعالى عنه يقول: ولي الله تعالى مع الله تعالى كولد اللبوة في جحرها أتراها تاركة ولدها لمن أراد اغتياله؟".
وقد جاء في الحديث أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ - قال في بعض غزواته وامرأة تطوف على ولدٍ لها رضيع فلما وجدته أحنت عليه وألقته الثدي فنظر الصحابة لديها متعجبين: فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ: **"الله أرحم بعبده المؤمن من هذه بولدها"**[40]، ومن هذه الرحمة برز انتصار الحق لهم ومحاربته لأعدائهم إذ هم حُمَّال أسراره ومعادن أنواره. وقد قال الله سبحانه وتعالى: **(اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا)** [البقرة: 257]. **(۞ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا)** [الحج: 38].
غير أن مقابلة الحق سبحانه وتعالى لمن آذى ولياً ليس يلزم أن تكون معجلة لقصر مدة الدنيا عند الله تعالى ولأن الله سبحانه وتعالى لم يرض الدنيا أهلاً لعقوبة أعدائه كما لم يرضها أهلاً لإثابة أحبابه وإن كانت معجلة فقد تكون قساوة في القلب أو جموداً في العين أو تتويقاً عن طاعة أو وقوعاً في ذنب أو فترة في الهمة لو سلب لذاذة خدمته تعالى وقد كان رجل من بني إسرائيل أقبل على الله تعالى ثم أعرض عنه فقال: يا رب كم أعصيك ولا تعاقبني فأوحى الله تعالى إلى نبي ذلك الزمان أن قل لفلان كم عاقبتك ولم تشعر ألم أسلبك حلاوة ذكري ولذاذة مناجاتي. وفائدة هذا البيان أن لا يحكم لإنسان آذى ولياً من أولياء الله تعالى بالسلامة إذا لم تر عليه محنة في نفسه وماله وولده فقد تكون محنة أكبر من أن يطلع العباد عليها وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ حاكياً عن الله عز وجل: **"وما تقرّب إليَّ المتقربون بمثل أداء ما افترضت عليهم"**[41] فاعلم أن الفرائض التي اقتضاها الحق سبحانه وتعالى من عباده على قسمين ظاهرة وباطنة.
فالظاهرة: الصلوات الخمس والزكاة وصوم رمضان والحج والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبر الوالدين إلى غير ذلك.

والباطنة: العلم **ب**الله والحب له والتوكل عليه والثقة بوعده والخوف منه والرجاء منه إلى غير ذلك، وهي أيضاً تنقسم على قسمين فعل وترك شيء اقتضى الحق منك أن تفعله. وشيء اقتضى الحق منك أن لا تفعله وقد جمع ذلك في آية واحدة، قال الله تعالى: **(۞ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ)** [النحل: 90]، فهذا أمر طلب منك أن تفعله - ثم قال تعالى: **(وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ)** [النحل: 90]. فهذا أمر اقتضى منك أن تتركه.

ثم اعلم رحمك الله تعالى أن الله تعالى لم يأمر العباد بشيء وجوباً، أو يقتضيه منهم ندباً إلا والمصلحة لهم في فعل ذلك الأمر، ولم يقتض منهم ترك شيء تحريماً أو كراهة إلا والمصلحة لهم في تركه. أمرهم بتركه وجوباً أو ندباً ولسنا نقول كما قال من عدل به عن طريق الهدى إنه يجب عليه رعاية مصالح عباده، بل إنما نقول ذلك عادة الحق وشريعته المستمرة، فعلها مع عباده على سبيل التفضل فليت شعري. إذا قالوا: يجب على الله رعاية مصالح عباده فمن هو الموجب عليه؟ ثم إنا نظرنا فرأينا كل مأمورية أو مندوب إليه يستلزم الجمع على الله تعالى، وكل منهي عنه أو مكروه يتضمن التفرقة عنه، فإن مطلوب الله تعالى من عباده وجود الجمع عليه، لكن الطاعات هي أسباب الجمع ووسائله.

فلذلك أمر بها والمعصية هي أسباب التفرقة ووسائلها. فلذلك نهى عنها وأما الفرائض الظاهرة، فلا تنفك عن فروض باطنة والفرائض الباطنة وشروطها وعمدة لها، وبين الفروض الظاهرة والباطنة ما بين الظاهر والباطن، وافهم ها هنا قوله عليه الصلاة والسلام: **"نية المؤمن خير من عمله"**، وكذلك الذنوب الباطنة كبائرها وصغائرها أشد من الذنوب الظاهرة كبيرها وصغيرها.

ولما كانت الفرائض اقتضاها الحق من عبده اقتضى إلزام ختمه عليه لم يدخل العبد فيها إلا باختيار الله تعالى له فاندفع هوى العبد فيها لأن الله سبحانه وتعالى وقّت أعدادها وإمدادها وأسبابها فلما كان ذلك كذلك كان قيام العبد فيها منقطعاً عن اختياره لنفسه راجعاً إلى اختيار الله تعالى له فأوجبت القرب من الله تعالى ما لم يوجبه غيرها فلذلك قال: **"**ما تقرَّب إليَّ المتقربون بمثل أداء ما افترضت عليهم" وقال: "وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه"[42]، واعلم أن النوافل هي الزيادة، ولذلك يسمّى النفل نفلاً وهو ما ينفله الإمام لمن يراه زائداً على نصيبه من الغنيمة قال الله سبحانه وتعالى: **(وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ)** [الإسراء: 79]، أي زيادة لك من فضلنا على ما اقتضته الفرائض لك. واعلم أنه سبحانه وتعالى لم يوجب شيئاً من الواجبات غالباً إلّا وجعل من جنسه نافلة حتى إذا قام العبد بذلك الواجب وفيه خلل ما جبر بالنافلة التي هي من جنسه ولذلك جاء في الحديث أنه ينظر في صلاة العبد فإن قام بها كما أمره الله تعالى جوزي عليها وأثبتت له، وإن كان فيها خلل كملت من نافلته. حتى قال بعض أهل العلم: إنما تثبت لك نافلة إذا سلمت لك الفريضة.

ولما علم الله تعالى أن في عباده المؤمنين أقوياء وضعفاء كما جاء في الحديث: **"المؤمن القوي خير وأحب إلى** الله تعالى **من المؤمن الضعيف"**[43]، وفي كل خير ففسح على الضعفاء بالاكتفاء بالواجبات وفتح للأقوياء باب نوافل الخيرات فعباد أنهضهم إلى القيام بالواجبات خوف عقوبته فقاموا بها، تخليصاً لأنفسهم من وجود الهلكة، وملاقاة العقوبة، فما قاموا **لله** تعالى شوقاً له ولا طلباً للوفاء مع ربوبيته فلو قوبلوا بالمحاققة لم يقبل منهم قيامهم هذا لأنهم لم ينهضوا

إلا لأجل نفوسهم ولم يطلبوا إلا حظوظهم فقاموا لواجبات الله تعالى مجرورين بسلاسل الإيجاب كذلك جاء في الحديث: **"عجب ربك من قوم يساقون إلى الجنة بالسلاسل"**[44]، وأما العباد الآخرون فعندهم من غليان الشغف ووجود الحب ما ليس تكفيهم الواجبات بل قلوبهم منفلتة إلى الله تعالى من عوائق هذه الدار، فلو لم يحجر عليهم التنفل بالصلوات في أوقات النهي لسرمدوا الأوقات بها، ولحملوا أنفسهم فوق ما يطيقون، ومما يدلك أن الناس انقسموا على هذين القسمين، أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ قال في حديث: **"بادروا بالأعمال سبعاً هل ينظر أحدكم إلا غنى مغطياً، أو فقراً منسياً، أو مرضاً مقعداً، أو هرماً مفنداً، أو موتاً مجهزاً، أو الدجال فشر غائب ينتظر أو الساعة فالساعة أدهى وأمر"**[45].

فهذا الحديث يقتضي إنهاض الهمم على معاملة الله تعالى، والحث على المبادرة إلى طاعة الله تعالى، ومسابقة العوارض، والقواطع، قبل ورودها فهذا خطاب للفريق الأول، فطالبهم الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ بالمبادرة بالأعمال وجاءت أحاديث أُخَر آمرة للعباد بالاقتصاد في الطاعة لئلا يطيعوا باعث الشغف فيحملوا أنفسهم فوق ما يطيقون فيؤدي ذلك إلى عجزهم عن طاعة الله تعالى أو قيامهم فيها بوجود التكلف.

وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ: **"أكلفوا من العمل ما تطيقون، فإنّ الله لا يمل حتى تملوا"**[46]، وقال: "القصد القصد حتى تبلغوا"[47]، وقوله: **"إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق"**[48]، وقوله: "ولا تبغض إلى نفسك عبادة الله تعالى"[49]. ومثل القائم بالواجبات المكتفي بها والقائم بها وبالنوافل معها كمثل عبدين خارجهما المالك على أربعة دراهم كل يوم فأما أحدهما فقام بهما ولم يزد، وأما الآخر فقام بها وعمد إلى ظروف الفواكه وغرائب التحف فاشتراها وأهداها إلى السيد، فهو لا شك أولى بودّ السيد من العبد الآخر. وقوله: فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، الحديث معناه وجود البقاء بعد الفناء فتمحى أوصافك.

وسمعت شيخنا أبا العباس رضي الله تعالى عنه يقول: إن **لله** تعالى عباداً محق أفعالهم بأفعاله، وأوصافهم بأوصافه، وذاتهم بذاته، وحمّلهم من أسراره ما يعجز عامة الأولياء عن سماعه وهم الذين غرقوا في بحر الذات وتيار الصفات فهي إذن فنائات ثلاث: أن يفنيك عن أفعالك بأفعاله، وعن أوصافك بأصاوفه، وعن ذاتك بذاته، ولذلك قال قائلهم:

وقـــــوم تـــــــاه فــــي أرض بقـــفـــــر وقـــــوم تــــاه فـــي مــــــيدان حُــــبّه

فــــأفنوا ثــــم أفــــنوا ثـــم أفــــنوا وأبقــــوا بالـــبقا من قـــرب قـــــربه

فإذا أفناك عنك أبقاك به، فالفناء دهليز البقاء ومنه يدخل إليه. فمن صدق فناؤه صدق بقاؤه. ومن كان عمَّا سوى الله تعالى فناؤه كان **بـ**الله تعالى بقاؤه، ولذلك قالوا: من كان في الله تعالى تلفه كان على الله تعالى خلفه، فالفناء يوجب عذرهم والبقاء يوجب نصرهم. الفناء يوجب غيبتهم عن كل شيء والبقاء يحضرهم مع الله في كل شيء، فلا ينقطعون عنه في شيء. الفناء يميتهم، والبقاء يحييهم. ومن دكت جبال وجوده استمع داعي شهوده. قال الله سبحانه وتعالى: **(وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا (105))** [طه: 105] **(إِلَّا هَمْسًا (108))** [طه: 108] وصاحب الفناء يقوم الله تعالى عنه وصاحب البقاء يقوم عن الله، وقوله: وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي عن نفس عبدي المؤمن يكره الموت، وأكره مساءته ولا بد له منه.

واعلم رحمك الله تعالى أن التردد يجب تأويله، ولا يحمل على ظاهره وإنما التردد في المخلوقين إما لتقابل الحوادث وإما لانتهاء العواقب، وذلك محال في حق الحق سبحانه وتعالى.
وإنما المراد بالتردد ههنا أن سابق علم الله يقتضي وفاة العبد في الوقت الذي سبق العلم بتعيينه. وصفة الرأفة تقتضي دفع ذلك لولا ما سبق العلم به، وقد أشار سبحانه وتعالى إلى صفة الرأفة بقوله يكره الموت واكره مساءته وأشار إلى صفة العلم بقوله ولا بد له منه.
انعطاف، اعلم رحمك الله تعالى بإقباله عليك، وجعل أنواره واصلة إليك، أنهما ولايتان، ولي يتولى الله وولي يتولاه الله تعالى. قال الله عز وجل في الولاية الأولى: **(وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ (56))** [المائدة: 56].
وقال في الولاية الثانية، **(وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ (196))** [الأعراف: 196]، قال الشيخ أبو الحسن رضي الله تعالى عنه: من أجلّ مواهب الله تعالى الرضى بمواقع القضاء، والصبر عند نزول البلاء، والتوكل على الله تعالى عند الشدائد والرجوع إليه عند النوائب فمن خرجت له هذه الأربع من خزائن الأعمال على بسائط المجاهدة، ومتابعة السنة، والاقتداء بالأئمة، فقد صحت ولايته **لله**، ولرسوله وللمؤمنين.
(وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ (56)) [المائدة: 56].
ومن خرجت له من خزائن المنن على بساط المحبة، فقد تمت ولاية الله تعالى له بقوله: **(وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ (196))** ففرق بين الولايتين، فعبد يتولى الله، وعبد يتولاه الله تعالى فهما ولايتان صغرى وكبرى. فولايتك **لله** تعالى خرجت من المجاهدة وولايتك لرسوله خرجت من متابعة سنته، وولايتك للمؤمنين خرجت من الاقتداء بالأئمة فافهم ذلك من قوله: **(وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ (56))**...... الآية، واعلم رحمك الله تعالى بورود عواطفه وفهمك لطائف عوارفه إن الصلاح في قوله عز وجل، **(وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ (196))**، ليس مراداً به الصلاح الذي يقصده أهل الطريق عند تفصيل المراتب. فيقولون صالح وشهيد، وولي بل الصلاح هنا، المراد به الذين صلحوا لحضرته. بتحقق الفناء عن خليقته، ألم تسمع قول الله سبحانه وتعالى حاكياً عن يوسف عليه السلام: **(تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (101))** [يوسف: 101] أراد بالصالحين هنا المرسلين من آبائه لأن الله تعالى أهّلهم لنبوته ورسالته، فكانوا لها أهلاً وإن شئت قلت هما ولايتان ولاية الإيمان، وولاية الإيقان، فولاية الإيمان قال الله سبحانه وتعالى: **(اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ)** [البقرة: 257]، وفي هذه الآية فوائد:
الفائدة الأولى: اختصاص اسم الله تعالى بالذكر في هذا الموطن دون ما سواه من الأسماء فقال الله سبحانه وتعالى: **(اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا)** [البقرة: 257] ولم يقل الرحمن ولا القهّار، ولا غير ذلك من الأسماء التي تتضمن الأوصاف، لأنه أراد أن يعرفك بشمول ولايته لسائر عباده المؤمنين من الاسم الجامع لجميع الأسماء. فلو ذكر اسماً من أسماء الأوصاف لكانت الولاية من حيثية ذلك الاسم.
الفائدة الثانية: ربط الولاية بالإيمان ليعرفك غزارة قدر الإيمان، وعلو منصبه، حتى كان سبباً لثبوت ولاية الله تعالى للعبد، ولا يفهم من هذه الآية اختصاص الولاية بمن وقع منه الإيمان قبل

نزول هذا الخطاب لإتيانه بصيغة الماضي، بل المراد من قام به الإيمان وجبت ولاية الله تعالى له، أي وقت كان ذلك الإيمان، وقد تساق الأفعال على صيغ خاصة، وليس المراد خصوص تلك الصيغة، كما تقول قد أفلح من آمن وخاب من كفر، ألا ترى أن المراد بالأول قد أفلح من كان منه إيمان وقد خاب من كان منه كفر من غير تعرض لزمان معين.

الفائدة الثالثة: دلَّ سبحانه وتعالى بقوله: **(يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ)** [البقرة: 257]، على وسع رحمته وسبوغ نعمته إذ لما قال: **(اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ)** [البقرة: 257] علم أنهم قد يدخلون في الظلمات ولكن الله تعالى لولايته إياهم يتولى إخراجهم، كما قال في الآية الأخرى: **(وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ)** [آل عمران: 135] الآية، فساق ذلك لمدح مساق المدح للمؤمنين كما ساق قوله: **(يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ)** مساق البشارة لهم ولم يقل (والذين يفعلون الفاحشة). إذ لو قال ذلك لم يدخل فيه إلا أهل الاعتناء الأكبر وكذلك قوله تعالى: **(وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ)** [آل عمران: 134]، وكذلك قوله تعالى: **(وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ (37))** [الشورى: 37]. فمدحهم بالمغفرة بعد الغضب، ولم يقل (والذين لا يغضبون) فيصفهم بفقدان الغضب أصلاً إذا الصفة التي هم يتصفون بها لا تقتضي ذلك.

الفائدة الرابعة: إعلام الحق سبحانه في هذه الآية المؤمنين بشارة عظيمة تتضمنها ولايته، لأنها تضمنت كل خير من خير الدنيا والآخرة من نور وعلم وفتح وشهود ومعرفة ويقين، وتأييد ووجود مزيد وحور وقصور وأنهار وثمار ورؤية الله تعالى، ورضىً عن الله تعالى ومن الله تعالى، وما بين ذلك من الحشر مع المتقين، وأخذ الكتاب باليمين وثقل الميزان بالحسنات والثبات على الصراط وما سوى ذلك من المنح والمواهب التي تتضمنه ولاية الله تعالى لعباده المؤمنين فهي البشارة التي تضمنت كل بشارة.

واعلم أن ولاية الله تعالى تتضمن النفع والدفع، أما النفع فمن قوله: **(فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا)** [يونس: 98]، ومن قوله: **(فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا)** [غافر: 85].

وهذا في صفة الكافرين فمفهومه أن الإيمان ينفع المؤمنين ولو عند رؤية الناس، وكذلك قوله: **(يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا)** [الأنعام: 158].

فمفهومه إذا كانت مؤمنة من قبل ينفعها إيمانها وأما الدفع فمن قوله: **(۞ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا)** [الحج: 38] وتتضمن النصرة لقوله تعالى: **(وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ (47))** [الروم: 47]، وتضمن النجاة لقوله تعالى: **(كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ (103))** [يونس: 103].

الفائدة الخامسة: قوله تعالى: **(يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ)** [البقرة: 257]، أي: يخرجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان ومن ظلمات البدعة إلى نور السنة.

(ومن ظلمات الغفلة إلى نور اليقظة)، (ومن ظلمات الحظوظ إلى نور الحقوق)، (ومن ظلمات طلب الدنيا إلى نور طلب الآخرة)، (ومن ظلمات المعصية إلى نور الطاعة)، (ومن ظلمات الكثائف إلى نور اللطائف)، (ومن ظلمات الهوى إلى نور التقوى)، (ومن ظلمات الدعوى إلى

إشراق نور التبري من الحول والقوة)، (ومن ظلمات الكَوْن إلى شهود المكَوِّن)، (ومن ظلمات التدبير إلى إشراق التفويض) إلى غير ذلك مما لا يحصره العدد مما يخرجهم عنه ويخرجهم إليه.
وأما الولاية الثانية، ولاية الإيقان، وهي تتضمن الإيمان والتوكُّل. وقد قال الله سبحانه وتعالى: **(وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ)** [الطلاق: 3]، ولا يكون التوكل إلا مع اليقين. ولا يكون توكل ويقين إلا مع الإيمان لأن اليقين عبارة عن استقرار العلم **ب**الله تعالى في القلب، مأخوذ من يَقِنَ الماء في الجبل إذا استقر وسكن فيه، فكل يقين إيمان وليس كل إيمان يقيناً. والفرق بينهما أن الإيمان قد يكون مع الغفلة، واليقين لا تجامعه الغفلة، وإن شئت قلت هما ولايتان ولاية الصادقين وولاية الصديقين، فولاية الصادقين بإخلاص العمل **لله** تعالى، والقيام بالوفاء طلباً للجزاء من الله تعالى، وولاية الصديقين بالفناء عما سوى الله تعالى، والبقاء في كل شيء **ب**الله تعالى.
وقد قال الشيخ أبو الحسن رضي الله تعالى عنه في بعض كتب الله تعالى المنزّلة على بعض أنبيائه: (من أطاعني في كل شيء أطعته في كل شيء).
فقال الشيخ أبو الحسن: (من أطاعني في كل شيء بهجرانه لكل شيء أطعته في كل شيء بأن أتجلى له دون كل شيء حتى يراني أقرب إليه من كل شيء. هذه طريق أولى وهي طريق السالكين. وطريق كبرى من أطاعني في كل شيء أطعته في كل شيء بإقباله على كل شيء يحس بإرادة مولاه في كل شيء وإطاعته في كل شيء. بأن أتجلى له في كل شيء حتى يراني كأني في كل شيء. وإذ قد عرفت هذا فاعلم أنهما ولايتان ولي يفنى عن كل شيء فلا يشهد مع الله تعالى شيئاً، وولي يبقى في كل شيء فيشهد الله تعالى في كل شيء. وهذا أتم). لأن الله تعالى لم يظهر المملكة إلّا حتى يُشهد فيها.
فالكائنات مرايا الصفات، فمن غاب عن الكون غاب عن شهود الحق فيه فما نصبت الكائنات لتراها ولكن لترى فيها مولاها. فمراد الحق منك أن تراها بعين من لا يراها تراها من حيث ظهوره فيها ولا تراها من حيث كونيتها ولنا في هذا المعنى شعر:

مــا أبيـــــنت لـــــــك العــــــوالم إلا لتـــراها بعـــين مـــــن لا يـــــــراها

فارق عــنهَا رقـــي مَنْ لــيسَ يرضى حـالـــة دون أن يــــــرى مــــولاها

فالناظر للكائنات غير شاهد للحق فيها غافل والفاني عنها عبد بسطوات الشهود ذاهل والشاهد للحق فيها عبد مخصص كامل، وإنما ترفع الهمة عن الكون من حيث كونيته. لا من حيث ظهور الحق فيه، فإغضاء الزهاد والعباد وأهل الإرادة عن الكون لأنهم لم يشهدوا ظهور الحق فيه. وذلك لعدم نفوذهم إليه في كل شيء. لا لعدم ظهوره في كل شيء، فإنه ظاهر في كل شيء حتى أنه ظاهر فيما به احتجب فلا حجاب ولنا في هذا المعنى شعر:

وكــلّـــي محـــــتـــاج وأنـــتَ لـــك الغـــنـــى ومثلـــي مـــن يخطـــي ومـثلك مـــن يعفُـــو

وأنـــت الــــذي أبـــدى الـــودادَ تــكــرماً ومــــثلكَ مَـنْ يرعـى ومثلـي مـــــن يجفُـو

ومــا طـــابَ عـــيـــشٌ لـم تـكنْ فيهِ واصِلاً ولـــم يصـــفُ لَا واللهِ أنّـــي لـــه يـــصـــفُو

عـــزمـــتُ علـــى أنْ أتـــــركَ الكونَ كلَّـــه وأقفُـــو ســبلَ الـحِـــبِ والمجـــــتبي يقفُـــو

شـــــهودُكَـــم يجـــلُـــو الحـــجـــابَ لأنَّـــهُ إذا حقَّقَ التحقـــيـــقَ صـــــار هـــوَ الكـــشفُ

ومـــــا أحـــسن الأحـــباب فـــي كـــلِّ حـالـــةِ فــــالله مَـــــا يــبدُو لله مـــا يخفُـــــو

وإنّ الأولـــــى لـــــم يـشـــهدوك بمـــشهدٍ قلـــوبُهُم عـــنْ نيلِ ســرِّ الهـــوَى غلـــفُ

وأنـــتَ الـــذي أظهـــرتَ ثـــم ظهـــرتَ فـــي جمـيع المـــبادي مـثل مَـا شــــهدَ العـرفُ

ظهـــــرتَ لكـــلّ الكـــــونِ فالكونُ مظهـر وفـيه لـــه أيـضاً كـمـا جـاءت الـصحفُ

فــــأيُّ فــــؤادٍ عـــــنْ وداد ينثـــنـــي وأيـــةُ عـــين بعـد قـــربك لـن تغفُـــو

وأيـــــةُ نفـــسٍ لـــمْ يملهَـــا هـواكُم علـى حبكُـم طراً نفـوسُ الـورَى وقـــف

وإن شئت قلت هما ولايتان، ولاية دليل وبرهان، وولاية شهود وعيان. فولاية لدليل والبرهان لأهل الاعتبار، وولاية الشهود والعيان لأهل الاستبصار. فلأهل الولاية الأولى، قوله سبحانه وتعالى: **(سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ)** [فصلت: 53].

ولأهل الولاية الثانية، قوله سبحانه: **(قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ (91))** [الأنعام: 91].

وأرباب الدليل والبرهان عموم عند أهل الشهود والعيان لأن أهل الشهود والعيان قدسوا الحق في ظهوره أن يحتاج إلى دليل يدل عليه وكيف يحتاج إلى دليل من نصب الدليل؟ وكيف يكون معرّفاً به؟ وهو المعرّف له. قال الشيخ أبو الحسن رضي الله تعالى عنه: (كيف يعرف بالمعارف من به عرّفت المعارف؟ أم كيف يعرف بشي من سبق وجوده وجود كل شيء؟).

وقال مريد لشيخه: يا أستاذ أين الله تعالى؟ فقال له: أسحقك الله أتطلب مع العين أين؟. وأنشد بعض العارفين:

لــقـــــدْ ظـــهـــرتَ فلا تـخفَـى عـلى أحد إلّا على أكمَـــهٍ لَا يـعـــرفُ القــمـــــرَا

ثُـــمّ اســتترتَ عـــنِ الأبـــصارِ يـــا صـــمد فكـيفَ يُعـــرفُ مَـــنْ بالعـــزةِ اســتترا

فما احتجب الحق عن العباد إلا بعظم ظهوره، ولا منع الأبصار أن تشهده إلا قهارية نوره فعظيم القرب هو الذي غيب عنك شهود القرب. قال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه: حقيقة القرب أن تغيب في القرب عن القرب لعظيم القرب كمن يشم رائحة المسك فلا يزال يدنو منها وكلما دنا تزايد ريحها إذا دخل البيت الذي هو فيه انقطعت رائحته عنه وأنشد بعض العارفين:

كـــــم ذا نمــــــوه بالـــــشـــعبين والعلـــم والأمـــــر أوضــــح مــــن نـــــار علـــى علـم

أراك تــــــسأل عــــــن نجـــــد وأنــــــتَ بهَـــا وعـــــــنْ تـــهامــــــةَ هـــــذَا فـــعلُ مـــتهـــم

ووجدت بخط شيخنا أبي العباس رضي الله عنه شعراً:

أعــــنـــدك عـــــن لـيلـــى حـــــديث محـــــرر بإيــــــراده يحـــــــيـــا الـــــــرميمُ وَيُنْــــشَرُ

فعـــهـــــــدي بـــهـــــا العـــهـــد القـــديم وأنـنـــي علـــى كـــل حـــال فـــي هـــــــواها مقــصـــر

وقـــد كـــــان عـــنها الطـــيف قـــدماً يزورنـــي ولـــــم يـــــزر مـــــا بــــالـــــه يــــتــــعـــذر

فـــهـــل بخلــــت حـــتـــى بطــــيف خـــيالها أم اعـــــتلَّ حتـــى لا يـــــصـــح التـــــصـــور

ومــــــن وجـــــه ليـلـــى طلعـــة الـــشـمس وفـــي الـــشمـــس أبـــصار الـــورى تتحيـــر

ومــــــا احــــتـجــت إلا بـــرفـــع حـــجابهـــا ومـــــن عـــجـــب أن الظـــهـــور تــســتــر

واعلم أن الأدلة إنما نصبت لمن يطلب الحق لا لمن يشهده، فإن المشاهد غني بوضوح المشهود عن أن يحتاج إلى دليل، فتكون المعرفة باعتبار توصيل الوسائل إليها كسبيَّة. ثم تعود فيه نهايتها ضرورية، وإذا كان من الكائنات ما هو غني بوصفه عن إقامة دليل، فالمكوِّن أولى بغناه عن الدليل منها.

وقد قال الشيخ أبو الحسن رضي الله تعالى عنه: (إنا لننظر إلى الله ببصر الإيقان، فأغنانا ذلك عن الدليل والبرهان. وإنا لا نرى أحداً من الخلق هل في الوجود أحد سوى الملك الحق وإن كان ولا بد فكالهباء، إذا فتشته لم تجده شيئاً، ومن أعجب العجب أن تكون الكائنات موصلة إليه فليت شعري هل لها وجود معه حتى توصل إليه أو هل لها من الوضوح ما ليس له حتى تكون هي المظهرة له، وإن كانت الكائنات موصلة إليه، فليس ذلك لها من حيث ذاتها لكن هو الذي ولاها رتبة التوصيل، فوصلت. فما وصل إليه غير ألوهيته، ولكن الحكيم هو واضح الأسباب، وهي لمن وقف عندها ولم ينفذ إلى قدرته عين الحجاب). وقد قال الراوي: أصبح رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ في أثر

سماءٍ كانت من الليل فقال: أتدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: "قال ربكم أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر بي، فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب، وأما من قال مطرنا بنجم كذا أو نبوء كذا فذاك كافر بي مؤمن بالكواكب"[50]. رواه مالك في الموطأ. فلا بد من الأسباب وجوداً ولا بد من الغيبة عنها شهوداً، وكيف تكون الكائنات مظهرة له وهو الذي أظهرها أو معرفة له وهو الذي عرفها.

فإن قلت فقد جاء في الحديث: "من عرف نفسه عرف ربه"، فهذا يدل على أن معرفة النفس موصلة إلى معرفة الله تعالى. وهي كون من الأكوان. ففيه إثبات توصيل الكائنات إليه.

فاعلم أني سمعت شيخنا أبا العباس رضي الله عنه يقول: في هذا الحديث تأويلان، أحدهما من عرف نفسه بذُلها وعجزها وفقرها عرف الله بعزته وقدرته وغناه، فتكون معرفة النفس أولاً ثم معرفة الله تعالى من بعد. والتأويل الثاني: من عرف نفسه، عرف ربه، "أي من عرف نفسه فقد دل ذلك منه على أنه عرف الله من قبل"، فالأول حال السالكين والثاني حال المجذوبين.

واعلم بسط الله لك بسط منته وجعلك من أهل حضرته أن الله سبحانه إذا تولى ولياً صان قلبه من الأغيار، وحرسه بدوام الأنوار، حتى لقد قال بعض العارفين: (إذا كان الحق سبحانه قد حرس السماء بالكواكب والشهب، كيلا يسترق السمع منها، فقلت المؤمن أولى بذلك لقوله تعالى فيما يحكيه عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ: **"لم يسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن"**[51]، فانظر رحمك الله تعالى هذا الأمر الأكبر الذي أعطيه هذا القلب حتى صار لهذه الرتبة أهلاً. ولقد قال الشيخ أبو الحسن: "لو كشف عن نور المؤمن العاصي لطبق ما بين السماء والأرض"، فما ظنك بنور المؤمن المطيع؟. ولقد سمعت شيخنا أبا العباس يقول: لو كشف عن حقيقة الولي لعبد لأن أوصافه من أوصافه، ونعوته من نعوته. ولقد أخبرني بعض المريدين قال: صليت خلف شيخي صلاة فشهدت ما أبهر عقلي وذلك أني شهدت بدن الشيخ والأنوار قد ملأته، وأنثبتت الأنوار من وجوده حتى أني لم أستطع النظر إليه، فلو كشف الحق عن مشرقات أنوار قلوب أوليائه لانطوى نور الشمس، والقمر في مشرقات أنوار قلوبهم، وأين نور الشمس والقمر من أنوارهم الشمس يطرأ عليها الكسوف، والغروب وأنوار قلوب أوليائه لا كسوف لها ولا غروب، ولذلك قال قائلهم:

إن شـــمــس الـــــنهـــار تغـــرب بالليـل وشـــمس القلـــــوب ليـــــست تغـــــيب

ونــــور الـــشمس تـــــشهد بـــه الآثـــــار ونـــور اليقـــين يـــشهد بـــه المـــؤثـــر

ولنا في هذا المعنى شعر:

هــــذه الـــشمس قابلتـــنا بـــنـــور وشـــمـــس اليقـــين أبهـــر نـــوراً

فــــرأينا بـهــــذا الـــنور لـكــــن بهاتـــيك قـــد رأيـــــنا المنيـــرا

لكن الحق سبحانه وتعالى يوفي أعيان الممكنات حقها ويعطيها قسطها، فيقرر لكل كون رتبته ويوفيه دولته، فلذلك ستر سر الخصوصية في وجود البشرية، ولا بد للشمس من سحاب وللحسناء من نقاب، وهل يكون الكنز إلا مدفوناً والسر إلا مصوناً، وصنع ذلك سبحانه ليكون سر الولاية غيباً، فيكون المؤمن به مؤمناً بالغيب، وأيضاً أجل سر ولايته أن يظهره في دار لا بقاء لها،

فأرخى عليه ذيل الستر حتى إذا كانت الدار الآخرة التي رضيها أهلاً لظهوره واقترابه ووجوده، كشف حجابه كذلك بكشف الحجاب هنالك عن سر الولاية، ويجل مقداره ويرفع مناره.
واعلم رحمك الله أن من أراد الله به أن يكون داعياً إليه من أوليائه فلا بلا من إظهاره إلى العباد، إذ لا يكون الدعاء إلى الله إلا كذلك، ثم لا بد أن يكسوه الحق كسوتين الجلالة والبهاء. الجلالة لتعظمه العباد فيقفوا على حدود الأدب معه، ويضع له في قلوب العباد هيبة وينصره بها ليكون إذا أمر ونهى مسموعاً أمره ونهيه، وجعل هذه الهيبة في قلوب العباد من تمكين الحق له ليعينه على القيام له بالنصرة. قال الله سبحانه وتعالى: **(الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ (41))** [الحج: 41]، وهي من إظهار إعزاز الحق لعباده المؤمنين، قال سبحانه: **(وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ)** [المنافقون: 8].
وهذه الهيبة التي جعلها الحق في قلوب العباد لأوليائه سرت إليهم لانبساط جاه المتبوع عليهم. ألم تسمع قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ: **"ونصرت بالرعب مسيرة شهر"**[52]، ألبسهم الحق ملابس هيبته، وأظهر عليهم إجلال عظمته، كلما نزلوا إلى أرض العبودية رفعهم إلى سماء الخصوصية فهم الملوك وإن لم تخفق عليهم البنود والأعزاء، وإن لم تسر أمامهم الجنود. ولله در القائل في مالك بن أنس رضي الله عنه شعر:

يأتـــي الجـــواب فمـا يـراجــع هيـبة والـــسائلون نـــــواكس الأذقــــــان

أدب الـــوقــار وعــز الـسـلـطان التقي فهـــو المطـــاع ولــيس ذا ســـلطــان

ومن ملكه الله أمر نفسه وهواه، فقد آتاه الله الملك قال تعالى:**(قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ)** [آل عمران:26].
وسمعت شيخنا أبا العباس يقول: (قال ملك من الملوك لبعض العارفين تمنى عليّ. فقال له ذاك العارف: إليّ تقول ولي عبدان قد ملكتهما وملكاك وقهرتهما وقهراك وهما الشهوة والحرص. فأنت عبد عبدي فكيف أتمنى على عبد عبدي.
الكسوة الثانية التي يكسوها الحق لأوليائه إذا أظهر لهم كسوة البهاء وذلك ليحليهم في قلوب عباده، فينظرون إليهم بعين المنة والمحبة، فيكون ذلك باعثاً للهمم على الانقياد إليهم. أفلا ترى كيف قال الله تعالى في شأن موسى عليه السلام: **(وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي)** [طه: 39]، وقال تعالى: **(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا)** [مريم: 96]، فحلاهم تحلية التبهية ليحبهم العباد، فيجرهم حبهم إلى حب الله والحب في الله يوجب المحبة من الله لقوله عليه السلام حاكياً عن الله: "وجبت محبتي للمتحابين فيَّ"[53]. وهي أربع مراتب: الحب لله، والحب في الله، والحب بالله والحب من الله، فالحب لله ابتداء، والحب من الله انتهاء، والحب في الله وبالله واسطة بينهما. الحب لله وهو أن تؤثره ولا تؤثر عليه سواه، والحب في الله أن تحب فيه من والاه، والحب بالله أن يحب العبد من أحبه وما أحبه مقتطعاً عن نفسه وهواه، والحب من الله هو أن يأخذ من كل شيء، فلا تحب إلا إياه، وعلامة الحب لله دوام ذكره مع الحضور، وعلامة الحب في الله أن تحب من لم يحسن لك بدنيا من أهل الطاعة والحضور، وعلامة الحب بالله أن يكون باعث الحظ بنور الله مقهوراً، وعلامة من الله أن يجذبك إليه فيجعل ما سواه عنك مستوراً.

وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلي: من أحب الله وأحب لله فقط تمت ولايته والمحب على الحقيقة من لا سلطان على قلبه لغير محبوبه ولا مشيئة له غير مشيئته: فإذن من تثبتت ولايته من الله لا يكره الموت، ويعلم ذلك من قوله تعالى: **(قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ)** [الجمعة: 6].

فإذن الولي على الحقيقة لا يكره الموت إن عرض عليه، وقد أحب الله من لا محبوب له سواه وأحبّ له من لا يحب شيئاً لهواه، وأحب لقاه من ذاق أنس مولاه ويتمحض لك الحب له في عشرة، فاعتبرها فيما وراءها في الرسول عليه السلام وفي الصديق والفاروق والصحابة، والتابعين والأولياء والعلماء والهداة إلى الله والشهداء والصالحين والمؤمنين، فإذا افترق الأمر بعد الإيمان إلى عشرة أشياء، إلى السنة والبدعة والهداية والضلالة والطاعة والمعصية والعدل والجور والحق والباطل.

وميزت وأحببت فأحبَّ له وأبغض له ولست تبالي بأيهما كنت، وقد يجمع لك الوصفان في شخص واحد ويجب عليك القيامة بحقهما جميعاً، فإذن قد بان لك الحب في العشرة الأُولى، فانظر هل ترى للهوى هناك أثراً فكذلك، فاعتبر حب من حضر من إخوانك الصادقين والمشايخ الصالحين والعلماء المهديين، وسائر ما حضر ومن حضر بمن غاب عنك أو مات، فإن وجدت قلبك لا متعلق له بمن حضر، كما لا متعلق له بمن غاب أو مات فقد خلص الحب من الهوى، وثبت الحب لله تعالى. وإن وجدت سيئاً يتعلق به فيمن يحب أو فيما تحب، فارجع إلى العلم وأتقن النظر في الأقسام الخمسة. من الواجب والمندوب إليه والمكروه والمحظور والمباح. واعلم أن قول الشيخ من ثبتت ولايته لا يكره الموت، هذا ميزان أعطاه الله للمريدين ليزنوا به على نفوسهم إذا ادعى فيهم، أو ادعوا ولايــة الله فــإن من شأن النفــوس وجود الدعوى، والتوثب إلى المراتب العالية من غير أن تسلك السبيل الموصلة إليها ولهذا قال سبحانه: **(قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ)** [البقرة: 111]. وقال هنا: **(فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ)** [البقرة:94].

وقــال الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ لحارثة: **"لكل حق حقيقة فما حقيقة إيمانك"**[54]، لمــا قــال له كيف أصبحت. فقال: أصبحت مؤمناً حقاً، ولا يحب الموت من فيه البقايــا ولا من هو مصرٌ على شيء من الخطايا، وجعل الله تمنــي المــوت شاهداً للولي بولايته وعدم تمنيــه شاهداً للغوي بغــوايته، قال الله سبحــانه: **(وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ)** [الرحمن: 9].

والموت ميزان على الأفعال والأحوال، كما هو ميزان في دائرة الرتب.

أما الرتب فكما تقدم، وأما الأفعال والأحوال، فإذا التبس عليك الأمر، وأنت فيه لا تدري رضي الله بتركه أو فعله أو حالة أنت بها لا تدري، هل قمت فيها بحق أو قمت بها بهوى، فأورد الموت على أنت ما فيه من أفعال وأحوال، فكل حالة وعمل يثبت مع تقدير ورود الموت عليها، ولم تنهزم فهي حق وكل حالة وعمل هزمها الموت، فهي باطل إذ المــوت حق والحق يهزم الباطل، ويدمغه لقوله عز وجل: (**بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ**) [الأنبياء: 18]، (**قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ**) [سبأ: 48]، **(وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ۚ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا)** [الإسراء: 81].

وما كنت فيه قائماً بحق لم يهزمه الموت، إذ هو حق والموت حق والحق لا يهزم الحق، وقد تجاريت الكلام وأنا وبعض من يشتغل بالعلم في أنه ينبغي إخلاص النية فيه، وأن لا يشتغل به إلا

لله فقلت له: الذي يقرأ العلم لله هو الذي إذا قلت له: غداً تموت لم يضع الكتاب من يده، وربما غرّ الغافل عن طلبه العلم قول من قال طلبنا العلم لغير الله فأبى أن يكون إلا لله، وليس في قول القائل ما يستروَح به من طلب العلم للرياسة والمنافسة، وإنما أخبر هذا القائل عن أمر منّ الله به عليه، وفتنة سلمه الله منها لا يلزم أن يقاس عليه فيها غيره، ذلك بمثابة من به مرض مزمن في المعا أعياه علاجه وضاق منه خلقه، فأخذ خنجراً وضرب به مراق بطنه ليقتل نفسه، فصادف ذلك في المِعَا- فقطعه فخر الداء منه، فهذا لا يستصوب العقلاء فعله وإن نجحت عاقبته، وليست سلامة العواقب رافعة للعتب عن الملقين أنفسهم إلى التهلكة. ليس المغرر محموداً وإن سلما وقول الشيخ وقد أحب الله من لا محبوب له سواه، فهو كلام يستدعي معرفة المحبة، وما هي.

اعلم أن المحبة هي من أجل مقامات اليقين حتى اختلف أهل الله أيهما أتم مقام المحبة أو مقام الرضا، وإن كان الذي نقول به أن مقام الرضا أتم، لأن المحبة ربما حكم سلطانها على المحب، وقوي عليه وجود الشغف، فأدّاه ذلك إلى طلب ما يليق بمقامه، ألا ترى أن المحب يريد دوام شهود الحبيب والراضي عن الله راض عنه أشهده أم حجبه المحب يحب دوام الوصلة، والراضي عن الله راضي عنه وصله أو قطعه، إذ ليس هو مع ما يريد لنفسه، بل إنما هو مع ما يريد الله له، والمحب طالب لدوام مراسلة الحبيب والراضي لا طلب له ولنا في هذا المعنى شعر:

وكـنت قـديماً لا طلـب الوصل مـنهم فلما أتاني العلم وارتــفع الجـــهـل

تيــقــنت أن العــبــد لا طـلـــب لـــه فــإن قـربوا فــضل وإن بعـدوا عدل

وإن أظــهروا لم يظهروا غير وصـفهم وإن سـتروا فالستر من أجلــهم يحـلو

قال الشيخ أبو الحسن: المحبة آخذة من الله لقلب عبده عن كل شيء سواه فترى النفس مائلة لطاعته، والعقل متحصناً بمعرفته، والروح مأخوذة في حضرته والسر مغموراً في مشاهدته، والعبد يستزيد فيزاد ويفاتح بما هو أعذب من لذيذ مناجاته، فيكسى حلل التقريب على بساط القربة، ويمسُّ أبكار الحقائق وثيبات العلوم، فمن أجل ذلك قالوا: أولياء الله عرائس، ولا يرى العرائس المجرمون.

قال له قائل: قد علمت الحبّ فما شراب الحبّ وما كائس الحبّ، ومن الساقي وما الذوق وما الشّراب، وما الرّي وما السّكر وما الصحو؟، فقال: الشراب هو النور الساطع عن جمال المحبوب، والكاس هو اللطف الموصل ذلك إلى أفواه القلوب، والساقي المتولي المخصوص الأكبر للخصوص، والصالحين من عباده، وهو الله العالم بالمقادير ومصالح أحبابه، فمن كشف له عن ذلك الجمال وحظي منه بشيء نفساً أو نفسين، ثم أرخى عليه الحجاب، فهو الذائق المشتاق ومن دام له ذلك ساعة أو ساعتين فهو الشارب حقاً، ومن توالى عليه الأمر ودام له الشرب حتى امتلأت عروقه ومفاصله من أنوار الله المخزونة، فذاك هو الري وربما غاب عن المحسوس والمعقول، فلا يدري ما يقال ولا ما يقول، فذاك هو السكر وقد تدور عليهم الكاسات وتختلف لديهم الحالات، وَيُرَدُّون إلى الذكر والطاعات، ولا يُحجبون عن الصفات مع تزاحم المقدورات، فذاك وقت صحوهم واتساع نظرهم ومزيد علمهم، فهم نجوم العلم وقمر التوحيد يهتدون في ليلهم وبشموس المعارف يستضيئون في نهارهم:

(أولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) [المجادلة: 22].
قال الشيخ القطب عبد السلام بن مشيش شيخ الشيخ أبي الحسن الشاذلي: ألزم الطهارة من الشرك كلما أحدثت تطهرت؟ ومن دنس حب الدنيا كلما ملت إلى شهوة أصلحت بالتوبة ما أفسدت بالهوى أو كدت، وعليك بمحبة الله على التوقير والنزاهة، وأدمن الشرب بكأسها مع السكر والصحو كلما أفقت أو تيقظت شربت حتى يكون سكرك وصحوك به، وحتى تغيب بجماله عن المحبة وعن الشراب، والشرب والكأس بما يبدو لك من نور جماله وقدس كمال جلاله، ولعليّ أحدِّث من لا يعرف المحبة ولا الشراب ولا الكأس ولا السُكر ولا الصحو قال له القائل أجل وكم غريق في الشيء لا يعرف بغرقه. فعرفني ونبهني عما أجهل، أو لما مُنَّ به عليَّ وأنا عنه غافل. قلت: لك نعم المحبة آخذة من الله قلب من أحبّ بما يكشف له عن نور جماله، وقدس كمال جلاله، وشراب المحبة مزج الأوصاف بالأوصاف، والأخلاق بالأخلاق، والأنوار بالأنوار، والأسماء بالأسماء والنعوت بالنعوت، والأفعال بالأفعال ويتسع فيه النظر لمن شاء الله عزّ وجلّ. والشراب سقيا القلوب والأوصال، والعروق من هذا الشراب حتى يسكر ويكون الشراب بالتدريب بعد التذويب، والتهذيب فيسقي كل على قدره، فمنهم من يُسقى بغير واسطة والله سبحانه وتعالى يتولى ذلك منه له، ومنهم من يُسقى من جهة الوسائط كالملائكة والعلماء والأكابر من المقربين، فمنهم من يسكر بشهود الكاس ولم يذق بعدُ شيئاً، فما ظنك بعد بالذوق وبعد بالشرب وبعدُ بالري وبعدُ السكر بالمشروب؟ ثم الصحو بعد ذلك على مقادير شتّى كما أن السكر أيضاً كذلك، والكأس معرفة الحق يغرف بها من ذلك الشراب الطهور المحض الصافي لمن شاء من عباده المخصوصين من خلقه، فتارة يشهد الشارب تلك الكأس صورة وتارة يشهدها معنوية وتارة يشهدها علمية، فالصورة حظ الأبدان، والأنفس، والمعنوية حظ القلوب، والعقول، والعلمية حظ الأرواح والأسرار، فيا له من شراب ما أعذبه فطوبى لمن شرب منه وداوم، ولم يقطع عنه نسأل الله من فضله.
(ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) [المائدة: 54].
وقد تجتمع جماعة من المحبين فيسقون من كأس واحدة، وقد يسقون من كؤوس كثيرة، وقد يسقى الواحد بكأس وبكؤوس، وقد تختلف الأشربة حسب عدد الكؤوس، وقد يختلف الشراب من كأس واحدة، وإن شرب منه الجم الغفير من الأحبة، لنا انعطاف، ثم اعلم فتح الله قلبك لشهود أنواره، ووالى عليك ورود معارفه وأسراره إنّ من أجلّ مواهب الله لأوليائه وجود العبارة.
وسمعت شيخنا أبا العباس رضي الله عنه يقول: يكون الولي مشحوناً بالعلوم والمعارف والحقائق لديه مشهودة، حتى إذا أعطى العبارة كان كالإذن من الله له في الكلام، ويجب أن تفهم أن من أذن له في التعبير تهيأت في مسامع الخلق عبارته، وجلّيَتْ لديهم إشارته.
وسمعت شيخنا أبا العباس رضي الله عنه يقول: كلام المأذون له يخرج وعليه كسوة وطلاوة، وكلام الذي لم يؤذن له يخرج مكسوف الأنوار. حتى أن الرجلين ليتكلمان بالحقيقة الواحدة، فيقبل من أحدهما ويرد على الآخر.
ثم اعلم أن مبني أمر الولي على الاكتفاء بالله، والقناعة بعلمه والاغتناء بشهوده قال الله سبحانه وتعالى: **(وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ)** [الطلاق: 3].
وقال سبحانه وتعالى: **(أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ)** [الزمر: 36]، وقال: **(أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ (14))** [العلق: 14]، وقال: **(أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (53))**

[فصلت: 53]، فمبني أمرهم في بداياتهم على الفرار من الخلق والانفراد بالملك الحق، وإخفاء الأعمال وكتم الأحوال. تحقيقاً لفنائهم وتثبيتاً لزهدهم، وعملاً على سلامة قلوبهم، وحباً في إخلاص أعمالهم لسيدهم، حتى إذا تمكن اليقين وأيدوا بالرسوخ، والتمكين وتحققوا بحقيقة الفناء وردوا إلى وجود البقاء فهنالك إن شاء الحق أظهرهم وإن شاء سترهم، إن شاء أظهرهم هادين لعباده إليه، وإن شاء سترهم فاقتطعهم عن كل شيء إليه. وظهور الولي ليس بإرادته لنفسه لكن بإرادة الله له، بل مطلبه إن كان له مطلب الخفاء لا الجلاء، كما قدمناه فلما لم يكن الظهور مطلبهم وأراد سبحانه وتعالى إظهارهم، فأظهرهم تولاهم في ذلك بتأييده وواردات مزيده لقوله-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ ـــ: **"يا عبد الرحمن بن سمرة لا تسأل الإمارة فإنك إن أعطيتها من غير مسألة أُعِنْتَ عليها وإن أُعطيتها عن مسألة وكلت إليها، ومن تحقق منها بالعبودية لله لم يطلب ظهوراً ولا خفاء، بل إرادته وقف على اختيار سيده له"** [55]. وقال الشيخ أبو العباس رضي **الله** عنه: من أحب الظهور فهو عبد الظهور، ومن أحب الخفاء فهو عبد الخفاء ومن كان عبد الله فسواء عليه أظهره وأخفاه. وكون هذا قد سبق إلى الكلام عليه بالإيجاز غيرنا قد أقام لنا الاعتذار لكنا ننبّه على نكت مفيدة لأولي الألباب ولكشف عن وجه حسنها ما أسدل عليها من نقاب ليكون ذلك مهيئاً لك لقبول ما نورده عن هذه الطائفة من الكرامات وما نسنده إليهم من بواهر الآيات إن شاء الله تعالى.

الفصل الأوّل
في الكلام على الكرامات

اعلم: أن الكلام في الكرامات تنحصر في طرفين، الطرف الأول: الجواز. والثاني: الوقوع. أما الجواز فلا خفاء أن ظهور الكرامة من الأولياء من الممكنات لأنه إن لم يكن من الممكنات فإما أن يكون من الواجبات، وإما أن يكون من المستحيلات. باطل أن يكون من المستحيلات، فإن المستحيل هو الذي لو قدر وجوده لزم منه محال عقلي، ولا يلزم من تقدير وجود الكرامات محال عقلي، وباطل أن يكون جريان الكرامات على الأولياء وجوباً. إذ الطائفة مجمعة على أنه قد يكون الولي ولياً وإن لم تخرق العادة له فتعين أن يكون من الجائزات، وكل شيء كان من الجائزات، فلا يحيله العقل وكل ما لا يحيله العقل ولم يرد بعدم وقوعه نقل فجائز أن يكرم الله بها أولياءه. ثم إن هذه الكرامة قد تكون طياً للأرض ومشياً على الماء، وطيراناً في الهواء واطلاعاً على كوائن كانت، وكوائن بعد لم تكن من غير طريق العادة، وتكثير الطعام أو الشراب، أو إتياناً بثمرة في غير إبّانها، أو انباع ماء من غير حفر، أو تسخيراً لحيوانات عادية، أو إجابة الدعوة بإتيان مطر في غير وقته، أو صبراً على الغذاء مدة تخرج عن طور العادة، أو إثمار الشجرة اليابسة ما ليس عادتها أن تكون مثمرة.

وهذه كلها كرامات ظاهرة حسية، وكرامات هي عند أهل الله أفضل منها وأجل.

وهي الكرامات المعنوية كالمعرفة بالله والخشية، ودوام المراقبة، والمسارعة لامتثال أمره ونهيه والرسوخ، في اليقين والقوة والتمكين ودوام المتابعة والاستماع من الله، والفهم عنه ودوام الثقة به، وصدق التوكل عليه إلى غير ذلك.

وسمعت شيخنا أبا العباس رضي الله عنه يقول: الطي على قسمين: طي أصغر، وطي أكبر. فالطي الأصغر لعامة هذه الطائفة أن تطوى لهم الأرض من مشرقها إلى مغربها في نفس واحد. والطي الأكبر: طي أوصاف النفوس وصدق الله رضي الله عنه.

فإن طي الأرض لو عجزك الله عنه وأفقدك إياه ما نقص ذلك من رتبتك عنده إذا قمت له بالوفاء في العبودية وطي أوصاف النفوس، لو لم تقدم عليه به لكنت من المغبونين وحشرت في ذمرة الغافلين.

قال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه إنما هما كرامتان جامعتان محيطتان كرامة الإيمان بما يزيد الإيقان وشهود العيان، وكرامة العمل على الاقتداء والمتابعة ومجانبة الدعاوى والمخادعة. فمن أعطيهما ثم جعل يشتاق إلى غيرهما، فهو عبد مغتر كذاب، أو ذو خطأ في العلم والعمل بالثواب. كمن أكرم بشهود الملك على نعت الرضى، فجعل يشتاق إلى سياسة الدواب وخلع الرضى. وكل كرامة لا يصحبها الرضى عن الله- ومن الله، فصاحبها مستدرج مغرور وناقص أو هالك مثبور.

واعلم أن اطلاع أولياء الله تعالى على بعض الغيوب، لا يحيله العقل وقد ورد به النقل. قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لابنته عائشة رضي الله عنها في مرض موته، وزوجته حامل: "إنما هما أخواك وأختاك ذو بطن خارجة، أراها جارية" فأخبر أن في بطن امرأته جارية وكان كما قال. وقول عمر رضي الله عنه: "يا سارية الجبل" وسارية بأقصى العراق فسمع سارية صوته، وكان قد أطلعه الله على سارية، وقد أحاط به العدو فأمره بالانحياز إلى الجبل، فانحاز هو والجيش

الذي معه فانتصروا وظفروا وكان قد قال ذلك، وهو في أثناء خطبته على المنبر، فترك الخطبة وقال يا سارية الجبل ثم عاد إلى الخطبة، فجاء بعض الصحابة إلى علي رضي الله عنه فقالوا له: بينما عمر اليوم يخطب إذ ترك الخطبة وقال: يا سارية الجبل ثم عاد إلى خطبته. فقال علي رضي الله عنه ويحكم دعوا عمر، فإنه ما دخل في شيء إلا كان له المخرج منه، فبعد ذلك قدم سارية وأخبر عن ذلك اليوم، أنه سمع نداء عمر في الوقت الذي ناداه. وقال عثمان رضي الله عنه لداخل دخل عليه، وكان قد نظر إلى محاسن امرأة في الطريق يدخل أحدهم، وأثار الزنا بادية في وجهه.

وأما علي رضي الله عنه فقد جاء عنه في هذا الباب العجب العجاب. حتى أنه ذكر الإخباريون أنه أرجف بالكوفة أن معاوية قد مات. فقال علي رضي الله عنه إذ بلغه والله ما مات ولن يموت، حتى يملك تحت قدمي هاتان، وإنما أراد ابن هند أن يشيع ذلك حتى يستثير علمي فيه، فمن يومئذ كاتب أهل الكوفة معاوية وعلموا أن الأمر صائر إليه، وحكايات الأولياء في كل زمن وقطر تضمن ثبوت ذلك بما بلغ حد التواتر، فلا يمكن جحده ثم أنا أدلك رحمك الله على أمر يسهل عليك التصديق بذلك، وهو أن اطلاع العبد المخصوص على غيب من غيوب الله، ليس بجسمانيته ولا وجود صورته.

وإنما هو بنور الحق فيه، دليل ذلك قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ: **"اتقوا فراسة المؤمن، فانه ينظر بنور الله"**[56] فكيف تستغرب أن يطلع مؤمن على غيب من غيوب الله، بعد أن شهد له رسول الله- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ- أنه إنما ينظر بنور الله لا بوجود نفسه، وكذلك قوله في الحديث الذي تقدم، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به الحديث، ومن كان الحق بصره، فليس الاطلاع على الغيب عليه بمستغرب. وفي بعض طرق هذا الحديث فإذا أحببته كنت له سمعاً، وبصراً، ولساناً، وقلباً، وعقلاً، ويداً ومؤيّداً.

فإن قلت كيف تصنع بقوله تعالى: **(عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا (26) إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ)** [الجن: 26، 27] فلن يستثني أحد إلا الرسول.

فاعلم: أني سمعت من شيخنا أبي العباس رضي الله عنه يقول: وفي معناها أو صدّيق أو وليّ.

فإن قلت هذه زيادة على ما تضمنه كتاب العزيز، فاعلم أنه إذا قيل إن السلطان لم يأذن اليوم إلا للوزير وحده. ربما دخل مماليك الوزير معه وكان الإذن لمتبوعهم، إذناً لهم، كذلك الوالي إذا أطلعه الله على غيب من غيوبه، فإنما ذلك لانطوائه في جاه النبوة وقيامه بصدق المتابعة، فما رأى ذلك بنفسه وإنما رآها بنور متبوعه. وأيضاً أن الآية تشير إلى نفي اطلاع العباد على غيب الله إلا من أطلعه الله، وبيَّن سبحانه سبب اطلاعه على غيب من غيوبه. وإنما ذلك كان مرتضى عنده بقوله: **(إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ)** [الجن: 27] وقوله: **(مِن رَّسُولٍ)**. خص الرسول بالذكر ولم يذكر النبي ولا الصديق ولا الولي. وإن كان كل منهم ممن ارتضى لأن الرسول أولى بذلك مما سواه، أمور تسهل عليك الإيمان بكرامات أولياء الله، وأن لا تستكثرها عليهم.

الأول: أن تعلم أن قدرة الله التي لا يكبر عليها شيء، هي التي أظهرت الكرامة في هذا الولي، فلا تنظر إلى ضعف العبد ولكن أنظر إلى قدرة السيد، فجحد الكرامة في الولي لقدرة العزيز القدير. وعما منعك من شهود عظيمة وصفه سبحانه.

الثاني: أنه ربما كان سبب إنكار الكرامة استكثارها على ذلك العبد الذي أضيفت إليه. وذلك العبد إنما ظهور الكرامة عليه شاهدة بصدق طريق متبوعه، فهي بالنسبة إلى من ظهرت عليه وهو ذلك

الولي كرامة. وهي بالنسبة ببركات متابعته معجزة لمتبوعه فلذلك قالوا: كل كرامة لولي فهي معجزة لذلك النبي الذي هذا الولي متبع له، فلا تنظر إلى التابع ولكن انظر إلى عظم قدرة المتبوع.
الثالث: أن تعلم أن الذي أعطاه الله سبحانه لأوليائه من الإيمان واليقين. مما أنت مصدق به ومثبت له أعظم مما استغربته، وأنكرته من اطلاع على غيب أو طيران في الهواء، أو مشي على الماء، فمثلك إذا استغربت ذلك على المؤمن كمثل من يستغرب على عبد من خواص الملك، أعطاه الملك سفطاً مملوءاً ياقوتاً ثميناً، علمت به أنت كل ياقوتة تضمنه ذلك السفط تساوي عشرة آلاف دينار. ثم قال ذلك العبد الذي هو من خواص الملك، أو قيل عنه إن الملك قد أعطاه مائة دينار فاستغربت أنت ذلك، فهل يستصوب استغرابك. هذا ذو فهم ولب وما أكرم الله العباد في الدنيا والآخرة كرامة بمثل الإيمان به والمعرفة بربوبيته. لأن كل خير من خير الدنيا والآخرة فإنما هو فرع الإيمان بالله من أحوال ومقامات، وأوراد وواردات وكل نور وعلم وفتح ونفوذ إلى غيب، وسماع مخاطبة وجريان كرامة، وما تضمنته الجنة من حورٌ وقصورٌ وأنهار وثمار أو كان بها أهلها فيها من رضي عن الله ورضي من الله ورؤية لله. فكل ذلك إنما هو نتائج الإيمان ووجود آثاره، وامتداد أنواره- جعلنا الله وإياك من المؤمنين بربوبيته الإيمان الذي رضيه لخاصة عباده وبسطنا وإياك للتسليم في مراده.

واعلم أن من الناس من واجهه الخذلان من الله، فأنكر كرامات أولياء الله أصلاً، فنعوذ **ب**الله من هذا المذهب وهو حقيق أن لا يذكر، لكن سبب ذكره ليعلم أن الله إذا أراد أن يضل عبداً... لم ينصره عقل ولم ينفعه علم... قال الله سبحانه: **(وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ۚ)** [المائدة: 41]، وقال سبحانه: **(فَإِن زَلَلْتُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (209))** [البقرة:209].

وقال تعالى: **(وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ)** [المؤمنون: 88]، كذلك كانت الأحوال والأقوال والأفعال، ومراتب الإنزال موقوفة على توفيقه لا توجب أنواراً ولا تستحق قبولاً، ولا يستوجب صاحبها إقبالاً حتى ينصره التوفيق، ولغزارة قدره عند الله لم يذكره في كتابه العزيز إلا في موضح واحد. فقال سبحانه: **(وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ)** [هود:88]، والجانب للتوفيق وعلامته صدق الرجعى إلى الله في أول كل فعل، وترك بتحقيق الفقر والفاقة إليه، والانغماس في بحر الذلة والمسكنة بين يديه، واستصحاب ذلـك إلى الفراغ ومن بعد ذلـك أبـداً. وقد قال الله تعالـى: **(وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ)** [آل عمـران: 123]، وقال: **(إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ)**] التوبة: 60].

فلا تدخل جنة علمك، وعملك وما أعطيت من نور وفتح، فتقول كما قال من خذل فأخـبر الله عنـه بقوله: **(وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِ أَبَدًا (35))** [الكهف: 35]، الآية، ولكن أدخلـها كما بين لك وقل كما رضي لك، **(وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ)** [الكهف: 39].

وافهم ههنا قوله- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ-: **"لا حول ولا قوة إلا بالله كنز من كنوز الجنة"** [57]، وفي رواية كنز من كنوز تحت العرش، فالترجمة ظاهر الكنز والمكنوز فيها هو صدق التبري من الحول، والقوة والرجوع إلى حول الله وقوته، ومن أنكر كرامات الأولياء، فالدلائل النقلية والعقلية ترد عليه، ويخشى على من هذا مذهبه سوء الخاتمة. ومن الناس فرقة أخرة صدقوا

بكرامات الأولياء الذين ليسوا في زمنهم كمعروف، والسري والجنيد، وأشباههم وكذبوا بكرامات أولياء زمانهم، فهي كما قال الشيخ أبو الحسن "والله ما هي إلا إسرائيلية، صدقوا بموسى وعيسى عليهما السلام، وكذبوا بمحمد- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ- لأنهم أدركوا زمنه"وفرقة أخرى يصدقون بأن في مملكة الله أولياء لهم كرامات من غير أن يسلموا ذلك لأحد من أهل زمنهم معيناً، فكل من ذكر لهم أنه ولي أو نسبت إليه كرامة، دافعوا إثبات ذلك بمقاييس اقتضتها عقولهم المعقولة بعقال الغفلة المخدوعة بمتابعة الهوى، فلن يجدي عليهم هذا التصديق وجود الاقتداء، ولا إشراق نور الاهتداء، إذ الاقتداء، لا يكون بولي مجهول العين في كون الله، بل إنما يكون الاقتداء بولي ذلك الله عليه، وأطلعك على ما أودعه من الخصوصية لديه، فطوى عنك شهود بشريته في وجود خصوصيته، فألقيت إليه القياد فسلك بك سبيل الرشاد، يعرفك برعونات نفسك، وكمائنها، ودفائنها. ويدلك على الجمع على الله، ويعلمك الفرار عما سوى الله، ويسايرك في طريقك حتى تصل إلى الله، ويوقفك على إساءة نفسك، ويعرفك بإحسان الله إليك، فيفيدك معرفة إساءة نفسك، الهرب منك، وعدم الركون إليها، ويفيدك العلم بإحسان الله إليك، الإقبال عليه والقيام بالشكر إليه، والدوام على ممر الساعات بين يديه.

فإن قلت فأين من هذا وصفه لقد دللتني على أغرب من عنقاء مغرب.

فاعلم: أنه لا يعوزك وجدان الدالين، وإنما يعوزك وجود الصدق في طلبهم، جد صدقاً تجد مرشداً، وتجد ذلك في آيتين من كتاب الله تعالى: **(أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ)** [النمل: 62]، وقال تعالى: **(فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ (21))** [محمد: 21].

فلو اضطررت إلى من يوصلك إلى الله اضطرار الظمآن إلى الماء، والخائف للأمن لوجدت ذلك أقرب إليك من وجود طلبك، ولو اضطررت إلى رحمة الله اضطرار الأم لولدها إذا فقدته، لوجدت الحق منك قريباً ولك مجيباً، ولوجدت الوصول غير متعذر عليك، ولتوجه الحق بتيسير ذلك إليك، فهذا الكلام في طرفي الجواز، والوقوع جميعاً وذكر أعيان الكرامات التي اتفقت للسلف رضي الله عنهم لا يستطاع حصرها، وقد أشبع القول فيها الأستاذ أبو القاسم القشيري في رسالته وأفرد له باباً.

واعلم: أن الكرامة تارة تظهر للولي في نفسه، وتارة تظره فيه لغيره، فإن أظهرت للولي في نفسه، فالمراد تعريفه بقدرة الله وفرديته، وأحديته، وأن قدرته لا تتوقف على الأسباب، وأن العوائد هو حاكم عليها، ليست هي حاكمة عليه، وإنما جعل العوائد، والوسائط، والأسباب حجب قدرته، وسحب شمس أحديته، فواقف عندها مخذول ونافذ منها إليه هو بالعناية موصول.

قال الشيخ أبو الحسن: (فائدة الكرامة تعريف اليقين من الله بعلم، والقدرة، والإرادة، والصفات الأزلية، بجمع لا يفترق، وأمر لا يتعدد، كأنها صفة واحدة قائمة بذات الواحد يستوي من تعرّف الله إليه بنوره كمن تعرف إلى الله بعقله، ولأجل أنها تثبت لمن أظهرت له، ربما وجدها أهل البدايات في بداياتهم وفقدها أهل النهايات في نهاياتهم، إذ ما عليه أهل النهايات من الرسوخ في اليقين، والقوة، والتمكين لا يحتاجون معه إلى تثبيت).

وهكذا كان السلف رضي الله عنهم، لم يحوجهم الحق سبحانه إلى وجود الكرامات الحسية لمَا أعطاهم من المعارف الغيبية، والعلوم الإشهادية، ولا يحتاج جبل إلى مرساة، فالكرامة دافعة لزلزلة الشك في المنّة، ومعرفة بفضل الله فيمن أظهرت عليه وشاهدة له لاستقامة مع الله سبحانه.

والناس في الكرامات على ثلاثة أقسام.

1 - وقسم يجعلونها غاية الأمر فإن وجدوها عظموا ما أظهرت عليه، وإن فقدوها لم يتوجهوا بالتعظيم إليه.

2 - قسم قالوا وما هي الكرامة إنما هي خدع يخدع بها أهل الإرادة ليقفوا على حدودهم حتى لا يلجوا مقاماً ليس هو لهم. حتى قال أبو تراب النخشبي لأبي العباسي الرقي: ما تقول لأصحابك في هذه الأمور التي يكرم الله بها عباده؟ فقلت: ما رأيت أحداً إلا وهو يؤمن بها. فقال: ومن لم يؤمن بها فقد كفر، إنما سألتك من طريق الأحوال. فقلت: ما أعرف لهم قولاً، فقال: بل قد زعم أصحابك أنها خدع من الحق وليس الأمر كذلك، إنما الخدع في حال السكون إليها فأما من لم يفرح بها ولم يساكنها فتلك مرتبة الربانين. وكان هذا من أبي تراب بعد أن عطش أصحابه فضرب الأرض فنبع الماء. فقال فتى: هناك أريد أن أشربه في قدح، فضرب بيده الأرض وناوله قدحاً من زجاج أبيض، فشرب وسقانا. قال أبو العباس الرقي: وما زال القدح معنا إلى مكة، والقول الفصل في ذلك أنه لا ينبغي أن تطلب أدباً مع الله، ومن أظهرت عليه عظم لأنها شاهدة له بالاستقامة مع الله.

3 - وقسم: وهو أن تظهر الكرامة في الولي لغيره فالمراد بذلك تعريف العبد الذي شهدها بصحة طريق هذا الولي الذي أظهرت عليه الكرامة، إما أن يكون جاحداً فيرجع إلى الاعتراف، أو كافراً فيعود إلى الإيمان أو شاكاً في خصوصية ذلك العبد، فأظهرت عليه، ليعرفك الله بما فيه من ودائع الإحسان، وقد انبسط الكلام في هذه المقدمة، وما كان ذلك لنا باختيار، ولكن قد تضمنت علوماً وأسراراً واطلعت على من له نصيب من المنة، مشرقات الأنوار وهذا أوان ابتدائنا، بما قصدنا، وإظهارنا ما إليه عمدنا، والله هو القائم بالبيان وهو ولي الفضل والإحسان له الحمد كما يجب لجلاله، والشكر لتوالي نعمه وأفضاله، (وهو حسبنا، ونعم الوكيل) وأما الكتاب فهو ينقسم كما تقدم إلى عشرة أبواب.

الباب الأول
في التعريف بشيخه الذي عنه هذا الشأن، وشهادة من عاصره من أهل زمانه من العلماء الأعيان، أنه قطب الزمان، والحامل في وقته لواء أهل العيان

هو الشيخ الإمام حجة الصوفية، وعلم المهتدين، زين العارفين، أستاذ الأكابر، والمنفرد في زمنه بالمعارف السنية، والمفاخر، العالم بالله؛ والدال على الله زمزم الأسرار، ومعدن الأنوار، القطب الغوث؛ الجامع تقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجبار بن تميم بن هرمذ بن حاتم بن قصي بن يوسف بن يوشع بن ورد ابن بطال بن أحمد بن محمد بن عيسى بن محمد بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، عرف بالشاذلي، منشأه بالمغرب الأقصى، ومبدأ ظهوره بشاذلة، بلدة على القرب من تونس، وإليها نسب له السياحات الكثيرة والمنازلات الجليلة والعلوم الكثيرة لم يدخل في طريق الله حتى كان يُعَد للمناظرة في العلوم الظاهرة، وعلوم جمة.

ذكره الشيخ صفي الدين بن أبي المنصور في كتابه وأثنى عليه الثناء الكثير؛ وذكره الشيخ قطب الدين القسطلاني في جملة من لقيه من المشايخ وأثنى عليه، وذكره الشيخ أبو عبد الله بن النعمان، وشهد له بالقطبانية، وذكره الشيخ عبد الغفار ابن نوح رضي الله عنه في كتاب التوحيد. وأثنى عليه ولم يختلف في قطبانيته؛ ذو قلب مستنير، ولا عارف بصير جاء في هذا الطريق بالعجب العجاب وشرع من علم الحقيقة الإطناب ووسع السالكين الرحاب حتى لقد سمعت الشيخ الإمام مفتي المسلمين تقي الدين محمد بن علي القشيري رحمه الله يقول: (ما رأيت أعرف بالله من الشيخ الشاذلي)، وأخبرني الشيخ العارف مكين الدين الأسمر رضي الله عنه. أنه قال: حضرت بالمنصورة في خيمة فيها الشيخ الإمام مفتي الأنام عز الدين بن عبد السلام، والشيخ مجد الدين علي بن وهب القشيري المدرس والشيخ محيي الدين ابن سراقة، والشيخ مجد الدين الأخميمي، والشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنهم، ورسالة القشيري تقرأ عليهم، وهم يتكلمون والشيخ أبو الحسن صامت إلى أن فرغ كلامهم فقالوا: (يا سيدي نريد أن نسمع منك) فقال:

(أنتم سادات الوقت وكبراؤه وقد تكلمتم)، فقالوا: (لا بد أن نسمع منك)، قال: فسكت الشيخ ساعة ثم تكلم بالأسرار العجيبة والعلوم الجليلة، فقام الشيخ عز الدين وخرج من صدر الخيمة، وفارق موضعه، وقال: اسمعوا هذا الكلام الغريب؛ القريب العهد من الله، وأخبرني الشيخ أبو عبد الله بن الحاج، قال: أخبرني الشيخ أبو زكريا يحيى البلنسي، قال: صحبت الشيخ أبا الحسن الشاذلي رضي الله عنه، ثم سافرت إلى الأندلس فقال لي الشيخ أبو الحسن عند وداعي إياه إذا وصلت إلى الأندلس، فاجتمع بالشيخ أبي العباس بن مكنون فإنه أطلع على الوجود وعرف حيث هو، ولم يطلع الناس على أبي العباس فيعلمون حيث هو قال: فلما جئت إلى الأندلس جئت إلى الشيخ أبي العباس بن مكنون فحين وقع بصره علي قال ولم يعرفني قبل: جئت يا يحيى حييت الحمد لله على اجتماعك بقطب الزمان، يا يحيى الذي أخبرك به الشيخ أبو الحسن لا تخبر به أحداً.

وأخبرني رشيد الدين بن الرايس قال: تخاصمت أنا وبعض أصحاب الشيخ فأتيت إلى الشيخ أبي الحسن فذكرت مقالتنا له، فقال الشيخ: كنت تقول له أنا رباني القطب ومن رباه القطب رباه أربعون بدلاً.

وأخبرني والدي رحمه الله قال: دخلت على الشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه فسمعته يقول: (والله قد تسألوني عن المسألة لا يكون لها عندي جواب فأرى الجواب مسطراً في الدواة والحصير والحائط). وأخبرني بعض أصحابنا قال قال الشيخ أبو الحسن يوماً: والله إنه ليتنزل عليَّ المدد فأرى سريانه فيَّ كالحوت في الماء والطائر في الهواء. وكان الشيخ أمين الدين جبريل حاضراً فقال الشيخ أبي الحسن: فأنت إذن القطب. فقال الشيخ أبو الحسن: أنا عبد الله، أنا عبد الله، وأخبرني بعض أصحابنا قال الشيخ أبو الحسن: والله ما ولّى الله وليّاً إلا وضح حبه في قلبي قبل أن يوليه، ولا رفض عبداً إلا وألقى الله بغضه في قلبي قبل أن يرفضه.

وأخبرني بعض أصحابنا، قال: لما رجع الشيخ أبو الحسن من الحج أتى إلى الشيخ الإمام عز الدين بن عبد السلام قبل أن يأتي منزله، فقال له: الرسول-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ- يسلم عليك، قال: فاستصغر الشيخ عز الدين نفسه أن يكون أهلاً لذلك.

قال: فدعى الشيخ عز الدين إلى خانقاه الصوفية بالقاهرة وحضر معه الشيخ محيي الدين بن سراقة وأبو العلم ياسين أحد أصحاب العارف بالله محيي الدين بن عربي، فقال الشيخ محيي الدين بن سراقة: للشيخ عز الدين ليحفظكم ما سمعنا يا سيدي، والله إن هذا شيخ يفرح به أن يكون في هذا الزمن من يسلم عليه رسول الله- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ- فقال الشيخ عز الدين: الله يسترنا. فقال أبو العلم ياسين: اللهم افضحنا حتى يتبين المحق من المبطل. ثم اشاروا للقول إلى أن يقول وهو بالبعد بحيث لا يسمع ما دار بينهم فكان أول ما قال.

صدق المحدّث والحديث كما جرى.

فقام الشيخ عز الدين وطاب وقته وقام الجميع لقيامه واخبرني الفقير مكين الدين الأسمر رضي الله عنه، قال: سمعت مخاطبة الحق فقلت يا سيدي كيف كان ذلك؟ فقال: كان في الإسكندرية بعض الصالحين صحب الشيخ أبا الحسن ثم كبر عليه ما سمعه منه من العلوم الجليلة والمخزفات فلم يسع ذلك عقله، فانقطع عن الشيخ أبي الحسن رضي الله عنه، فبينما أنا ليلة من الليالي، وأنا أسمع أن فلاناً دعانا في هذا الوقت بست دعوات، فإن أراد أن يستجاب له فليأت إلى الشيخ الشاذلي دعانا بكذا. دعانا بكذا. حتى عينت لي الست دعوات، قال: ثم انفصل الخطاب عني فنظرت إلى المتوسط في ذلك الوقت فعرفت الوقت الذي كان ذلك الرجل دعا فيه ثم أصبحت فذهبت إلى ذلك الرجل فقلت له: دعوت الله البارحة بست دعوات. دعوته بكذا دعوته بكذا إلى أن عددت له الست دعوات. فقال: نعم، فقلت: تريد أن يستجاب لك. قال: ومن لي بذلك؟ فقلت له: قيل لي إن أراد أن يستجاب له فليأت إلى الشيخ الشاذلي.

وسمعت شيخنا أبا العباس يقول: كان الشيخ قد قال لي إن أردت أن تكون من أصحابي فلا تسأل من أحد شيئاً فمكثت على ذلك سنة. ثم قال لي: إن أردت أن تكون من أصحابي فلا تقبل من أحد شيئاً. فكان إذا اشتد عليَّ الوقت أخرج إلى ساحل بحر الإسكندرية، التقط ما يرميه البحر بالساحل من القمح حين يرفع من المراكب فأنا يوماً على ذلك وإذا عبد القادر النقاد وكان من أولياء الله تعالى يفعل كفعلي فقال لي: أطلعت البارحة على مقام الشيخ أبي الحسن، فقلت له: وأين مقام الشيخ؟ فقال: عند العرش، فقلت له: ذلك مقامك ينزل لك الشيخ فيه حتى رأيته ثم دخلت أنا وهو

على الشيخ فلما استقر بنا المجلس قال الشيخ: رأيت البارحة عبد القادر في المنام فقال لي: أعرشي أنت أم كرسي فقلت له: دع عنك هذا. ذا الطينة أرضية والنفس سماوية، والقلب عرشي، والروح كرسي، والسر مع الله بلا أين والأمر يتنزل فيما بين ذلك ويتلوه الشاهد منه.

وقدم بعض الدالين على الله إلى الإسكندرية فقال الشيخ مكين الدين الأسمر: هذا الرجل يدعو الناس إلى باب الله وكان الشيخ أبو الحسن يدخلهم على الله وقال الشيخ أبو العباس رضي الله عنه: كنت مع الشيخ أبي الحسن بالقيروان، وكان شهر رمضان وكانت ليلة الجمعة، وكانت ليلة ليلة سبعة وعشرين فذهب الشيخ إلى الجامع وذهبت معه، فلما دخل الجامع وأحرم رأيت الأولياء يتساقطون عليه، كما يتساقط الذباب على العسل، فلما أصبحنا وخرجنا من الجامع قال الشيخ ما كانت البارحة إلا ليلة عظيمة (وكانت ليلة القدر) ورأيت الرسول- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ- وهو يقول: **"يا علي طهر ثيابك من الدنس، تحظ بمدد الله في كل نفس"**. قلت: يا رسول الله وما ثيابي؟ قال: "اعلم أن الله قد خلع عليك خمس خلع، خلعة المحبة وخلعة المعرفة وخلعة التوحيد وخلعة الإيمان، وخلعة الإسلام، فمن أحب الله هان عليه كل شيء ومن عرف الله صغر لديه كل شيء ومن وحّد الله لم يشرك به شيئاً، ومن آمن بالله أمن من كل شيء، ومن أسلم لله قلما يعصيه وإن عصاه اعتذر إليه، وإن اعتذر إليه، عذره" ففهمت حنيئذ معنى قوله عز وجل: **(وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (4))** [المدثر: 4]، وقال الشيخ أبو العباس رضي الله عنه: جلت في ملكوت الله عز وجل فرأيت أبا مدين متعلقاً بساق العرش وهو رجل أشقر أزرق العينين، فقلت له: ما علومك؟ وما مقامك؟ فقال: أما علومي فأحد وسبعون علماً وأما مقامي فرابع الخلفاء، ورأس السبعة الأبدال. فقلت: ما تقول في شيخي أبي الحسن الشاذلي؟ فقال: زاد عليَّ بأربعين علماً هو البحر الذي لا يحاط به.

وأخبرني بعض أصحابنا قال: قيل للشيخ أبي الحسن من هو شيخك يا سيدي؟ فقال: كنت أنتسب إلى الشيخ عبد السلام بن مشيش. وأنا الآن لا أنتسب إلى أحد بل أعوم في عشرة أبحر خمسة من الآدميين النبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ-، وأبي بكر وعمر، وعثمان، وعلي. وخمسة من الروحانيين: جبريل، وميكائيل، وعزرائيل، وإسرافيل، والروح.

وأخبرني ولد سيدنا ومولانا الإمام العارف شهاب الدين قال: قال الشيخ عند موته: والله لقد جئت في هذا الطريق بما لم يأت به أحد. ومن الأمر المشهور أنه لما دفن (بحميثرة)[58] وغسل من مائها تكثَّر الماء بعد ذلك وعذب حتى صار يكفي الركب إذا نزل عليه ولم يكن قبل ذلك كذلك.

وكتب إليَّ الشيخ أبو عبد الله بن النعمان رضي الله عنه أبياتاً يوصيني فيها الشيخ أبي العباس منها:

عطا إلــه العـرش فـي الثغـر أحمـد سررت بـه في الـصحب فالله أحمـد

ثم يقول في الشيخ أبي العباس رضي الله عنه:

ووارثُ علــم الــشاذلي حقــيقةً وذلــكَ قطــبٌ فاعلمــوه واحــدُ

رأيــتُ لــهُ بعـدَ الممــاتِ عجائـباً تـدُلُ على مَـنْ كـانَ للفتـحِ يجحدُ

فالذي عنى الشيخ أبو عبد الله بقوله: رأيت له بعد الممات عجائباً أن حلى الماء فوق ما كان وتكثَّر لما غسل منه.

وأخبرني بعض أصحابه قال: قال الشيخ: قيل لي ما على وجه الأرض مجلس في الفقه أبهى من مجلس الشيخ عز الدين بن عبد السلام وما على وجه الأرض مجلس في علم الحديث أبهى من مجلس الشيخ زكي الدين عبد العظيم وما على وجه الأرض مجلس في علم الحقائق أبهى من مجلسك.

وقال الشيخ أبو العباس: لما نزلت بتونس وكنت أتيت من (مرسيه) وأنا إذ ذاك شاب، فسمعت بذكر الشيخ أبي الحسن الشاذلي فقال لي: رجل تمض بنا إليه فقلت حتى أستخير الله، فنمت تلك الليلة فرأيت كأني أصعد إلى رأس جبل. فلما علوت فوقه رأيت هنالك رجلاً عليه برنس أخضر، وهو جالس وعن يمينه رجل وعن يساره رجل، فنظرت إليه فقال: لي عثرت على خليفة الزمان. قال: فانتبهت فلما كان بعد صلاة الصبح أتاني الرجل الذي دعاني إلى زيارة الشيخ فسرت معه. فلما دخلنا على الشيخ رأيته بالصفة التي رأيته فوق الجبل. قال: فدهشت فقال لي: عثرت على خليفة الزمان ما اسمك؟ فذكرت له اسمي ونسبي. فقال لي: رفعت لي منذ عشر سنين.

وقال الشيخ أبو العباس رضي الله عنه لما قدمنا من المغرب إلى الإسكندرية نزلنا عند عمود السواري، من ظاهرها، وكان وصولنا عند اصفرار الشمس وكانت بنا فاقة وجوع شديد، فبعث لنا رجل من عدول الإسكندرية طعاماً فلما قيل للشيخ عنه. قال: لا يأكل أحد منه شيئاً فبتنا على ما نحن عليه من الجوع. فلما كان عند الصبح صلّى بنا الشيخ. وقال: مدّوا السماط وأحضروا ذلك الطعام ففعلوا. وتقدمنا فأكلنا فقال الشيخ رضي الله عنه: رأيت في المنام قائلاً يقول لي أحل الحلال ما لم يخطر لك ببال؟ ولا سألت فيه أحداً من النساء والرجال. وقال الشيخ أبو العباس رضي الله عنه: كنت ليلة من الليالي نائماً بالإسكندرية، وإذا قائلٌ يقول: مكة والمدينة. فلما أصبحت عزمت على السفر وكان الشيخ رضي الله عنه بالمقسم بالقاهرة فسافرت إليه. فلما مثلت بين يديه قال لي: مكة والمدينة. فقلت: لأجل ذلك جئت يا سيدي قال إجلس فجلست فإذا رجل دخل عليه وقال يا سيدي عزمت على الحج وما معي شيء من الدنيا. فقال لي الشيخ: أي شيء معك؟ قلت: عشرة دنانير. قال: ادفعها لهذا الرجل. فدفعتها له. فقال لي الشيخ: إذا كان غد اخرج إلى الساحل واشتر لي عشرين إردباً قمحاً. فأصبحت ونزلت إلى الساحل واشتريت عشرين أردباً قمحاً وحملت القمح إلى المخزن. وأتيت الشيخ فقال لي: هذا القمح قالوا لي إنه مسوس ما نأخذ منه شيئاً فبقيت متحيراً لا أدري كيف اصنع؟ فبقيت ثلاثة أيام لا يطالبني صاحب القمح بالثمن، فلما كان اليوم الرابع وإذا رجل يطوف علي فلما رآني قال: أنت صاحب القمح؟ فقلت: نعم. قال: تأخذ فيه فائدة ألف درهم؟ قلت: نعم. قال: فوزن لي ألف درهم فوضع الله لي البركة فيها فلو قلت إني أنفق منها إلى اليوم لصدقت. وقال الشيخ أبو العباس رضي الله عنه سافرنا مع الشيخ رضي الله عنه في السنة التي توفي فيها فلما كنا عند إخميم قال لي الشيخ رأيت البارحة كأني في جِلبة وأنا في البحر والرياح قد اختلفت والأمواج قد تلاطمت والمركب قد انفتحت وأشرفنا على الغرق فأتيت إلى جانب المركب وقلت أيها البحر إن كنت أمرت بالسمع والطاعة لي فالمنة لله السميع العليم، وإن كنت أمرت بغير ذلك فالحكم لله العزيز الحكيم فسمعت البحر يقول: الطاعة الطاعة. فلما سافرنا وتوفي الشيخ رضي الله عنه دفناه بحميثرة من صحراء عيذاب ركبنا في جلبة فلما صرنا في وسط البحر تلاطمت الأمواج واختلفت الرياح، وانفتحت الجلبة، وأشرفنا على الغرق وأنسيت كلام الشيخ فلما اشتد الأمر ذكرت ذلك فأتيت إلى جانب المركب. وقلت ايها البحر إن كنت قد أُمرت بالسمع والطاعة لأولياء الله فالمنة لله السميع العليم. ثم قلت ما قال الشيخ بالسمع والطاعة لي وإن كنت

أمرت بغير ذلك فالحكم لله العزيز الحكيم. فسمعت البحر يقول: الطاعة. الطاعة. وسكن البحر، وطاب السفر.
وقال الشيخ أبو العباس رضي الله عنه: كنت مع الشيخ في بحر عيداب وكنا في شدة من الريح الأزيب، وكان المركب قد انفتح فقال الشيخ رضي الله عنه: رأيت السماء قد انفتحت ونزل منها ملكان أحدهما يقول: موسى أعلم من الخضر والآخر يقول: الخضر أعلم من موسى، ونزل ملك آخر وهو يقول: والله ما علم الخضر في علم موسى إلا كعلم الهدهد في علم سليمان حين قال: أحطت بما لم تحط به ففهمت أن الله سلمنا في سفرنا فإن موسى سخَّر له البحر.
وقال الشيخ أبو العباس رضي الله عنه: قال رجل للشيخ ما تقول في الخضر أحي هو أو ميت؟ فقال الشيخ: اذهب إلى الفقيه ناصر الدين بن الأبياري، فإنه يفتي أنه حي وأنه نبي، وكان الشيخ عبد المعطي لقيه وسكت ساعة وقال: أنا لقيته وسبابته ووسطاه سواء.
واعلم: إن بقاء الخضر قد أجمعت عليه هذه الطائفة، وتواتر عن أولياء كل عصر لقاؤه، والأخذ عنه واشتهر ذلك إلى أن بلغ الأمر حد التواتر الذي لا يمكن جحده والحكايات في ذلك كثيرة. وقال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه: لقيت الخضر في صحراء عيداب فقال لي يا أبا الحسن أصحبك الله اللطف الجميل وكان لك صاحباً في المقام وفي الرحيل.
وذكر الشيخ الأكبر ابن عربي رضي الله عنه أن أبا السعود بن الشبلي رضي الله عنه كان يوماً في مدرسة الشيخ عبد القادر الجيلاني يكنس فيها، فوقف الخضر على رأسه، فقال: السلام عليكم، فرفع أبو السعود رأسه فقال: وعليك السلام. ثم عاد إلى شغله بما هو فيه فقال له الخضر: ما بالك لا تنتبه لي كأنك لم تعرفني؟ فقال أبو السعود: بلى عرفتك، أنت الخضر. فقال له الخضر: فما بالك لم تنتبه لي؟ فقال له أبو السعود: مشغول بخدمتي. والتفت إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه وقال: لم يترك فيَّ هذا الشيخ فضله لغيره.
وقال الشيخ الأكبر ابن عربي رضي الله عنه مخبراً عن نفسه: كنت أنا وصاحب لي بالمغرب الأقصى بساحل البحر المحيط، وهناك مسجد يأوي إليه الأبدال فرأيت أنا وصاحبي رجلاً قد وضح حصيراً في الهواء على مقدار أربعة أذرع من الأرض وصلى عليها فجئت أنا وصاحبي ووقفت تحته وقلت شعراً:

شـــغل المـــحـب عن الحبـــيب بسره في حب مـن خلــق الهـواء وسخره

العارفـــــون عقــــــولهم معقـــــولة عـــن كـــــل كـون ترتضيه مطهـــره

فهـــم لديـــه مكـــــرمون وعـــنده أســــرارهم محفــــوظة ومحــــررة

قال: فأوجز في صلاته وقال: إنما فعلت هذا لهذا المنكِر الذي معك وأنا أبو العباس الخضر، ولم أكن أعلم أن صاحبي ينكر كرامات الأولياء، فالتفت إلى صاحبي وقلت: يا فلان أكنت تنكر كرامات الأولياء؟ قال: نعم. قلت: فما تقول الآن؟ فقال: ما بعد العيان ما يقال.
وقال الشيخ عبد المعطي الإسكندراني لتلميذه عند موته: خذ هذه الجبة فطالما عانقت فيها الخضر، وقالت زوجة القرشي رضي الله عنه: خرجت من عند الشيخ ولم أترك عنده أحداً فسمعت عنده رجلاً يكلمه فوقفت حتى انقطع كلامه ثم دخلت فقلت: يا سيدي خرجت من عندكم وما كان عندك

أحد، والآن سمعت كلاماً عندك؟ فقال الشيخ: الخضر أتاني بزيتونة من أرض نجد فقال كل هذه الزيتونة ففيها شفاؤك فقلت: اذهب أنت وزيتونتك، لا حاجة لي بها، وكان الشيخ به داء الجذام وقد جاء أنه لما توفي رسول الله- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ- سمعوا قائلاً يقول: من جوف البيت يسمعون صوته ولا يرون شخصه. إن في الله خلفاء من كل هالك وعوضاً من كل فائت وإن المصاب من حرم الثواب. قال الراوي: كانوا يرون أنه الخضر.

اعلم: رحمك الله أن من أنكر وجود الخضر فقط غلط أو من قال إنه غير خضر موسى، أو من قال إن لكل زمان خضراً، وإن الخضرية رتبة يقوم بها رجل بعد رجل في كل زمان، والمنكر لوجود الخضر معترف على نفسه بأن منة الله بلقاء الخضر لم تواجهه وليته إذا فاته الوصول إليها لا يفوته الإيمان بها، ولا تغتر بما عساك أن تقف عليه من كلام أبي الفرج بن الجوزي في كتاب سماه (عجالة المنتظر في شرح حال الخضر) أنكر فيه وجود الخضر وقال: من قال إنه موجود فإنما قال ذلك لهواجس ووساوس وهوس قائم به واستدل على عدم وجوده بقوله سبحانه: **(وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ)** [الأنبياء: 34].

فعجب لهذا الرجل كيف استدل بهذه الآية، ولا دليل فيها لأن الخلد هو بقاء لا موت معه، وليس هو المدعي في الخضر إنما المدعي طول إقامة يكون الموت بعدها فاعجبوا رحمكم الله لرجل يصدق بطول بقاء إبليس وينكر طول بقاء الخضر، وما يروونه عن رسول الله- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ-: **"لو كان الخضر حياً لزارني"** فلم يثبته أهل الحديث فإن قالوا: لو كان ذلك لنقل، فاعلم أنه ليس كل شيء أطلع الله عليه رسول الله- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ- يلزمه الإعلام به كيف وقد روي عن رسول الله- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ-أنه قال: **"علمني ربي ثلاثة علوم: علم أمرني بإفشائه، وعلم نهاني عن إفشائه، وعلم خيرني في إفشائه"**[59].

وقال بعض العارفين: إن الله سبحانه وتعالى أطلع الخضر على أرواح الأولياء فسأل ربه ان يبقيه في دائرة الشهادة حتى يراهم شهادة كما رآهم غيباً قال الشيخ أبو العباس رضي الله عنه: كنت مع الشيخ في السفر، ونحن قاصدون إلى الإسكندرية، حين مجيئنا من المغرب فأخذني ضيق شديد حتى ضعفت عن حمله فأتيت الشيخ أبي الحسن رضي الله عنه.

فلما أحس بي قال أحمد. قلت: نعم يا سيدي. قال: آدم خلقه بيده وأسجد له ملائكته، وأسكنه جنته نصف يوم خمسمائة عام، ثم نزل به إلى الأرض، والله ما أنزل الله آدم إلى الأرض لينقصه ولكن نزل به الأرض ليكمله، ولقد أنزله إلى الأرض من قبل أن يخلقه بقوله: **(إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً)** [البقرة: 30].

ما قال في السماء ولا في الجنة. فكان نزوله إلى الأرض نزول كرامة لا نزول إهانة. فإنه كان يعبد الله في الجنة بالتعريف فأنزله إلى الأرض ليعبده بالتكليف. فلما توفرت فيه العبوديتان استحق أن يكون خليفة وأنت أيضاً لك قسط من آدم كانت بدايتك في سماء الروح في جنة المعارف فأنزلت إلى أرض النفس لتعبده بالتكليف، فإذا توفرت فيك العبوديتان استحققت أن تكون خليفة.

وأخبرني بعض أصحاب الشيخ أبي الحسن قال: قال الشيخ ليلة اجتمع بي الشرف البوني وشرف الدين بن المحلي وأخبراني أنهما دخلا على امرأة بغربي الإسكندرية، قالا: فقالت لنا أروني أيديكما فشمت أيدينا، وقالت: إخوان صالحون، ثم قالت انتهيت في المعرفة إلى مقام الحيرة فقلت: إلهي بم يخرج العارفون من الحيرة فقال لي بالتوحيد. فهل فيكم من يعرف هذا التوحيد الذي يخرج

العارفون به من الحيرة؟ قالا: فقلنا لها إنما جئنا لنلتمس بركتك قال ثم قال الشيخ أبو الحسن: ألا دلوها على من ضيق عليه، ثم توجه إلى جهتها وقال التوحيد الذي يخرج العارفون به من الحيرة لا إله إلا هو يخرج العارفون من الحيرة وبلا إله إلا هو فأصبح بعض أصحاب الشيخ فذهب إليها فوجدها وهي تقول: استغنيت. استغنيت. فعلمنا أن الشيخ أمدها في تلك الساعة.
وقال الشيخ أبو الحسن: كنت في بعض سياحاتي وقد آويت إلى مغارة بالقرب من بندر[60] للمسلمين فمكثت فيها ثلاثة ايام لم أذق طعاماً فبعد الثلاثة أيام دخل عليَّ ناس من الروم كانت قد أرست سفينتهم هنالك. فلما رأوني قالوا: قسيس من المسلمين، فوضعوا عندي طعاماً وأداماً كثيراً فعجبت كيف رزقت على أيدي الروم الكافرين ومنعت ذلك من المسلمين؟ وإذا قائل يقول لي: ليس الرجل من نصر بأحبابه إنما الرجل من نصر بأعدائه.
وقال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه: نمت ليلة في سياحتي على رابية من الأرض فجاءت السباع، فطافت بي، فأقمت إلى الصباح، فما وجدت أنساً كأنسٍ وجدته تلك الليلة فلما أصبحت خطر لي أنه حصل لي من مقام الأنس بالله شيء فهبطت وادياً وكان هناك طيور حجل لم أرها فلما أحست بي طارت بمرة فخفق قلبي رعباً، فإذا الندا علي يقول لي: يا من كان البارحة يأنس بالسباع ما لك توجل من خفقان الحجل، ولكن البارحة كنت بنا والآن أنت بنفسك.
وقال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه قلت يوماً وأنا في مغارة في سياحتي: إلهي متى أكون لك عبداً شكاراً؟ فإذا النداء عليَّ يقول لي: إذا لم تر منعماً عليه غيرك؟ فقلت: إلهي كيف لا أرى منعماً عليه غيري، وقد أنعمت على الأنبياء، وأنعمت على العلماء، وأنعمت على الملوك. فإذا النداء عليَّ يقول لي: لولا الأنبياء لمّا اهتديت، ولولا العلماء لما اقتديت، ولولا الملوك لما آمنت، فالكل نعمة مني عليك.
وقال رضي الله عنه: جعت مرة ثمانين يوماً، فخطر لي أن قد حصل لي من هذا الأمر شيء، وإذا بامرأة خارجة من مغارة كأن وجهها الشمس حسناً وهي تقول: منحوس منحوس جاع ثمانين يوماً فأخذ يدل على الله بعمله، وهو ذا لي ستة أشهر لم أذق طعاماً.
وقال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه: كنت في سياحتي في مبدأ أمري حصل لي تردد هل ألازم البراري والقفار للتفرغ للطاعة، والأذكار، أو أرجع إلى المدائن والديار لصحبة العلماء والأخيار؟ فوصف لي وليٌّ هناك، وكان برأس جبل، فصعدت إليه فما وصلت إليه إلا ليلاً، فقلت في نفسي: لا أدخل عليه في هذا الوقت فسمعته وهو يقول من داخل المغارة: اللهم إن قوماً سألوك أن تسخر لهم خلقك فسخرت لهم خلقك، فرضوا منك بذاك اللهم وإني أسألك اعوجاج الخلق عليّ حتى لا يكون ملجئي إلا إليك. قال: فالتفت إلى نفسي وقلت: يا نفس انظري من أي بحر يغترف هذا الشيخ، فلما أصبحت دخلت عليه، فأرعبت من هيبته، فقلت له: يا سيدي كيف حالك؟ فقال: أشكو إلى الله من برد الرضى والتسليم كما تشكو أنت من حر التدبير والاختيار. فقلت له: يا سيدي أما شكواي من حر التدبير والاختيار فقد ذقته وأنا الآن فيه، وأما شكواك أنت من برد الرضى والتسليم، فلماذا قال أخاف أن تشغلني حلاوتهما عن الله، فقلت يا سيدي سمعتك البارحة تقول: اللهم إن قوماً سألوك، أن تسخر لهم خلقك، فسخرت لهم خلقك فرضوا منك بذلك، اللهم فإني أسألك اعوجاج الخلق عليّ حتى لا يكون ملجئي إلّا إليك. فتبسم ثم قال: يا بني عِوَض ما تقول سخر لي خلقك، قل يا رب كن لي أترى إذا كان لك أيفوتك شيء فما هذه الجبابة.

وقال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه: كنت أنا وصاحب لي قد أوينا إلى مغارة تطلب الوصول إلى الله فكنا نقول غداً يفتح لنا، بعد غد يفتح لنا فدخل علينا رجل له هيبة، فقلنا من أنت: فقال: عبد الملك، فعلمنا أنه من أولياء الله، فقلنا له: كيف حال من يقول غداً يفتح لي بعد غد يفتح لي، فلا ولاية ولا فلاح يا نفس لم لا تعبدين الله؟ قال: فتفطنا من أين دخل علينا فتبنا واستغرفنا ففتح لنا.

وقال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه: كنت يوماً بين يدي الأستاذ، فقلت في نفسي: ليت شعري هل يعلم الشيخ اسم الله الأعظم؟ فقال ولد الشيخ وهو في آخر المكان الذي أنا فيه: يا أبا الحسن ليس الشأن من يعلم الاسم، الشأن من يكون هو عين الاسم. فقال الشيخ: من صدر المكان أصاب وتفرس فيك ولدي.

وقيل للشيخ أبي الحسن: يا سيدي لم لا تسمع السماع؟ فقال: السماع، من الخلق جفاء.

وأخبرني بعض أصحابنا قال: استشفع طالب بالشيخ أبي الحسن رضي الله عنه على القاضي تاج الدين ابن بنت الأعز أن يزاد على مرتبه، فذهب الشيخ إليه فأكبر القاضي تاج الدين مجيء الشيخ وقال له: سيدي فيم جئت؟ فقال: من أجل فلان الطالب لنزيده في مرتبه عشرة دراهم. قال، فقال له القاضي تاج الدين: يا سيدي هذا له في المكان الفلاني كذا، وفي المكان الآخر كذا، وفي موضع كذا كذا. قال، فقال له الشيخ أبو الحسن: يا تاج لا تستكثر على مؤمن عشرة دراهم تزيده إياها فإن الله تعالى لم يقنع بالجنة للمؤمن جزاء حتى زاده النظر إلى وجهه الكريم فيها، وقال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه: سمعت الحديث الوارد عن رسول الله- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ-: **"إنه ليغان على قلبي حتى أستغفر الله في اليوم سبعين مرة"**[61]، فأشكل عليَّ معناه، فرأيت الرسول- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ- وهو يقول لي: يا مبارك، ذاك غين الأنوار لا غين الظلم والأكدار.

وقال رضي الله عنه: سمعت الحديث المروي عن رسول الله- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ-: **"من سكن خوف الفقر قلبه، قلما يرفع له عمل"** فمكثت سنة أظن أنه لا يرفع عملي، أقول ومن يسلم من هذا فرأيت الرسول- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ- في المنام وهو يقوم لي: "يا مبارك أهلكت نفسك، فرّق بين خطر وسكن".

وقال رضي الله عنه: رأيت الصديق في المنام، فقال لي: أتدري ما علامة خروج حب الدنيا من القلب؟ قال: قلت لا أدري. قال: علامة خروج حب الدنيا من القلب بذلها عند الوجد، ووجود الراحة منها عند الفقد.

وقال رضي الله عنه: استنار قلبي يوماً فكنت أشهد ملكوت السموات السبع والأراضين السبع فوقعت مني هفوة فحجبت عن شهود ذاك، فتعجبت، كيف حجبني هذا الأمر الصغير عن هذا الأمر الكبير؟ فإذا النداء علي يقول لي: البصيرة كالبصر أدنى شيء يحل فيها يعطل النظر. ولنقبض عنان المقال لئلا نخرج عن غرض الكتاب، وإلا فكلام الشيخ رضي الله عنه أشهر من أن ينبه عليه، وأكثر ما ذكرته هنا لا يوجد في الكلام المنسوب إليه. وقد مضى من كلامه في المقدمة، وسياتي في أثناء الكتاب إن شاء الله، وحسبك من كلامه ما ذكره من كرامات القطب وما ذكره من طريق الخصوص والعموم والعلوم والحقائق والأسرار وحلاوة اللفظ، ووجازته مع الاشتمال على المعاني الكثيرة والهيبة التي تجدها عند ذكرك لكلامه واستماعك إياه قل أن تجد ذلك في شيء من كلام أهل الطريق إماماً قال في كرامات القطب فقال رضي الله عنه: للقطب خمسة عشر كرامة، فمن ادعاها أو شيئاً منها فليبرز بمدد الرحمة، والعصمة، والخلافة، والنيابة، ومدد حملة العرش

العظيم، ويكشف له عن حقيقة الذات، وإحاطة الصفات، ويكرم بكرامة الحكم والفصل بين الوجودَيْن وانفصال الأول عن الأول وما انفصل عنه إلى منتهاه، وما ثبت فيه وحكم ما قبل وما بعد وحكم ما لا قبل له ولا بعد وعلم البدء وهو العلم المحيط بكل علم وبكل معلوم بدا من السر الأول إلى منتهاه ثم يعود إليه فهذا معيار أعطاه الشيخ يختبر به من ادعى هذه الرتبة العظيمة القائمة بكفالة الأسرار والمحيطة بمدد الأنوار وهذا نحو ما ذكره العارف بالله أبو عبد الله الترمذي الحكيم في كتاب ختم الأولياء له أن من ادعى الولاية فيقال له صف لنا منازل الأولياء فذكر مسائل معياراً على من ادعى الولاية.

ولقد أخبرني الشيخ مكين الدين الأسمر قال: مكثت أربعين سنة يشكل عليَّ الأمر في طريق القوم فلا أجد من يتكلم عليه ويزيل عني إشكاله حتى ورد الشيخ أبو الحسن فأزال عني كل شيء أشكل علي ولما قدم الشيخ صدر الدين القونوي إلى ديار مصر رسولاً اجتمع بالشيخ أبي الحسن وتكلم بحضرته بعلوم كثيرة والشيخ مطرق إلى أن استوفى الشيخ صدر الدين كلامه فرفع الشيخ أبو الحسن الشاذلي رأسه وقال:

أخبروني: أين قطب الزمان اليوم ومن هو صديقه وما علومه؟ قال: فسكت الشيخ صدر الدين ولم يرد جواباً وطريقه رضي الله عنه طريق الغني الأكبر، والتوصل العظيم حتى أنه كان يقول ليس الشيخ من ذلك على تعبه، إنما الشيخ من ذلك على راحته. ونشأ رضي الله عنه على يديه رجال منهم من أقام بالمغرب كأبي الحسن الصقلي، وكان من أكابر الصديقين، وعبد الله الحبيبي وكان من أكابر أولياء الله تعالى ومنهم من أتى معه وهاجر معه إلى ديار مصر، منهم سيدنا ومولانا حجة الصوفية علم أهل الخصوصية شهاب الدين أحمد بن عمر الأنصاري المرسي رضي الله عنه ومنهم الحاج محمد القرطبي وأبو الحسن البجائي وأبو عبد الله البجائي والوجهانيُّ والخراز. ومنهم من صحبه بديار مصر منهم الشيخ مكين الدين الأسمر والشيخ عبد الحليم والشيخ الشرف البوني والشيخ عبد الله اللقاني والشيخ عثمان البورجيّ والشيخ أمين الدين جبريل ولكل من هؤلاء علوم وأسرار وإسراآت وأصحاب أخذوا عنهم تركنا تتبع كراماتهم وخصوصياتهم لئلا نخرج عن غرض الكتاب.

وطريقه رضي الله عنه تنتسب إلى الشيخ عبد السلام بن مشيش والشيخ عبد السلام ينسب إلى الشيخ عبد الرحمن المدني ثم واحد عن واحد إلى الحسن بن علي بن ابي طالب رضي الله عنه وكرم الله وجهه.

وسمعت شيخنا أبا العباس رضي الله عنه يقول: (طريقتنا) هذه لا تنتسب للمشارقة ولا للمغاربة بل واحد عن واحد إلى الحسن بن علي بن أبي طالب وهو أول الأقطار وإنما يلزم تعيين المشايخ الذين تستند إليهم طريق الأنساب من كانت طريقة بلبس الخرقة فإنها رواية والرواية تتعين بتعين رجال سندها. وهذه هداية وقد يجذب الله العبد إليه فلا يجعل عليه منة لأستاذ وقد يجمع شمله برسول الله- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ- فيكون آخذاً عنه وكفى بهذا منة.

ولقد قال لي الشيخ مكين الدين الأسمر رضي الله عنه أنا ما رباني إلا رسول الله- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ- وذكر عن الشيخ عبد الرحيم القناوي رضي الله عنه أنه كان يقول أنا لا منة لأحد عليَّ إلا لرسول الله- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ- وإذا أراد الله أن يتفضل على عبده ويغنيه عن الأستاذين حتى لا يكون له فيهم سلف فعل. وقال مالك لبعض جلسائه: إني أريد أن أجعلك وزيراً قال ليس لي في هذا

سلف. قال: إني أريد أن أجعلك سلفاً لمن بعدك ولنقتصر على هذا القدر فإنه كاف في التعريف بقدر الشيخ أبي الحسن رضي الله عنه وما الأمر إلا كما قال القائل:

وقــد وجــدت مكــان القــول ذا ســعة فــإن وجــدت لــساناً قــائلاً فقــل

وبدأنا بذكر الشيخ أبي الحسن رضي الله عنه، وإن قصدنا في وضح الكتاب ذكر مناقب شيخنا أبي العباس رضي الله عنه، لكن فعلنا ذلك لأمرين أحدهما أن ذلك تعريف بقدر الشيخ أبي العباس لأن شرف التابع بشرف المتبوع ولأن الشيخ رضي الله عنه كان هذا شأنه ذكر الشيخ والدلالة عليه والإعراض عن ذكر خصائصه هو في نفسه حتى قال له إنسان يا سيدي نراك تقول قال الشيخ. وقل أن تسند لنفسك شيئاً. (فقال الشيخ: لو أردت على عدد الأنفاس أن أقول قال الله ولو أردت على عدد الأنفاس أن أقول قال رسول الله- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ-، ولو شئت على عدد الأنفاس أن أقول قلت أنا قلت أنا، ولكن أقول قال الشيخ وأترك ذكر نفسي أدباً) وقد تم الكلام في هذا الباب الأول، والله سبحانه وتعالى أعلم.

الباب الثاني
في شهادة الشيخ له أنه الوارث للمقام، والحائز قصب السبق بالتمام وإخباره هو عن نفسه بما منّ الله به عليه هن النعم الجِسام، وشهادة الأولياء له أنه بلغ من الوصول إلى الله تعالى لأفضل مرام

ولنقدّم أمام ذلك مقدمة. اعلم أن الوارث للرجل هو الظاهر بعلمه وحاله وهو الذي يظهر طريق الموروث على يديه يفسر مجملها ويبسط مختصرها ويرفع منارها ويبث أنوارها يعرف الناس بما كان ذلك الرجل الكبير عليه من العلم **ب**الله تعالى والمعرفة والنفوذ إليه والاحتظاء من نوره حتى إذا فرط الناس في محبة ذلك الرجل الكبير وتعظيمه في حال حياته استدركوا ذلك بعد وفاته، لأن كل مقدور عليه مزهود فيه، وكل معجوز عنه متطلع إليه بشغف.

حتى لقد سمعت الشيخ أبا العباس رضي الله عنه يقول: يكون الرجل بين أظهرهم فلا يلقون إليه بالاً حتى إذا مات قالوا كان فلان وربما دخل في طريق الرجل بعد وفاته أكثر مما دخل فيها في حياته، والذي ظهر بهذه الأوصاف هو الشيخ أبو العباس رضي الله عنه الذي بث علوم الشيخ أبي الحسن رضي الله عنه، ونشر أنوارها وأبدى أسرارها، وسار الناس إليه من أقاصي البلاد وأقبلوا مسرعين إليه من كل ناد فنشأت على يديه الرجال وبصرها وأظهرها بالمقال، والفعال حتى انتشرت في الآفاق الأصحاب، وأصحاب الأصحاب وظهرت علوم الشيخ في مظهري لسان وكتاب.

وأخبرني الشيخ الصالح الأمين العدل زكي الدين الأسواني قال: قال لي الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه يا زكي عليك بأبي العباس فوالله إنه ليأتيه البدوي يبول على ساقيه فلا يمسي عليه المساء، إلا وقد وصله إلى الله. يا زكي عليك بأبي العباس، فوالله ما منّ لله كان أو هو كائن إلا وقد أظهره الله عليه. يا زكي أبو العباس هو الرجل الكامل.

وسمعت الشيخ أبا العباس رضي الله عنه يقول عن نفسه: والله ما سار الأولياء والأبدال من (قاف) إلى (قاف) إلّا حتى يلقوا واحداً مثلنا فإذا لقوة كان بغيتهم. ثم قال: والله الذي لا إله إلا هو ما من ولي لله كان أو هو كائن إلا وقد أطلعني الله عليه وعلى اسمه ونسبه، وكم حظه من الله تعالى.

وبلغني عن الشيخ أبي الحسن رضي الله عنه أنه كان يقول: أبو العباس شمس، وعبد الحكيم قمر، وعبد الحكيم هذا ولي كبير من أصحاب الشيخ أبي الحسن رضي الله عنه، وقد تقدم ذكره.

وسمعت الشيخ أبا العباس رضي الله عنه يقول: قال الشيخ أبو الحسن سمعت يقال لي لن تهلك أمة فيها أربعة: إمام، وولي، وصديق، وسخي. قال الشيخ أبو الحسن: الإمام (هو أبو العباس).

وسمعت الشيخ أبا العباس رضي الله عنه يقول: ليس الشأن من ملك الشأن من ملك وملك أن يملك وأنا والله ملكت. وملكت أن أملك من ستة وثلاثين سنة.

وسمعته يقول: الولي إذا أراد أغنى، وسمعته يقول والله ما بيني وبين الرجل إلا أن أنظر إليه نظرة وقد أغنيته.

وسمعته يقول: قال الشيخ أبو الحسن: يا أبا العباس ما صحبتك إلا لتكون (أنت أنا) و(أنا أنت)
وسمعته يقول: قال لي الشيخ يا أبا العباس فيك ما في الأولياء، وليس في الأولياء ما فيك.
وأخبرني بعض أهل البهنسا، قال قدم علينا الشيخ أبو العباس فقال لي: الآن خمس وعشرون سنة ما حجبت فيها عن الله طرفة عين. ثم قال غاب عنا خمس عشرة سنة ثم قدم علينا فقال لي: الآن أربعون سنة ما حجبت عن الله طرفة عين. وقال يوماً: والله لو حجب عني رسول الله- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ- طرفة عين ما عددت نفسي من المسلمين.
وأخبرني بعض أصحابه قال دخل عليه بدمنهور إنسان، فلما أراد أن يخرج قال: يا سيدي صافحني فإنك قد لقيت عباداً وبلاداً فلما خرج قيل ما الذي يعني ببلاد وعباد؟ فقال: إنسان يريد أنك صافحت عباداً وسلكت بلاداً اكتسب بركاتها فإذا صافحك حصل له منك بركة فضحك الشيخ ثم قال: (والله ما صافحت بهذه اليد إلا رسول الله- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ-).
وكان بنشيل القناطر رجل يقال له خليل، وهو الآن مدفون بها وكان من أولياء الله تعالى. قال: دخل علي الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه فتوضأ عندي، ثم أخذ قوساً لي فجرها ثلاثاً فقلت له: يا سيدي من هو الخليفة بعدك؟ فقال: (من يأتيك إلى ههنا ويتوضأ نحو وضوئي هذا ويجر هذا القوس ثلاثاً فهو الخليفة بعدي). قال: فدخل على أصحاب الشيخ أجمعهم وأنا أترصد هل يفعل ذلك أحد؟ فلم يتفق حتى دخل الشيخ أبو العباس رضي الله عنه عليَّ في ذلك المكان وتوضأ نحو وضوء الشيخ ورفع بصره فوجد القوس معلقاً، فقال: ناولني تلك القوس فناولته إياها فجرها ثلاث مرارا ثم قال: يا خليل جاءك وعد الشيخ.
وبلغني عن الشيخ ابي الحسن أنه قال هذا أبو العباس مذ نفذ إلى الله لم يحجب ولو طلب الحجاب لم يجده.
وقال الشيخ أبو العباس رضي الله عنه: كنت ليلة من الليالي جالساً بالإسكندرية أكتب كتاباً ببعض أصحابنا وإذا بالشيخ خليل هذا في الهواء فقلت له: إلى اين انتهيت في سياحتك في هذه الليلة؟ فقال: خرجت من نشيل وانتهيت إلى جبال الزيتون بالمغرب الأقصى وأنا أريد أن أذهب إلى بيت المقدس، وأعود إلى بلدتي ولو بسطت لي أكثر من ذلك لانبسطت. قال الشيخ، فقلت له ليس الشأن أن تذهب إلى جبال الزيتون وتعود من ليلتك ولكن، أنا الساعة لو أردت أن آخذ بيدك وأضعك على [جبل] (قاف) وأنا ههنا فعلت.
وأخبرني أبو عبد الله بن سلطان وكان من أولياء الله قال: أردت أن أرسل إلى الشيخ أبي العباس عسلاً فقلت لبعض أصحابي فقال لي: عندي نصفيتان عسل فراخ أي (جرتان صغيرتان) فأتِ إليّ بهما فسددتهما، وكتب عليهما وديعة الشيخ أبي العباس المرسي. وأتيت بهما إلى بحر تونس فأدليتهما فجاءني الخبر من عنده أنهما وصلا إليه.
وأخبرني بعض أصحابه قال: كان الشيخ جالساً يوماً فقال لبعض أصحابه قم بنا فأتى على بحر السلسلة وأدلى يديه فأخرج الجرتين. وأخبرني عبد الدايم ابن الشيخ ماضي، وماضي هذا أحد أصحاب الشيخ أبي الحسن رضي الله عنه، وهو أخو أبي عبد الله بن سلطان، قال: صليت ليلة عند الشيخ أبي العباس قيام شهر رمضان، فلما فرغ من الصلاة قال لولده خذ ابن عمك واصعد به إلى فوق، قال: فطلعنا عند الشيخ فوضع لنا قطائف وعسلاً. وقال هذا العسل من عند عمك. فلما ذهبت إلى والدي قال لي: أبطأت الليلة لقد شغلت قلبي. قلت: كنت عند الشيخ أبي العباس وأطعمني

قطائفاً وعسلاً وقال هذا العسل من عند عمك. قال: فقال أبي عجب هذا، لي في ديار مصر عشرون سنة ما أرسل إليَّ أخي شيئاً قط، حتى بلغه بأن وصول العسل كان على الوجه الذي تقدم.
وكان يقول: (والله لو حجبت عني جنة الفردوس طرفة عين ما عددت نفسي مع المسلمين). وكان يقول: (لو فاتتني الوقوف بعرفة في سنة ما عددت نفسي مع المسلمين).
وسمعته رضي الله عنه يقول: كان الشيخ إذا أوذيت من بعض أصحابه أصبر فوالله ما هي إلا لك أي ما الوراثة إلا لك.
ووجدت بخط الشيخ ابن ناشي أخبرنا الشيخ جلال الدين عن الشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه، أنه قال: البس اليوم أبو العباس ثياب البدليّة حين مجيئهم من الحجاز بالمراس بالجذير قال ابن ناشي: فكتبت إلى شيخي ابي العباس رضي الله عنه في ذلك شعراً:

علـــى ذلـــك الـــوجه الجمـــيل تحيتـــــي فـيا رب بلغنـــي علـــى بـــاب قدوتـــي

أقـــــبل أقـــــداماً ســـــعت نحـــــو خلـــــوة بهـــا جلـــــوة للـــشيخ أعظـــم جلـوة

فأخـرج من ضيق الظـلال إلى الهدى وصـحح لـي عقـدي وعهدي ونيتـي

واشـــرقت الأنـــوار مـــن كـــل وجهـــة بتلقيـــــنه الأذكـــار فـــي كــــل زورة

وأبصـرت ما أبصـرت من ذلك الـذي فـــلا تـسألوا يـا قـوم عن تلكـم التي

أنـــــــوح علـــــيها لا أبـــوح ببعـــضها ولكننـــي إن بحـــت بحـــت بعبـــــرة

فسبحان من أعمى القلوب عن الذي تـــصرّف فـــي ســـر القلـــوب بهمّـــة

ومـــــن ذا الـــذي ربـــي بحـــضرة شـــيخه فأكـــرم بهـــا مـــن حضرة بعد حـضرة

وكـــان جُذَيْـــراً في الجذَيْـــر[62] بحلـــة غـــدت حلـــة الأبـــدال أو ل ســـفرة

كـذلك قـــــال الـــشيخ وهـــو مـــسافر بـــلا وقفـــة للـــركب فـي عـــام وقفـــه

أفـــي الـــوقت ربـــان كأحمـــد الـــذي أتانـــي فربانـــي علـــى حـــين فتـــرة

ومدحـــــي لـــــه مـــدح لأحمـــد الـــذي عـــلا فـــي العـــلا أعلى مقام المحبّة

فـــصلى علـــيه الله مـــا ســـار ســـائر إلـــى قبـــره بعـــد القـــيام بحجـــة

وأخبرنا الشيخ الإمام العارف نجم الدين عبد الله الأصفهاني نزيل مكة قال: قال لي الشيخ: صحبته وأنا ببلاد العجم أنك ستلقى القطب بديار مصر فخرجت من بلادي، قاصداً لذلك. فأنا في بعض الطريق وإذا بجماعة من التتار فأمسكوني وقالوا هذا جاسوس فكتفوني ثم تشاوروا فيّ. فقال بعضهم: نقتله. وقال آخرون: لا نقتله فبت مكتوفاً ففكرت في أمري، فقلت: خرجت من بلادي أريد

لقا من يعرفني بالله والله ما جزعي من الموت ولكن كيف أموت قبل أن أنال ما قصدت؟ فعملت أبياتاً ضمنت فيها شعر امرئ القيس منها:

وقـــــد أوطـــــأت نعلـــي كـــل أرض وقـــد أتعــبت نفـــسي باغترابـــــي

وقـــد طفـــت فـــي الآفـــاق حتـــى رضـــيت مـــن الغنـــيمة بالإيـــاب

فما استتممت الإنشاد إلا وأنا أرى رجلاً كث اللحية ظاهر الهيبة أتى إليَّ كالبازي إذا انقض على الفريسة فحل كتافي، وقال: قم يا عبد الله فأنا مطلوبك. ثم إني قدمت ديار مصر، فقيل لي ههنا رجل يقال له أبو العباس المرسي فذهبت إليه فإذا هو ذلك الرجل الذي حل وثاقي وقال لي: لقد أعجبني تضمينك ليلة أسرت وقولك وذكر الأبيات إلى آخرها.

وأخبرني الشيخ نجم الدين أيضاً قال: قال لي شيخي إذا لقيت القطب فلا تصلينَّ وهو وراءك فجئت يوماً إلى أبي العباس وهو بالإسكندرية عند صلاة العصر. فلما دخلت عليه قال: أصليت العصر؟ قلت: لا. قال: قم فصل. وفي المكان الذي هو فيه إيوانان قبليٌّ وبحري. وكان الشيخ جالساً في البحري. فلما قصت لأصلي ذكرت ما قاله لي شيخي إذا لقيت القطب فلا تصلين وهو وراءك وعلمت أني إذا صليت كان الشيخ وراء ظهري، فأقام الله بقلبي حالة وقلت حيثما كان الشيخ هنالك القبلة. فتوجهت لناحية الشيخ وأردت أن أكبر. فقال الشيخ: لا لا هو لا يرضيه خلاف السنة.

وقال رضي الله عنه: ماذا أصنع بالكيمياء؟ والله لقد صحبت أقواماً ما يعبر أحدهم على الشجرة اليابسة فيشير إليها فتثمر رماناً للوقت. فمن صحب هؤلاء الرجال ماذا يصنع بالكيماء؟

وأخبرني بعض أصحابنا، قال: كنت أصحب بمدينة قوص الشيخ أبا عبد الله البجايّ أحد أصحاب الشيخ أبي الحسن الشاذلي فكان يقع لي الأمر فأسأل عنه الشيخ أبا عبد الله فيقول: ليس الأمر لي. ولكن إن جمع الله بينك وبين الشيخ أبي العباس المرسي تجد عنده ما تريد.

وقال: رأيت في المنام كأن معي طبقاً فيه بُسْرٌ وحوارٌ يأكل منه فعبرته فقيل هذا رجل كبير لك على يديه علوم، بعدما أتى وقتها فلما ورد الشيخ أبو العباس إلى مدينة قوص دخلت عليه فسألته عما كان يقع لي فأجابني عن ذلك، وقال: تذكر رؤياك البسر والحوار يأكل منه، أنا ذلك الحوار.

وتجاريت الكلام يوماً مع الشيخ مكين الأسمر رضي الله عنه فقلت له عن الشيخ أبي العباس قال الشيخ كذا، وقال كذا إلى أن تمادى بنا الكلام والفقيه مكين يستغرب تلك الحقائق التي أقولها عن الشيخ إلى أن قال: نقول لك الحق ما عرفنا الشيخ أبا العباس فهذا اعتراف من الشيخ مكين الدين بعظيم شأن الشيخ أبي العباس وأنه لم يعرفه مع أن الشيخ أبا الحسن الشاذلي شهد للشيخ مكين الدين الأسمر أنه من السبعة الأبدال. وكنت يوماً عند الشيخ أبي العباس الدمنهوري، وعنده إنسان من أصحاب أبي العباس. فقال له: إنسان يا سيدي هذا من أصحاب أبي العباس المرسي فقال الشيخ أبو العباس الدمنهوري: سيدي أبو العباس المرسي ملك من ملوك الآخرة.

وأخبرني سليمان بن الباخس قال: دخلت على الشيخ أبي العباس الدمنهوري فسمعته يقول: يا رب هذاك أبو العباس، وأنا أبو العباس، ويكرر ذلك. فقلت: يا سيدي! من أبو العباس؟ قال المرسي: يا بني ما من أسوان إلى الإسكندرية رجل مثله. ثم قال ما من أسوان إلى دمياط إلى الإسكندرية رجل مثله؟

وأخبرني سليمان هذا. قال: لقيت يوماً الشيخ أبا العباس المرسي وقد خرج من الحمام فعزمت عليه فطلع عندي فقدمت له من البطيخ الصالحي، وهو في أثناء أكله سألته عن رجل كان كثير الشهوة يرحل بالخلق الكثيرين والرايات ولا يحضر صلاة الجمعة. فلما ذكرته للشيخ تغير وقال: والله لو علمت أنك تذكره لي ما طلعت عندك، تذكرون بين يدي الأبدال والأولياء أهل البدع.
وسمعته يقول: والله ما كان اثنان من أصحاب هذا العلم في زمن واحد قط إلا واحد عن واحد إلى الحسن.
وأخبرني جماعة من أهل أشموم قال: قدم علينا الشيخ أبو الحسن البجايٌّ من أصحاب الشيخ أبي الحسن الشاذلي فكان يتكلم علينا فيعجبنا كلامه فإذا رأى إعجابنا بذلك قال: كيف لو رأيتم الشيخ أبا العباس المرسي لو أطلق أبو العباس لساني؟ لتكلمت بالعلم الغريب.
وسمعته يقول: كان يتكلم في هذا العلم ثلاثة: الشيخ أبو الحسن وصاحبه أبو الحسن الصقلي، وأنا. توفي الشيخ رضي الله عنه، وتوفي أبو الحسن الصقلي، ولا أعلم اليوم على وجه الأرض أحداً يتكلم في هذا العلم غيري، وكنت أنا حين توفي الشيخ أبو العباس بالقاهرة، فدخلت يوماً زاوية الشيخ صفي الدين بن أبي المنصور فجلست فيها، فقال واحد من الفقراء يخاطب آخر: يا أخي لقد مات رجل كبير. فقال له الآخر: من هو؟ قال: الشيخ أبو العباس المرسي. وهما لا يعلمان أني من أصحاب الشيخ. أتدري ما له اتفق مع شيخنا صفي الدين؟ قال: لا. قال: سمع الشيخ ليلة ههنا ذكراً لا يعهده. فقال لي: اذهب فانظر من هذا؟ فذهبت فإذا هو الشيخ أبو العباس وأصحابه فرجعت إلى الشيخ صفي الدين فأخبرته، فقال: يأتي هذا الرجل هنا ولا يزورنا. ما هذا إلا أمر عجيب! قال ثم أصبح الشيخ صفي الدين فقال لأصحابه: رأيت البارحة كأني في فلاة من الأرض وأبو العباس في موضع مرتفع، وهو يقول لي: يا أخي يأبى الله أن نجتمع إلا هكذا، وقال الشيخ أبو عبد الله النعمان: الشيخ أبو العباس المرسي وارث علم الشاذلي حقيقة، وأخبرني بعض أهل البهنسا قال: قال لي الشيخ أمين الدين جبريل تريد أن أريك ولياً من أولياء الله تعالى؟ قلت: نعم. قال: أمض بنا فأتى بي إلى الشيخ أبي العباس، وقال هو هذا.
وأخبرني بعض اصحابه قال: عزم على الشيخ إنسان فقدم إليه الطعام يختبره به فأعرض الشيخ عنه، ولم يأكله ثم التفت إلى صاحب الطعام، وقال: (إن كان الحارث بن أسد الحاسبي في أصبعه عرق إذا مد يده إلى الطعام فيه شبهة تحرك عليه)، فأنا في يدي ستون عرقاً تتحرك عليّ، إذا كان مثل ذلك. فاستغفر صاحب الطعام واعتذر للشيخ.
ومن المشهور بين اصحاب الشيخ أبي العباس وغيرهم أن الشيخ كان يوماً بالقاهرة في دار الزكي السراج وكتاب المواقف للنفري يقرأ عليه.
فقال: أين أبو العباس؟ فلما جاء قال: تكلم يا بني بارك الله فيك تكلم ولن تسكت بعدها أبداً. فقال الشيخ أبو العباس: فأعطيت في ذلك الوقت لسان الشيخ. ولقد كان علماء الزمن يسلمون له هذا الشأن حتى كان شيخنا الإمام العلامة سيف المناظر حجة المتكلمين شمس الدين الأصفهاني، والشيخ العلامة شمس الدين الأيكيُّ يجلسان بين يديه جلوس المستفيد، آخذين عنه، ومتلقين ما بيديه حتى سأله أحدهما عن بعض المشايخ الظاهرين في الوقت يا سيدي: أتعرفه؟ فقال الشيخ: أعرفه هنا، وأشار إلى الأرض، ولا أعرفه هناك، وأشار إلى السماء.
وسأله أحدهما عن إنسان كان بدمشق الغالب عليه السكر والغيبة. فقال الشيخ رضي الله عنه: كل من لا يكون له في هذه الطريقة شيخ لا يفرح به.

وكان من مذهبه رضي الله عنه إنه لا يلزم أن يكون القطب شريفاً حسينياً بل قد يكون من غير هذا القبيل.
وتكلم يوماً في القطب وأوصافه، ثم قال: (وما القطبانية، بعيدة من بعض الأولياء واشار إلى نفسه).
وأخبرني بعض أصحابه قال: استلقى الشيخ يوماً على ظهره وأمسك بلحيته وقال: (لو علم علماء العراق والشام ما تحت هذه الشعرات لأتوها، ولو سعياً على وجوههم).
وكان يقول: والله ما نطالع كلام أهل الطريق إلا لنرى فضل الله علينا.
وقال في الإمام أبي حامد الغزالي رضي الله عنه: إنّا لنشهد له بالصديقيَّة العظمى.
وكان الشيخ أبو الحسن يقول: إذا عرضت لكم إلى الله حاجة فتوسلوا إليه بالإمام أبي حامد الغزالي.
وكان يقول عن شيخه أبو الحسن: كتاب الأحياء يورثك العلم، وكتاب القوت يورثك النور.
وكان يقول عن الشيخ أبي الحسن: عليكم بالقوت فإنه قوت، وكان هو والشيخ أبو الحسن كل منهما يعظم الإمام الرباني محمد بن علي الترمذي، وكان لكلامه عندهما الحظوة التامة، وكان يقول عنه إنه أحد الأربعة الأوتاد.
ودخلت عليه يوماً فوجدته مغموساً في وارد ورد عليه.
فقال: سمعت البارحة يقال لي السلام عليكم يا عبادي، ثم قال وهذا قد سمعته في السنة مرة أو مرتين، وهذا من الحديث الذي قال فيه أبو العباس بن العريف شعراً:

بدا لك سرٌّ طال عنك اكتتامه ولاح صباح كنت أنت ظلامه

فأنت حجاب القلب عن سر غيبه ولولاك لم يطبع عليه ختامه

فإن غبت عنه حل فيه وَطَنِبْت على موكب الكشف المصون خيامه

وجاء حديث لا يمل سماعه شهي إلينا نشره ونظامه

الباب الثالث
في مجرياته، ومنازلاته، وما اتفق لأصحابه معه ومكاشفاته

سمعت الشيخ أبا العباس رضي الله عنه يقول: كنت وأنا صبي عند المؤدب جاء رجل فوجدني أكتب في لوح، فقال لي الصوفي لا يسود بياضاً، قال: فقلت ليس الأمر كما زعمت، ولكن لا يسود بياض الصحائف بسواد الذنوب.

وسمعته يقول: عمل إلى جانب دارنا خيال الستارة، وأنا إذ ذاك صبي فحضرته، فلما أصبحت أتيت إلى المؤدب، وكان من أولياء الله تعالى فأنشد حين رآني:

يــا ناطــراً صــور الخيال تعجـبـاً وهـو الخـيال بعيـنـه لــو أبــصرا

وقال رضي الله عنه: رأيت ليلة كأني في سماء الدنيا، وإذا برجل أسمر اللون قصير الطول كبير اللحية، فقال: (قل اللهم اغفر لأمة محمد، اللهم ارحم أمة محمد، اللهم استر أمّة محمد اللهم اجبر أمة محمد)، هذا دعاء الخضر من قاله كل يوم كتب من الأبدال. فقيل لي: هذا الشيخ ابن أبي شامه. فلما انتهيت وأتيت إلى الشيخ أبي الحسن رضي الله عنه فجلست ولم أخبره بشيء. فقال: اللهم اغفر لأمة محمد الدعاء من قاله كل يوم كتب من الأبدال.

وقال رضي الله عنه: كنت أخرج كل يوم من باب البحر نحو المنار، فخرجت يوماً إلى المنار فنمت عند الجانب الشرقي، وكان قد خطر في نفسي ما سبب قلة رواية أبي بكر الصديق رضي الله عنه عن رسول الله- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ- مع كثرة ملازمته له فإذا (عليّ) يقول لي أعلم الناس بعد رسول الله- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ- أبو بكر الصديق، وإنما قَلَّت روايته عنه لتحققه به.

وقال رضي الله عنه: طالعت مقام الرحمة فإذا (عليّ) يقول لي: والله ليكونن من رحمة يوم القيامة ما ينال منها ابن أبي الطواحين وكان ابن أبي الطواحين هذا قد قتل الشيخ القطب عبد السلام بن مشيش شيخ الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنهما. وقال رضي الله عنه: كنت مع الشيخ في مدينة الرسول- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ- فأردت أن أزور حمزة رضي الله عنه فخرجت من المدينة فتبعني رجل فأتينا إلى التربة فإذا الباب مغلق فانفتح الباب ببركة رسول الله- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ- فدخلنا فوجدنا هنالك رجل من الأبدال، فقلت للرجل الذي تبعني: ادع لي في هذا الوقت بما تريد فإنه يستجاب لك. فدعا ذلك الرجل أن يعطيه الله ديناراً. فلما رجعنا إلى المدينة لقيه رجل فأعطاه ديناراً. فلما دخل على الشيخ أبي الحسن قال له: يا بطال صادفت وقت إجابة. فسألت الله ديناراً هلّا سألت الله كما سأله أبو العباس رضي الله عنه سأله أن يكفيه همّ الدنيا وعذاب الآخرة، وقد استجاب الله تعالى له في ذلك.

وقال رضي الله عنه: كنت جالساً بين يدي الأستاذ فدخل عليه جماعة من الصالحين. فلما خرجوا من عنده، قال هؤلاء الأبدال فنظرت ببصيرتي فلم أجدهم أبدالاً فتحيرت بين ما أخبر به الشيخ وبين ما شهدته بصيرتي فبعد ذلك بأيام. قال الشيخ من بدلت سيآته حسنات فهو بدل فعلمت أن الشيخ أراد أول مراتب البدلية.

وأخبرني الشيخ العارف نجم الدين الأصفهاني قال: قال الشيخ أبو العباس يوماً ما اسم كذا وكذا بالعجمية؟ خطر لي أن الشيخ يجب أن يقف على اللغة العجمية، فأتيت إليه بكتاب الترجمان.
فقال الشيخ رضي الله عنه: ما هذا الكتاب؟ قلت: كتاب الترجمان. قال: فضحك الشيخ وقال: سل ما شئت بالعجمية أجبك بالعربية أو سل ما شئت بالعربية أجبك بالعجمية. فسألته بالعجمية فأجابني بالعربية وسألته بالعربية فأجابني بالعجمية. وقال: يا أبا عبد الله ما أردت بقولي ما اسم كذا؟ إلى مباسطتك وإلا فلا يكون صاحب هذا الشأن ويخفى عليه شيء من الألسنة، وأخبرني أيضاً قال: قال لي الشيخ أبو العباس يوماً كم بين بلدة كذا وبلدة كذا من نهر لبلدتين من بلاد العجم؟ فقلت: أربعة أنهار. فقال: والنهر الذي غرقت فيه. فذكرت أني نسيت نهراً أتيت لأخوضه فكدت أن أغرق فيه.
وأخبرني الشيخ العارف ياقوت قال: عزم عليَّ إنسان فقدم لي طعاماً فرأيت عليه ظلمة كالمكب فقلت في نفسي: هذا حرام فامتنعت من أكله، ثم دخلت على الشيخ أبي العباس رضي الله عنه فقال لي: أول ما جلست ومن جهل بعض المريدين أن يقدم له طعام فيرى عليه ظلمة، فيقول هذا حرام يا مسكين ما يساوي ورعك بسوء ظنك بصاحبك المسلم هلّا قلت هذا طعام لم يردن الله به.
ودخلت أنا عليه وفي نفسي ترك الأسباب والتجرد وترك الاشتغال بالعلم الظاهر قائلاً إن الوصول إلى الله لا يكون على هذه الحالة فقال لي من غير أن أبدي له شيئاً، صحبني بقوص إنسان يقال له ابن ناشي، وكان مدرساً بها ونائب الحكم فذاق من هذه الطريق شيئاً على يدينا. فقال: يا سيدي أترك ما أنا فيه وأتفرغ لصحبتك. فقلت له: ليس الشأن ذا ولكن امكث فيما أقامك الله، وما قسم لك على أيدينا هو إليك واصل. ثم قال: هكذا شأن الصديقين لا يخرجون من شيء حتى يكون الحق هو الذي يتولى إخراجهم فخرجت من عنده، وقد غسل الله تلك الخواطر من قلبي، وكأنها ثوباً نزعته ورضيت عن الله فيما أقامني فيه.
وأخبرني بعض أصحابنا، قال: رأيت وأنا بالمغرب دائرة من الرجال ورجل في وسطها وكل من في تلك الدائرة متوجه إليه. فقلت في نفسي هذا هو القطب وعرفت ذلك الرجل بصفته وبقيت كلما ذكر لي عن رجل آتي إليه وأقول عسى أن يكون ذلك الرجل حتى قيل لي عن الشيخ أبي العباس المرسي فأتيته وإذا هو ذلك الرجل الذي رأيته في وسط تلك الدائرة، فأخبرته، فقال: نعم أنا القطب أما الذين يقابلون بطني لهم المدد من باطن حقيقتي والذين يقابلون ظهري لهم المدد من ظاهر علمي والذين يقابلون جنبي لهم المدد من العلوم التي بين جنبيَّ.
وأخبرني بعض أصحابنا، قال: رأى إنسان من أهل العلم والخير كأنه بالقرافة الصغرى والناس مجتمعون يتطلعون إلى السماء، وقائل يقول: الشيخ أبو الحسن الشاذلي ينزل من السماء والشيخ أبو العباس مترقب لنزوله متأهب له فرأيت الشيخ أبا الحسن قد نزل من السماء وعليه ثياب بيض. فلما رآه الشيخ أبو العباس ثبت رجليه في الأرض وتهيأ لنزوله عليه، فنزل الشيخ أبو الحسن عليه ودخل من رأسه حتى غاب فيه واستيقظت.
وأخبرني الشيخ محمد السرَّاج قال: كنت ليلة من الليالي نائماً وأنا أرى في المنام قائلاً يقول لي: اذهب إلى خارج الإسكندرية من باب السدرة فأول بستان تلقاه من الجانب الأيسر، فادخل فيه فإنك تجد هناك جماعة من الناس، الجالس منهم تحت أطول نخلة هناك رجل من الرجال ثم قيل لي إن في الجامع حلقة من دخل فيها فهو آمن، فلما أصبحت خرجت إلى ظاهر الإسكندرية فدخلت أول بستان من الجانب الأيسر فوجدت حلقة هناك، فرفعت بصري لأنظر إلى أطولها نخلة فإذا قائل

يقول: كلها طوال. فإذا هو الشيخ أبو العباس المرسي رضي الله عنه فسلمت وجلست، وقلت: يا سيدي رأيت البارحة كذا وكذا وقصصت عليه الرؤيا، فقال: أنا الجامع والحلقة هم أصحابي، ومن دخل فيها فهو آمن أي من دخل في شروطنا فهو آمن. ثم قال: أنا الليلة آتيك. فقلت: يا سيدي أنتظرك على الباب أو أترك لك الباب مفتوحاً؟ قال: لا ولكن أغلق الباب وأنا آتيك. قال: فلما كان الليل أخذني شبه الوهم وصرت أقول: من أين يأتي من هنا يأتي لا بل من ههنا يأتي، فلم أطق المكث فخرجت على رباط الواسطي فصعدت المأذنة، ووقفت لأصلي فأنا في الصلاة وإذا الشيخ أبو العباس قد أتى في الهواء وقال: يا محمد أتظن أنك إذا جئت إلى هنا يخفى عليّ مكانك؟ فقلت: يا سيدي إنما جئت ههنا لأني لم أطق وهالني الأمر وكان المخاطب له مني لسان آخر غير الذي كنت أقرأ به.

وأخبرني بعض أصحابه قال: كنا مع الشيخ بمدينة قوص، وكان من اصحاب الشيخ أبي العباس المرسي أبو الحسن المرسي، وكان في خلقه حدة فنزل يوماً ولد الشيخ يلعب كما تلعب الصبيان، فقال له الشيخ أبو الحسن المرسي: أطلع لا أطلعك الله. فسمعه الشيخ أبو العباس رضي الله عنه فنزل، وقال: يا أبا الحسن حَسِّن خلقك مع الناس بقي لك عام وتموت فمات تمام العام**!!**

وأخبرني أبو عبد الله الحكيم المرسي قال: قدم علينا شيخ أشموم فلما جنّ الليل دعاني الشيخ، وقال: ادن مني يا حكيم. فدنوت فوضع يده خلف ظهري وفعلت أنا كذلك وضمني إليه وبكى وبكيت لبكائه ولا أدري مما بكاؤه. فقال: يا حكيم، ما جئتكم إلا مودعاً، يا حكيم نذهب إلى المقسم نودع أخي ثم نعود إلى الإسكندرية، نبيت بها ليلة وندخل في اليوم الثاني قبري فسافر فأقام عند أخيه مدة يسيرة، ثم انجدر إلى الإسكندرية فأقام ليلة، ودخل اليوم الثاني قبره كما قال.

وأخبرني سيدنا جمال الدين ولد الشيخ رضي الله عنهما قال: ورد رسول الأفرنج إلى الإسكندرية فذهبت لأنظره ولم أعلم الشيخ. فلما جئت قال: أين كنت؟ قلت: ههنا. قال: لا، بل ذهبت تنظر رسول الأفرنج، أتظن أن شيئاً من أحوالك يخفى علي كان الرسول لابساً كذا، راكباً على كذا من عن يمينه فلان، وعن يساره فلان، فوصف الحال على ما كان عليه.

وأخبرني عبد العزيز المديوني قال: قال لي الشيخ يا عبد العزيز سقيت الفرس؟ وما كنت سقيتها، فقلت: نعم خوفاً من الشيخ. فقال: يا عبد العزيز سقيت الفرس؟ قلت: نعم، فكرر عليَّ ذلك مراراً وأنا أقول نعم ففي المرة الأخيرة قال: يا الله وطار في الهواء حتى غاب عن بصري. فلما كان في اليوم الثاني قال: يا عبد العزيز ما الذي يحوج الإنسان منكم أن يقول غير الحق؟ كنت تقول ما سقيتها، وماذا كنت أصنع بك إذا كنت لم تسقها؟، وكنت أنا سمعت الطلبة يقولون من صحب المشايخ لا يجيء منه في العلم الظاهر شيء فشق عليّ أن يفوتني العلم وشق علي أن يفوتني صحبة الشيخ. فأتيت إلى الشيخ فوجدته يأكل لحماً بخل، فقلت في نفسي: ليت الشيخ يطعمني لقمة من يده، فما استتمت الخاطر إلا وقد دفع في فمي لقمة من يده، ثم قال: نحن إذا صحبنا تاجراً منا نقول له اترك تجارتك وتعال أو صاحب صنعة ما نقول له اترك صنعتك وتعال، أو طالب علم لا نقول له اترك طلبك وتعال. ولكن نقر كل واحد فيما أقامه الله تعالى فيه وما قسم له على أيدينا هو واصل إليه وقد صحب الصحابة رسول الله- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ- فما قال لتاجر اترك تجارتك وتعال ولا لذي صنعة اترك صنعتك بل أقرهم على أسبابهم وأمرهم بتقوى الله فيها.

وسمعته يقول: سافرت إلى قوص ومعي خمسة أنفس، الحاج سليمان وأحمد ابن الزين وأبو الربيع وأبو الحسن المرسي وفلان. فقال لي إنسان: ما الذي تقصد بسفرك يا سيدي؟ فقلت له: أدفن هؤلاء

بقوص وأجيء. فدفنت الخمسة بها، أما الحاج سليمان فما مات حتى شرب من حوض الكوثر.
وأخبرني بعض أصحابه قال: نزل عنده بعض الأعيان فقال في نفسه: أشتهي من ينبهني قبل الفجر بمنزلة ويأتيني بأبريق ماء سخن ويأتيني بسراج ويريني محل الطهارة. قال وأنا قبل الفجر إلا وطارق يطرق الباب، فخرجت وإذا هو الشيخ فقال: الوقت قبل الفجر بمنزلة وهذا أبريق فيه ماء ساخن وهذه شمعة وتعالى حتى أريك محل الطهارة، وكنت قد قلت لبعض أصحاب الشيخ أريد لو نظر إلي الشيخ بعنايته وجعلني في خاطره. فقال ذلك الشيخ: فلما دخلت على الشيخ قال: لا تطالبوا الشيخ بأن تكونوا في خاطره، بل طالبوا أنفسكم أن يكون الشيخ في خاطركم فعلى مقدار ما يكون عندكم تكونون عنده. ثم قال: أي شيء تريد أن يكون والله ليكونن لك شأن، والله ليكونن لك شأن عظيم، والله ليكونن كذا، والله ليكونن كذا، ثم لم أثبت منه إلا قوله ليكونن لك شأن عظيم. فكان من فضل الله سبحانه وتعالى ما لا تنكره.
وأخبرني سيدنا جمال الدين ولد الشيخ قال: قلت للشيخ هم يريدون أن يصدروا ابن عطاء الله في الفقه. فقال الشيخ: هم يصدرونه في الفقه وأنا أصدره في التصوف. ودخلت أنا عليه فقال لي: إذا عوفي الفقيه ناصر الدين يجلسك في موضع جدك ويجلس الفقيه من ناحية، وأنا من ناحية، وتتكلم إن شاء الله في العلمين فكان ما أخبر به.
وسمعته يقول: أريد أن أستنسخ كتاب التهذيب لولدي جمال الدين. فذهبت أنا فاستنسخته من غير أن أعلم الشيخ وأتيته بالجزء الأول فقال: ما هذا؟ فقلت: كتاب التهذيب استنسخته لكم. فأخذه. فلما نهض ليقوم، قال: اجعل بالك الولي لا يتفضل عليه أحد تجد هذا إن شاء الله في ميزانك. فلما أتيته بالجزء الثاني لقيني بعض أصحابه بعد نزولي من عنده وقال: قال الشيخ عنك والله لأجعلنه عيناً من عيون الله يقتدى به في العلم الظاهر والباطن. فلما أتيته بالجزء الثالث ونزلت من عنده لقيني بعض أصحابه وقال: طلعت عند الشيخ فوجدت عنده مجلدة حمراء، فقال هذا الكتاب استنسخه لي ابن عطاء والله والله ما أرضى له بجلسة جده ولكن بزيادة التصوف.
وأخبرني بعض أصحابه قال: قال الشيخ يوماً إذا جاء ابن فقيه الإسكندرية فأعلموني به. فلما أتيت أعلمنا الشيخ بك فقال تقدم فقدمك بين يديه، ثم قال: جاء جبريل عليه السلام إلى رسول الله- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ- ومعه ملك الجبال حين كذبته قريش فقال له جبريل هذا ملك الجبال أمره الله أن يطيع أمرك في قريش فسلم عليه ملك الجبال، وقال يا محمد إن شئت أطبق عليهم الأخشبين. فعلت فقال رسول الله- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ-: **"لا ولكن أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يوحد الله ولا يشرك به شيئاً"**[63]. فصبر عليهم رسول الله- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ- رجاء من يخرج من أصلابهم كذلك صبرنا على جد هذا الفقيه لأجل هذا الفقيه.
وخرجت يوماً من عند الفقيه المكين الأسمر رضي الله عنه، وخرج معي أبو الحسن الحريري، وكان من أصحاب الشيخ أبي الحسن، فسلمت عليه، فسلم عليّ ببشاشة وإقبال فقلت له: من أين تعرفني؟ فقال: وكيف لا أعرفك؟ كنت يوماً جالساً عند أبي العباس المرسي وكنت أنت عنده فلما نزلت قلت له يا سيدي إنه ليعجبني هذا الشاب انقطع فلان وفلان عن الملازمة وهذا الشاب ملازم. قال: فقال الشيخ يا أبا الحسن لن يموت هذا الشاب حتى يكون داعياً يدعو إلى الله فكان ما قاله الشيخ والحمد لله.

وأخبرني أبو الحسن هذا قال: كنت ليلة عند الشيخ أبي الحسن، وكان يقرأ عليه كتاب ختم الأولياء للترمذي الحكيم فرأيت واحداً جالساً لم يطلع معنا ولم يكن عند الشيخ وقت طلوعِنا، فقلت لإنسان إلى جانبي: من هذا الرجل الجالس إلى جانب فلان؟ فقال: ما ههنا أحد غير الجماعة الذين تعرفهم فسكت وعلمت أنه لم يره. فلما انصرف الجمع سألت الشيخ أبا الحسن رضي الله عنه فقلت: يا سيدي رأيت ههنا رجلاً لم يطلع معنا. ولم يكن عندك قبل طلوعنا! فقال الشيخ: ذاك أبو العباس المرسي يأتي كل ليلة من المقسم حتى يسمع الميعاد، ثم يعود من ليلته إلى مكانه والشيخ أبو الحسن إذ ذاك بالإسكندرية.

وكنت كثيراً ما يطرأ عليّ الوسواس في الطهارة. فبلغ ذلك الشيخ فقال: بلغني أن بك وسواساً في الوضوء؟ فقلت: نعم. فقال: هذه الطائفة تلعب بالشيطان لا الشيطان يلعب بهم، ثم مكثت أياماً ودخلت عليه. فقال: ما حال ذلك الوسواس؟ قلت: على حاله. فقال: إن كنت لا تترك الوسوسة فلا تعد تأتنا. فشق ذلك علي وقطع الوسواس عني. وكان رضي الله عنه يلقن للوسواس سبحان الملك الخلاق إن يشأ يذهبكم ويأتي بخلق جديد، وما ذلك على الله بعزيز. وعملت قصيدة أمدحه بها مذكورة في آخر هذا الكتاب. فقال حين أنشدت: أيدك الله بروح القدس. ثم عملت قصيدة أخرى بإشارته جواباً بالقصيدة مدحه بها إنسان من بلاد أخميم وسيأتي في آخر الكتاب ذكرها. فلما قرئت عليه قال: هذا الفقيه صحبني وبه مرضان وقد عافاه الله منهما ولا بد أن يجلس ويتحدث في العلمين يشير إلى مرض الوسوسة. فلقد انقطع عني ببركات الشيخ حتى صرت أخاف أن أكون لشدة التوسعة التي أجدها.

قد تساهلت في بعض الأمر والمرض الآخر، وكان بي ألم برأسي فشكوت ذلك إليه. فدعا الله لي فعافاني الله وشفاني.

وبت ليلة من الليالي مهموماً فرأيت الشيخ في المنام فشكوت إليه ما أنا فيه فقال: اسكت والله لأعلمنك علماً عظيماً. فلما انتبهت أتيت إلى الشيخ فقصصت عليه الرؤيا، فقال: هكذا يكون إن شاء الله.

وجاء يوماً من السفر فخرجنا للقائه فلما سلمت عليه قال: يا أحمد كان الله لك ولطف بك وسلك بك سبيل أوليائه وبهاك بين خلقه، فلقد وجدت بركة هذا الدعاء.

وعلمت أنه لا يمكنني الانقطاع عن الخلق وإني مراد بهم لقوله: وبهاك بين خلقه، وكنت أنا لأمره من المنكرين، وعليه من المعترضين لا لشيء سمعته منه ولا لشيء صح نقله عنه حتى جرت بيني مقاولة وبين أصحابه، وذلك قبل صحبتي إياه، وقلت لذلك الرجل: ليس إلا أهل العلم الظاهر، وهؤلاء القوم يدعون أموراً عظيمة وظاهر الشرع يأباها. فقال ذلك الرجل بعد أن صحبت الشيخ: أتدري ما قال لي الشيخ يوم تخاصمنا؟ قلت: لا. قال: دخلت عليه فأول ما قال لي هؤلاء كالحجر ما أخطاك منه خير مما أصابك. فعلمت أن الشيخ كوشف بأمرنا. ولعمري لقد صحبت الشيخ اثني عشر عاماً. فما سمعت منه شيئاً ينكره ظاهر العلم من الذي كان ينقله عنه من يقصد الأذى، وكان سبب اجتماعي به أن قلت في نفسي بعد أن جرت المخاصمة بيني وبين ذلك الرجل. دعني أذهب أنظر إلى هذا الرجل فصاحب الحق له أمارات لا يخفي شأنه فأتيت إلى مجلسه فوجدته يتكلم في الأنفاس التي أمر الشارع بها، فقال الأول إسلام، والثاني إيمان، والثالث إحسان. وإن شئت قلت الأول عبادة، والثاني عبودية، والثالث عبودة. وإن شئت قلت: الأول شريعة، والثاني حقيقة، والثالث تحقيق أو نحو هذا، فما زال يقول وإن شئت قلت إلى أن أبهر عقلي؛ وعلمت أن الرجل

إنما يغترف من فيض بحر إلهي، ومدد رباني فأذهب الله ما كان عندي، ثم أتيت تلك الليلة إلى المنزل فلم أجد فيّ شيئاً يقبل الاجتماع بالأهل على عادتي ووجدت معنًى غريباً، لا أدري ما هو؟ فانفردت في مكان أنظر إلى السماء وإلى كواكبها، وما خلق الله فيها من عجائب قدرته فحملني ذلك على العود إليه مرة أخرى، فأتيت إليه فاستؤذن عليّ، فلما دخلت عليه قام قائماً وتلقاني ببشاشة وإقبال حتى دهشت خجلاً واستصغرت نفسي أن أكون أهلاً لذلك. فكان أول ما قلت له: يا سيدي أنا والله أحبك. فقال: أحبك الله كما أحببتني. ثم شكوت إليه ما أجده من هموم وأحزان. فقال: أحوال العبد أربع لا خامس لها، النعمة، والبلية، والطاعة، والمعصية. فإن كنت بالنعمة فمقتضى الحق منك الشكر، وإن كنت بالبلية، فمقتضى الحق منك الصبر، وإن كنت بالطاعة فمقتضى الحق منك شهود منته عليك فيها، وإن كنت بالمعصية فمقتضى الحق منك وجود الاستغفار. فقمت من عنده وكأنما كانت الهموم والأحزان ثوباً نزعته. ثم سألني بعد ذلك بمدة: كيف حالك؟ فقلت: أفتش على الهم فما أجده! فقال:

ليلـــــي بــــوجهك مـــــشرقٌ وظلامـــه فــي الــناس ساري

والــناس فـــي سـدف الظـلام ونحـــن فـــي ضـوء الـــنهار

ألزم فوالله لئن لزمت لتكوننّ مفتياً في المذهبين، يريد مذهب أهل الشريعة أهل العلم الظاهر، ومذهب أهل الحقيقة أهل العلم الباطن.

الباب الرابع
في علمه وزهده وورعه ورفع همته وحلمه وصبره وسداد طريقته

كان رضي الله عنه لا يتحدث معه في علم من العلوم إلا تحدث معك فيه، حتى يقول السامع له إنه لا يحسن غير هذا العلم سيما علم التفسير والحديث، وكان يقول شاركنا الفقهاء فيما هم فيه، ولم يشاركونا فيما نحن فيه، وكان كتابه في أصول الدين الإرشاد في الحديث "كتاب المصابيح"، وفي الفقه "التهذيب والرسالة"، وفي التفسير كتاب "ابن عطية"، ولقد كان يقرأ عليه بعض المعرفين في العربية فيرد عليه اللحن وأما علوم المعارف والأسرار فقطب رحاها، وشمس ضحاها تقول إذا سمعت كلامه هذا كلام من ليس وطنه إلا غيب الله هو بأخبار أهل السماء أعلم منه بأخبار أهل الأرض.

وسمعت أن الشيخ أبا الحسن قال عنه أبو العباس: (بطرق السماء أعرف منه بطرق الأرض).
كنت لا تسمعه يتحدث إلا في العقل الأكبر والاسم الأعظم، وشعبه الأربع، والأسماء، والحروف ودوائر الأولياء، ومقامات الموقنين والأملاك المقربين عند العرش، وعلوم الأسرار، وأمداد الأذكار، ويوم المقادير، وشأن التدبير، وعلم البدء، وعلم المشيئة، وشأن القبضة، ورجال القبضة، وعلوم الأفراد، وما سيكون يوم القيامة من أفعال الله مع عباده من حلمه، وإنعامه، ووجود انتقامه حتى لقد سمعته يقول: والله لولا ضعف العقول لأخبرت بما يكون غداً من رحمة الله وأن تنزل إلى علوم المعاملة.

ففي الزمن اليسير لحاجة الخلق إلى ذلك، ولذلك تقل أتباع من هذه علومه، وقد يكثر المشترون للمرجان، وقل أن يجتمع على شراء الياقوت اثنان، ولذلك كان يقول أتباع أهل الحق قليلون، وقد قال الله سبحانه: **(وَقَلِيلٌ مَّا هُمْۗ)** [ص: 24]، وقال سبحانه: **(وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ (13))** [سبأ: 13]، وقال: **(وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (21))** [يوسف: 21]، [يوسف: 68]، وقال في أهل الكهف: **(مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌۗ)** [الكهف: 22]، فأولياء الله أهل كهف الإيواء فقليل من يعرفهم.

وقد سمعته يقول: معرفة الولي أصعب من معرفة الله. فإن الله معروف بكماله وجماله، ومتى تعرف مخلوقاً مثلك يأكل كما تأكل ويشرب كما تشرب.

(وأما زهده في الدنيا) فيستدل على الزهد في الدنيا بالزهد في الرياسة ويستدل على الزهد في الرياسة بالزهد في الاجتماع بأهلها، ولقد مكث رضي الله عنه بالإسكندرية ستاً وثلاثين سنة ما رأي وجه متوليها ولا أرسل إليه وطلب ذلك المتوليى بالإسكندرية الاجتماع به فأبى الشيخ ذلك وقال له الزكي الأسواني يا سيدي متولي الإسكندرية: قال إنه يؤثر الاجتماع بك ويأخذ بيدك فتكون شيخه. فقال الشيخ: يا زكي لست ممن يلعب به والله إني ألقى الله ولا يراني ولا أراه فكان الأمر كذلك.

وكان إذا نزل بلدة وقيل له متولي البلدة يريد أن يأتيك غداً سافر هو ليلاً، ولقد كان يأتي إليه متولي الثغر وناظرة وَمُشِد الدواوين به قليلة إتيانهم يغلب القبض عليه ولا ينبسط للكلام كحاله في عدم حضورهم. حتى كنا نقول ليت ذلك الكلام الذي كان في غيبتهم كان ليلة حضورهم ولقد أتى إليه

الشجاعي في بحبوحة عزه وتمكنه من السلطنة فما ألوى إليه عنان همته ولا فوق إليه سهام عزيمته حتى لقد بلغني أن الزكي الأسواني لما استعرض الشجاعي حوائجه، قال للشيخ: يا سيدي أطلب منه أرضاً يزرعها اصحابك. فقال: يا زكي هذا مما لا يكون أبداً.

ومن زهده أنه خرج من الدنيا وما وضع حجراً على حجر، ولا اتخذ بستاناً، ولا استفتح سبباً من أسباب الدنيا، ولا خلف وراءه رزقه مع أن الزهد وصف من أوصاف القلوب يصف الله به قلب من أحبه ولكن له علامات تدل عليه.

وقال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه: رأيت الصديق في المنام فقال لي أتدري ما علامة خروج حب الدنيا من القلب؟

قلت: لا أدري. قال: علامة خروج حب الدنيا من القلب بذلها عند الوجد ووجود الراحة منها عند الفقد.

وقال الشيخ أبو العباس: رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه في المنام، فقلت: يا أمر المؤمنين ما علامة حب الدنيا؟ (قال: خوف المذمة وحب الثناء). فإذا كان علامة حبها خوف المذمة وحب الثناء، فعلامة الزهد فيها وبغضها أن لا يخاف المذمة ولا يحب الثناء.

وأما ورعه، فلقد أخبرني بعض أصحابه أنه دخل يوماً بيت واحد من الجماعة في البرج الذي هو فيه فوجده يضرب فيه وتداً. قال: فاتفق للشيخ من الحرج الأمر الكبير، قال: كيف يحل لك أن تتصرف في الحبس بأمر لم يؤذن لك فيه؟.

وكان يقول: والله ما دخل بطني حرام قط. وكان يقول الوَرع من وَرّعَهُ الله.

وقال رضي الله عنه: عزم علينا بعض صلحاء الإسكندرية، في بستان له بالرمل فخرجت أنا وجماعة من صلحاء الثغر ولم يخرج معنا صاحب البستان في ذلك الوقت، بل وصف لنا المكان فتجارينا ونحن خارجون الكلام في الورع فكلٌّ قال شيئاً، (فقلت لهم: إنما الوَرع من وَرَّعه الله)، فلما أتينا إلى البستان، وكان زمن ثمرة التوت فكلهم أسرع إلى الأكل وأكل وكنت كلما جئت لآكل أجد وجعاً في بطني فأرجع، فينقطع الوجع عني فعلت ذلك مراراً فجلست ولم آكل شيئاً فهم يأكلون وإذا بإنسان يصيح: كيف يحل لكم أن تأكلوا من ثمرة بستاني بغير إذني؟، فإذا هم قد غلطوا بالبستان فقلت لهم: ألم أقل لكم الوَرع من وَرَّعه الله؟

واعلم رحمك الله أن ورع الخصوص لا يفهمه إلا قليل، فإن من جملة ورعهم تورعهم من أن يسكنوا لغيره أو يميلوا بالحب لغيره أو تمتد أطماعهم بالطمع في غير فضله وخيره.

من ورعهم ورعهم عن الوقوف مع الوسائط والأسباب وخلع الأنداد، والأرباب ومن ورعهم ورعهم عن الوقوف مع العادات والاعتماد على الطاعات، والسكون إلى أنوار التجليات.

ومن ورعهم وورعهم عن أن تفتنهم الدنيا أو توقفهم الآخرة تورعوا عن الدنيا وفاء عن الوقوف مع الآخرة صفاء.

وقال الشيخ عثمان بن عاشوراء: خرجت من بغداد أريد الموصل، فأنا أسير وإذا بالدنيا قد عُرِضَتْ عليّ بعزها وجاهها ورفعتها ومراكبها وملابسها ومزيّناتها ومشتهياتها، فأعرضت عنها فعرضت عليّ الجنة بحُوْرِهَا وقصورها وأنهارها وثمارها، فلم أشتغل بها فقيل لي: يا عثمان لو وقفت مع الأولى لحجبناك عن الثانية، ولو وقفت مع الثانية لحجبناك عنّا. فها نحن لك وقسطك من الدارين يأتيك.

وقال الشيخ عبد الرحمن المغربي، وكان مقيماً بشرقي الإسكندرية: حججت سنه من السنين، فلما قضيت الحج عزمت على الرجوع إلى الإسكندرية فإذا (علي) يقول لي: إنك العام القابل عندنا! فقلت: إذا كنت العام القابل ههنا فلا أعود إلى الإسكندرية. فخطر لي الذهاب إلى اليمن، فأتيت إلى عدن فأنا يوماً على ساحلها أمشي، وإذا أنا بالتجار، قد أخرجوا بضائعهم، ومتاجرهم ثم نظرت فإذا رجل قد فرش سجادة على البحر ومشى على الماء، فقلت في نفسي: لم تصلح للدنيا ولا للآخرة. فإذا (علي) يقول لي: من لا يصلح للدنيا ولا للآخرة يصلح لنا.

وقال الشيخ أبو الحسن: الورع نعم الطريق لمن عجله ميراثه وأجل ثوابه فقد انتهى بهم الورع إلى الأخذ من الله وعن الله والقول بالله والعمل لله وبالله، وعلى البيّنة الواضحة والبصيرة الفائقة فهم في عموم أوقاتهم، وسائر أحوالهم لا يدبرون ولا يختارون، ولا يريدون، ولا يتفكرون، ولا ينظرون، ولا ينطقون، ولا ينبسطون ولا يمشون، ولا يتحركون إلا بالله من حيث يعلمون هجم بهم العلم على حقيقة الأمر فهم مجموعون في عين الجمع لا يتفرقون فيما هو أعلى ولا فيما هو أدنى.

وأما أدنى الأدنى فالله يورعهم عنه ثواباً لورعهم مع الحفظ لمنازلات الشرع عليهم، ومن لم يكن لعلمه وعمله ميراث فهو محجوب بدنيا أو مصروف بدعوى، وميراثه التعزز لخلقه والاستكبار على مثله والدال على الله بعمله فهذا هو الخسران المبين والعياذ بالله العظيم من ذلك. والأكياس يتورعون عن هذا الورع ويستعيذون بالله منه ومن لم يزداد بعمله وعلمه افتقاراً لربه وتواضعاً لخلقه فهو هالك، فسبحان من قطع كثيراً من الصالحين بصلاحهم عن مصلحهم كما قطع كثيراً من المفسدين بفسادهم عن موجدهم، فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم.

فانظر فهمك الله سبل أوليائه وَمَنَّ عليك بمتابعة أحبابه، هذا الورع الذي ذكره الشيخ رضي الله عنه. هل كان يصل فهمك إلى مثل هذا النوع من الورع؟ ألا ترى قوله: فقد انتهى بهم الورع إلى الأخذ من الله وعن الله والقول بالله والعمل لله وبالله على البينة الواضحة والبصيرة الفائقة فهذا هو ورع الأبدال والصديقين لا ورع المتنطعين الذي ينشأ عن سوء الظن وغلبة الوهم (وأما رفع همته) فكان ظاهراً من ذلك بالعجب العجاب: وقد تقدم من رفع همته عن ولاة الأمور مع استعراضهم لحوائجهم وتطارحهم عليه. قال رضي الله عنه يوماً لأصحابه: جاءني الطواشي بهاء الدين وهو مُشِدّ الدواوين إذ ذاك والفقيه شمس الدين الخطيب، وهو يومئذ ناظر الأحباس فقال لي إن هذه القلعة تحتاج إلى حصر وزيت وقناديل وتحتاج الفقراء فيها إلى ما يأكلون ونحن حكّام الوقت نطلق لها شيئاً كل شهر؟ قال: فقلت لهم: حتى أشاور أصحابي، وأنتم أصحابي، فماذا تشيرون؟ فلم يرجع إليه أحد جواباً. فأعاد الأمر مراراً، فلم يجبه أحد. فقال: (اللهم أغننا عنهم ولا تغننا بهم إنك على كل شيء قدير). ولم يجبهم على ما ذكروا ومات الشيخ رحمه الله تعالى وليس للمكان مرتب ولا معلوم.

وسمعته يقول: (والله ما رأيت العز إلا في رفع الهمة عن الخلق).

وسمعته يقول: رأيت كلباً في المحجة ومعي شيء من الخبز فوضعته بين يديه فلم يلتفت إليه فقربته من فمه فإذا (علي) يقول لي (أف) لمن يكون الكلب أزهد منه.

وسمعته يقول: خرجت يوماً أشتري حاجة من بعض من يعرفني بنصف درهم فقلت في نفسي: ولعله لا يأخذه مني فإذا (علي) يقول لي: السلامة في الدين بترك الطمع في المخلوقين.

قال: فأتيت إلى الموضع الذي كنت مقيماً به ودخلت وأغلقت الباب وأنا جالس وإنسان قد فتح الباب علي بمرة، وقال: بماذا تكون السلامة في الدين؟ قال: فقلت له: بترك الطمع في المخلوقين. فأخذها

كأنما كانت ضالة وجدها فتبين من حاله أن الشيخ أبا الحسن كان قد قال له: اذهب إلى موضع الغلة، فاكتل لك ثلاث ويبات. فذهب فاكتال لنفسه إردباً فبلغ ذلك الشيخ، فقال: فرغوا ما اكتاله في موضعه. وأعطوه ثلاث ويبات التي كنا أعطيناه إياها.

وقال رضي الله عنه عن الطمع: الطمع ثلاثة أحرف كلها مجوفة. فهو بطن كله، فلذلك صاحبه لا يشبع أبداً.

وكان يقول: للناس أسباب وسببنا نحن الإيمان والتقوى. قال الله سبحانه: **(وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ)** [الأعراف: 96].

تنبيه وإعلام: اعلم أن رفع الهمة عن الخلق شأن أهل الطريق وصفة أهل التحقيق. ولقد سئل الجنيد رضي الله تعالى عنه أيزني العارف؟ فقال: (وكان أمر **الله** قدراً مقدوراً).

ولعمري لو سئل أيطمع العارف في غير الله لقال لا وإنما مراد الحق سبحانه أن يفرده العباد في كل شيء حباً وثقة وتوكلاً وخوفاً ورجاء وذلك الذي تستحقه فرديته. وكان بعض العارفين ينشد شعراً:

حــــرام علــــى مــن وحَّـــد ربـــه وأفـــرده أن يجـــتـدي أحـداً رفــدا

ويا صــاحبي قف لــي مع الحق وقفة أمــوت بهــا وجـداً وأحـيا بهـا وجـدا

وقل لملـوك الأرض تجــهـد جهــدها فذا المــلـك ملـك لا يــباع ولا يهتدى

ورفع الهمة إنما ينشأ عن صدق الثقة بالله، وصدق الثقة بالله إنما ينشأ عن الإيمان بالله على سبيل المعاينة والمواجهة، فيوجب لهم إيمانهم الاعتزاز بالله. قال الله تعالى: **(وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ)** [المنافقون: 8]. والنصر من الله. قال سبحانه: **(وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ (47))** [الروم: 47].

والنجاة من العوارض الصادرة عن الله. قال الله تعالى**:(كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ (103))** [يونس: 103]، فعزة المؤمن بثقته بمولاه، ونصرته على نفسه وهواه، ونجاته من العوارض أن لا تقطعه عن سبيل هداه وشعار أهل الإرادة ودثارهم الاكتفاء بالله ورفع الهمة عن ما سوى الله وصيانة ملابس الإيمان من أن تدنس بالميل إلى الأكوان، أو الطمع في غير الملك المنان ولنا في هذا المعنى شعر:

بكــرت تلــوم علــى زمــان أجـحفـا فــصدفت عــنـها علهــا أن تَــصدِفا

لا تُكْثِـرن عتـــبــاً لـدهــرك إنـــه مــا أن يطالــب بالـوفاء ولا الصّفا

مــا ضــرني إن كــنت فــيه خـاملاً فالــبدر بــدرٌ إن بــدا وإن اختــفا

الله يعــلــم إنـــنـــي ذو هـــمَّـــة تأبـــى الـــدنايا عفـــة وتـظــرّفا

لم لا أصون عن الورى ديباجيتي وأريهــم عــز الملــوك وأشــرفا

أأريهـــم إنـــي الفـقيـــر إلـــيهم وجمـــيعهم لا يـــستطيع تـصرفا

أم كـــيف أسأل رزقــه من خلقه هـذا لعمـري إن فعلت هـو الجفا

شكوى الضعيف إلى ضعيف مثله عجــزٌ أقــام بحامليه علـى شفا

فاســـترزق الله الــذي إحسانه عــم البـــريّة مـــنَّة وتلطفـــا

والجـــأ إلـيه تجده فيما ترتجي لا تَعْــدُ عــن أَبْــوابه متحـرّفا

والذي يوجب لك رفع الهمة عما سوى الله علمك بأنه لم يخرجك إلى مملكته إلا وقد كفاك ومنحك وأعطاك فلم يبق لك حاجة عند غيره، فإذا كان قد اقتضى لهم الفهم عن الله أن يكتفوا بعلمه عن مسألته، كيف لا يوجب لهم الفهم الاكتفاء بعلمه عن سؤال خليقته، ومن فاتحه الحق سبحانه بشيء ما فاتح به أحباءه فقد اقتضى منه رفع همته إليه كما اقتضاه من غيره وأولـى ألم تسمع قوله سبحانه: **(وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ)** [الحجر: 87].
لا تمدّن عينيك، وكيف لا تكون منته فيه؟ ومواهبه وفواتح عنايته وخصائص ولايته ناهيةً لك عن التعلق بغيره وكان بعض العارفين ينشد شعراً:

أبعـد نفـودي فــي علــوم الحقائــق وبعـد انبساطي فــي مواهب خالقي

وفـي حــين إشــرافي علــى ملكوته أرى باسـطاً كفــا إلــى غيــر رازق

وإن كل ذي رتبة من المخلوقين لا يرضى منك أن تنسب له رتبة تضيف المنع والعطاء والولاية والعزل فيها لغيره. أفيرضى لك الحق سبحانه أن تعترف له بربوبيته وتضيف آثارها لغيره؟ فاحذر أن تكون من الذين قال فيهم سبحانه: **(وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ (106))** [يوسف: 106]. وقبيح أن تكون في دار ضيافته وتوجه وجه طمعك لغيره ولنا في هذا المعنى شعر:

أيحــسن إنــي فــي داركــم ونــزلكم أوجـــه يـــــوماً العــباد رجائـــي

بلـــى إننـــي ألـــوي إلـــيك بهمـة أخلّـــف فـــيها مــا ســواك ورائي

ولا تطلب ممن هو بعيد عنك وتترك الطلب من مولى هو أقرب إليك من حبل الوريد، ألم تسمع إلى قوله سبحانه وتعالى: **(وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ)** [البقرة: 186].
وقال سبحانه وتعالى: **(وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ (16))** [ق: 16].
وقال سبحانه وتعالى: **(وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ ۗ)** [النساء: 32].
وقال سبحانه وتعالى: **(ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ)** [غافر: 60].
وقال سبحانه وتعالى: **(وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ)** [الحجر: 21].

كل ذلك ليجمع همم عباده عليه كيلا يرفعوا حوائجهم إلا إليه.

وأما حلمه فكان من شأنه أنه لا ينتقم لنفسه ولا ينتصر لها. ولقد دخلت عليه يوماً فقال لي: ما تقول فلان رجل كان قد آذى الشيخ الأذى البالغ أتى إلى أصحاب فلان بعض من كان له الأمر في ذلك الزمن، وكان يتردد إلى الشيخ فقالوا: يا سيدي هذا الرجل الذي آذاك نسعى في ضربه وإشهاره في البلدتين مصر والقاهرة فماذا تقول أنت؟ قلت: له مصلحة. فقال كالمنكر لأي شيء. قلت ذاك. قلت: نتشفى منه؟ قال: أنا ما أتشفى من أحد إنما أردت الاتباع. قال: ولا تحمل أتباعي على التشفي. فأطرقت خجلاً. فما توجه أحد بالأذى لنا بعد ذلك فنزلت به نازلة فما همت نفسي بالتشفي منه إلا وذكرت كلام الشيخ "أنا لا اتشفى من أحد" حتى كأني قد سمعته ذلك الوقت، فتخمد النفس عن التشفي بذلك. واتفق بعد مدة نحو الخمسة عشر سنة أن الذي كان يسعى في أذية الشيخ سعى في أذيتنا واتفق له نازلة فصاننا الله من التشفي منه وسلم، وكان الشيخ يقول لي: هذا الذي استشرتك فيه سيتفق لك معه مثل ما اتفق لي فافعل مثل ما فعلت معه، وهكذا هو كلام الأكابر يطوى في صحائف قلوب المريدين حتى إذا جاء وقته أظهره الله سبحانه كأنك قد سمعته ذلك الوقت وربما أحضر الله بفكرك شيخك الذي خاطبك الله بهيئته وزيّه، وربما تمثل لك في الخيال المنفصل وربما حضر بوجوده الحسي عند وجود النوازل مثبتاً للمريد ومعلماً. وسمعته رضي الله عنه يقول:

(ما سمعتموه مني ففهمتموه فاستودعوه الله يرده عليكم وقت الحاجة وما لم تفهموه فوكلوه إلى الله يتولى الله بيانه).

فكلام الأكابر مردود على المريدين وقت حاجتهم، فيظن المريد أنه ما أخذ ولقد أخذ ولكن للحكمة بذر ونبات ووقت البذر غير وقت النبات. وقد يبذر فيك بذر الحكمة ويبقى النبات متوقفاً على مجيء سحابة ماطرة. فإذا جاءت أظهرت ما كان في الأرض كامناً فتبقي الودائع مطوية في العباد حتى تجيء أوقاتها.

وبلغني عن الشيخ أبي الحسن أنه كان يقول: (لا حجاب إلا الوقت).

وسمعته يوماً يقول: كان إذا آذاني إنسان يهلك للوقت وأنا الآن لست كذلك فرآني رضي الله عنه مستشرقاً لسبب ذلك فقال اتسعت المعرفة.

وسمعته يقول لحوم الأولياء مسمومة واعلم علمك الله من العلم الذي يدل عليه وجعلك من الدائمين بين يديه أن انتصار الحق لأوليائه ليس ذلك لأنهم طلبوه من الله ولكن لما صدقوا التوكل عليه، وارجعوا الأمر إليه انتصر الحق لهم ألم تسمع قوله: **(وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ (47))** [الروم: 47].

وقوله سبحانه: **(وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ)** [الطلاق: 3].

ولا تقولن هم من ينتصر لنفسه منك بل على هم من ينتصر الله له فإنه الغالب الذي لا يُغلب، والقادر الذي لا يعجز، والقهار الذي لا قِبَل لأهل السموات والأرض بذره من بلائه ولو وضع ذرة من ذرات قهره على الجبال لأذابتها.

ومعنى قول الشيخ: اتسعت المعرفة أن المريد في مبدأ إرادته بهمته، وفي نهايته بوجود معرفته فإذا كان في مبدأ إرادته توجه بصدق الهمة إلى الله لاجئاً إليه في الانتقام ممن أذاه فينتصر الحق له لتوجه بصدق الهمة في طلب النصرة ولضيق عطنه عن الصبر عن تأخر الانتقام له والعارف

اتسع عليه بحر المعرفة فانطوت همته وإشاءته، وتدبيره في إشاءة الحق له وتدبيره إياه، ومن غلب عليه شهود المشيئة فأي همة تبقى له.
وأيضاً أنه إذا أخرت عقوبة من أذاه شهد حسن اختيار مولاه فلم يعجل له الانتصار لأنه لا يخشى عليه ما يخشى على المريد من عدم الصبر إذا أخر الانتقام له.
وأيضاً أن العارف لو توجه لطلب الانتقام ممن ظلمه قامت الرأفة والرحمة القائمان به لتخلقه بخلق معروفه فمنعاه من الانتصار وإن كان على ذلك قادراً وكيف ينتصر من يرى الله فعالاً فيهم؟ ثم أولياء الله إذ ظلموا على طبقات داع يدعو على من ظلمه استثار الأذى منه القرح واستخرج منه الاضطرار فهذا الذي لا يرد دعاؤه ومنه قوله عليه السلام: **"واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب"**[64].
القسم الثاني: وهم الذين إذا ظلموا لجأوا إلى الله سبحانه في طلب النصرة وتعجيل الأذى لهم غير أنهم علموا أن الله يعلم السر وأخفى فرفعوا أمرهم إلى الله سراً بسر، وهؤلاء أولى بانتصار الحق لهم لتوكلهم عليه ولإرجاعهم الأمر إليه وقد قال سبحانه وتعالى: **(وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ)** [الطلاق: 3] ولقد ذكر أن امرأة وقد كانت لها دجاجة ليس عندها غيرها وكانت تتقوت ببيضها فجاء سارق فسرقها، فلم تدع عليه وأرجعت الأمر إلى الله فأخذ السارق الدجاجة وذبحها ونتف ريشها فنبت جميعه بوجهه فسعى في إزالة ذلك فلم يستطع وسأل الناس فلم يقدر أحد على إزالة ما نزل به إلى أن أتى حبر من أحبار بني إسرائيل فقال لا أجد لك دواء إلا أن تدعو عليك المرأة التي سرقت دجاجتها فإن فعلت شفيت فأرسل إليها من قال لها أين دجاجتك التي كانت عندك؟ قالت: سرقت. قالوا: آذاك من سرقها؟، قالت: قد فعل. قالوا: وقد فجعك في بيضها، قالت: هو كذلك فلم يزالوا بها حتى أثاروا الغضب منها فدعت فتساقط الريش من وجهه، فقالوا لذلك الحبر: من أين علمت هذا؟ قال: إنها لما سرقت دجاجتها لم تدع عليه وأرجعت الأمر إلى الله في أمره فانتصر الله لها فلما دعت انتصرت لنفسها فسقط الريش من وجه السارق.
القسم الثالث: عباد لما ظلموا لم يدعوا ولم يلجأوا إلى الله في طلب الانتقام ممن ظلمهم ولكن فوضوا الأمر إلى الله فكان هو المختار لهم.
القسم الرابع: وهم الطبقة العليا وهم الذين إذا ظلموا رحموا من ظلمهم. وقال الشيخ أبو الحسن: (وإذ آذاك ظالم فعليك بالصبر والاحتمال واحذر أن تظلم نفسك فيجتمع عليك ظلمان، ظلم غيرك لك، وظلمك لنفسك). فإن فعلت ما ألزمت من الصبر والاحتمال أثابك سعة الصدر حتى تعفو وتصفح وربما أثابك من نور الرضى ما ترحم به من ظلمك فتدعو له فتجاب فيه دعوتك، وما أحسن حالك إذا رحم بك من ظلمك فتلك درجة الصديقين الرحماء. **(فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (159))** [آل عمران: 159].
ومن هذا القبيل الذي ذكره الشيخ أبو الحسن ما اتفق لإبراهيم بن أدهم رضي الله تعالى عنه أنه قال له جندي: أين العمران؟ فأشار إلى المقابر فظن أنه يهزأ به فضربه فشجه فطأطأ رأسه وقال: اضرب راساً طال ما عصت الله. فقال الجندي: هذا إبراهيم بن أدهم زاهد خراسان فأحنى على رجليه يقبلهما، ويعتذر إليه فقال له إبراهيم بن أدهم: والله ما رفعت يدك عن ضربي إلا وأنا أسأل الله لك المغفرة لأني علمت أن الله تعالى يثيبني على ذلك ويؤاخذك بما فعلت فاستحيت أن يكون حظي منك الخير، وحظك مني الشر. قال الشيخ أبو العباس: ليس هذا عين الكمال وما فعله

الصحابي سعد أحد العشرة هو عين الكمال ادعت عليه امرأة أنه احتاز شيئاً من بستانها فقال اللهم إن كانت كاذبة فاعمها وأمتها في مكانها فعيمت وجاءت تمشي يوماً في بستانها فوقعت في بئر فماتت فلو كان فعله إبراهيم عين الكمال لكان الصحابي أولى به ولكنه كان سعد أميناً من أمناء الله نفسه ونفس غيره عنده سواء فما دعا عليها لأنها آذته، ولكن دعا عليها لأنها آذت صاحب رسول الله- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ- وإبراهيم لم يصل إلى هذه المرتبة فترك الدعاء، على الجندي لئلا يكون ذلك انتصار لنفسه وسعد رضي الله عنه قد خلصه الله من نفسه وأبرزه للخلق يخلص به من يشاء من عباده والصوفي لا يستقضي الحق لنفسه بل يستقضي الحق لربه.

فائدة: اعلم أن أولياء الله تعالى حكمهم في بداياتهم أن يسلط الخلق عليهم ليتطهروا من البقايا وتتكمل فيهم المزايا وكي لا يساكنوا الخلق باعتماد ويميلوا إليهم باستناد ومن أذاك فقد أعتقك من رق إحسانه ومن أحسن إليك فقد استرقك بوجود امتنانه ولذلك قال- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ-: **"جبلت القلوب على حب من أحسن إليها"**[65] وقال- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ-: **"من أسدى إليكم معروفاً فكافئوه فإن لم تقدروا فادعوا له" كل ذلك ليتخلص القلب من إحسان الخلق ويتعلق بالملك الحق.** قال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه: اهرب من خير الناس اكثر مما تهرب من شرهم، فإن خيرهم يصيبك في قلبك وشرهم يصيبك في بدنك ولأن تصاب في بدنك خير لك من أن تصاب في قلبك، ولعدو تصل به إلى الله خير لك من حبيب يقطعك عن الله، وعد إقبالهم عليك ليلاً وإعراضهم عنك نهاراً ألا تراهم إذا اقبلوا فتنوا وتسليط الحق على أولياء الله في مبدأ طرقهم سنة الله في أحبابه وأصفيائه. ولذلك قال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه: اللهم إن القوم قد حكمت عليهم بالذل حتى عزوا، وحكمت عليهم بالفقد حتى وجدوا، فكل عز يمنع دونك فنسألك بدله ذلاً تصحبه لطائف رحمتك، وجد حجب عنك فنسألك عوضه فقداً تصحبه أنوار محبتك.

ومما يدلك على أن هذه سنة الله في أحبابه وأصفيائه قول الله تعالى: **(وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ۗ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ (214))** [البقرة: 214].

وقوله عز وجل: **(حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا)** [يوسف: 110]

وقوله: **(وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ (5) وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ)** القصص: [5، 6].

وقوله: **(أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (39) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ۗ)** [الحج: 39، 40].

إلى غير ذلك من الآيات الدالة على هذا المعنى. فمن حالهم في بدياتهم إبراهيم ابن أدهم طأطأ رأسه حين ضربه الجندي فقال: أضرب رأساً طالما عصت الله. وقوله: ما فرحت في عمري إلا ثلاث مرات. كنت في مسجد فأصابتني البطن فكنت أقوم وأقعد فجاء صاحب المسجد وأمرني أن أخرج فلم أستطع لقوة الضعف فأخذ برجلي يجرني إلى أن أخرجني، **والمرة الثانية** نزّعت يوماً ما كان عليّ من ملبس فلم أره لكثرة القمل، والمرة الثالثة ركبت في سفينة فكان هناك مضحاك فكان يقول: كنا نأخذ العلج في بلاد العدو وهكذا ويمد يده إلى لحيتي فيهزها فأعجبني إذ

لم ير في السفينة من هو أحقر مني وهذا شأنهم في بدياتهم علماً منهم بوجود البقايا فيهم فخافوا أن ينتصروا فينتصروا لنفوسهم فيسقطون من عين الله فرجعوا إلى وجود الحلم كافين أيديهم عن الانتصار لعلمهم بآفات الانتصار للنفس، وشرعة الحق سبحانه وعادته في أصفيائه كثيرة الأعداء والنصرة منه لهم عليهم.

قال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه: آذاني إنسان مرة فضقت ذرعاً لذلك فنمت فرأيت يقال لي من علامة الصديقية كثرة أعدائها ثم لا يبالي بهم، ويجب أن تعلم أن النفوس شأنها استحلاء الإقامة في مواطن العز والرفعة فلو تركها الحق سبحانه وما تريد لهلكت فأزعجها عن ذلك بما يسلطه عليهم من أذى المؤذين ومعارضة الحاسدين.

وقال بعض العارفين: الصحية من العدو سوط الله يضرب به القلوب إذا ساكنت غيره ولولا ذلك لرقد القلب في ظل العز والجاه وهو حجاب عن الله تعالى عظيم، وصدق رضي الله عنه وهذا الصنع من حسن نظر الله لأوليائه وأحبابه وإظهار لآثار ولايته فيهم لقوله: **(اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا)** [البقرة: 257].

فإذا تمت أنوارهم وتطهرت من البقايا أسرارهم، حكمهم في العباد وأدلهم عليه فحينئذ يكون العبد المجتبي سيفاً من سيوف الله ينتصر الله به لنفسه. ومن هذا الباب دعاء سعد على المرأة التي ادعت عليه كذباً: "اللهم اعمها وأمتها في مكانها" فاستجيب له، ولما دخل على عثمان رضي الله عنه الدار لطم إنسان وجه زوجته فقال له عثمان: قطع الله يديك ورجليك وأخلدك في النار. فرؤا ذلك الرجل بالشام وقد قطعت يداه ورجلاه وهو يقول: دعوة عثمان استجيبت في اثنتان وبقيت الثالثة ولذلك قد تلتبس أحوال الرجال على عموم العباد فلا تفضل ولياً ظلم فصفح على ولي ظلم فانتصر أو دعا فقد يكون صفح من صفح لعلمه بالبقايا من نفسه ودعاء الداعي لعلمه بتطهيره من البقايا فدعا انتصاراً لربه. (وأما صبره) فكان رضي الله عنه من الثابتين في مركز الصبر وكان به أمراض عديدة لو وضع بعضها على الجبال لذابت كان به جرد الكلا، وكان به الحصا، وكان به اثنا عشر باسوراً وهو يجلس للناس ولا يقطع الجلوس لهم ولا يتأوه في حين جلوسه، ولا يعلم الجالس عنده أن به شيئاً من الأمراض ولم تكن الأمراض أورثته صفرة في الوجه ولا تغيراً في البدن حتى كان يقول: لا تنظروا إلى حمرة وجهي فحمرة وجهي من قلبي، ودخل عليه إنسان فوجده لما به فقال ذلك الرجل: عافاك الله تعالى يا سيدي. فسكت الشيخ ولم يجاوبه، ثم مكث ذلك الرجل ساعة وقال: عافاك الله تعالى يا سيدي. فسكت الشيخ ولم يجاوبه، ثم مكت ذلك الرجل ساعة وقال: عافاك الله تعالى يا سيدي. فقال الشيخ: وأنا ما سألت الله العافية قد سألته العافية والذي أنا فيه هو العافية ورسول الله- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ- قد قال ما زالت أكلة خيبر تعاودني فالآن أوان انقطاع أبهري- أبو بكر رضي الله عنه سأل الله العافية وبعد ذلك مات مسموماً؟ عمر رضي الله عنه قد سأل الله العافية، وبعد ذلك مات مطعوناً. وعثمان رضي الله عنه أما سأل الله العافية وبعد ذلك مات مذبوحاً؟ وعلي رضي الله عنه أما سأل الله العافية وبعد ذلك مات مقتولاً؟. فإذا سألت الله تعالى العافية فاسأله العافية من حيث يعلمها لك إنها عافية، وكان يقول رضي الله عنه: "الصبر مشتق من الأصبار وهو الغرض الذي يرمي عليه بالسهام، فالصابر من نصب نفسه غرضاً لسهام القضاء وكان هجيراه يسأل الله اللطف، يسأله اللطف قبل أن يفتر عن اللطف ذلك.

ودخلت عليه يوماً فوجدته لما به، فقلت: يا سيدي أظنك ضعيفاً. فقال رضي الله عنه: "الضعيف من لا إيمان له ولا تقوى".

واعلم أن الصبر على "ثلاثة أقسام": صبر على الواجبات، وصبر عن المحرمات، وصبر في البليات، وصبر الأكابر على كتم الأسرار، وفقد الركون إلى الآثار وعدم الوقوف مع الأنوار صبرهم على حمل الأذى والثبوت تحت مجاري الفضا، صبرهم على حمل أثقال العباد، والصبر مع الله فيما أراد صبرهم على القيام بأحكام العبودية والثبوت لمجاري أحكام الربوبية، صبرهم على مكارم الأخلاق والقيام مع الله بشرط الوفاق، صبرهم على جمع الهم عليه والرجوع في كل أمورهم إليه، صبرهم على الجلوس للخلق والدلالة على الملك الحق.

وكان الشيخ أبو العباس رضي الله عنه يقول: والله ما جلست للناس حتى هددت بالسلب. وقيل لي لئن لم نجلس لنسلبنك ما وهبناك.

(وأما سداد طريقته) فكان رضي الله عنه شديد التحرز من حقوق العباد مسرعاً للوفاء لها حتى أنه يوفي الشيء قبل استحقاقه ويحمل أصحابه على التخلص من حقوق العباد إذا كان عليه دين أحسن القضاء، وإذا كان له حق أحسن الاقتضاء منقطعاً عن أبناء الدنيا والتردد إليهم لا يرفع قدمه لأحد منهم ولا يبعث إليهم ولا يكاتبهم إذا طلب منه أن يكتب إليهم. قال للطالب ذلك أنا أطلب لك ذلك من الله فإن رضي الطالب بذلك نجح مسعاه ولطف به مولاه مبتلى في الجلوس للخلق ولا تأتيه ليلاً ونهاراً إلا وجدته.

ولقد أتيته يوماً فاستأذنت عليه فقيل لي اصبر قليلاً فتشوشت من ذلك وقلت قد يكون بلغ الشيخ عني ما أوجب تغيره فبعد ساعة أذن لي فدخلت، فقال الشيخ رضي الله عنه: أعذرني كانت ابنة الشيخ أبي الحسن عندي فكرهت أن أقطع كلامها والله ما أعد نفسي خادماً من خدامهم.

وكان ينهى أن يعوق المريد إذا جاءه ويقول المريد يأتي بشغلة همته فإذا قيل له قف ساعة طفأت ما جاء به وكان لا يدل المريد على المتاعب والمشقات ولا يلزمه ذلك.

وكان يقول عن شيخه أبي الحسن ليس الرجل من دلك على تعبك إنما الرجل من دلك على راحتك. ومبنى طريقته على الجمع على الله وعدم التفرقة وملازمة الخلوة والذكر ولكل مريد معه سبيل يحمل كل واحد على السبيل الذي يصلح له؛ وكان لا يحب المريد الذي لا سبب له وكان يدل المريد على الانجماع في حبه، ولا يلزم المريد أن لا يرى غيره وكان يقول عن شيخه: اصحبوني ولا أمنعكم أن تصحبوا غيري، فإن وجدتم منهلاً أعذب من هذا المنهل فردوا، وكان إذا دخل المريد في أوراد بنفسه وهواه أخرجه عنها، وكان إذا مدح بقصيدة أو ابيات يجيز المادح بإقباله وربما واجهه بنواله، وكان مكرماً للفقهاء ولأهل العلم وطلبته إذا جاؤه وكان يقول لأصحابه: إذا جاء رئيس أو ذو وجاهة عرفوني به، وكان أزهد الناس في ولاة الأمور فإذا جاؤوه أكرمهم وربما مشى لهم خطوات، وكان شديد التعظيم لشيخه أبي الحسن! حتى إنك كنت تشهد منه إنه لا إثبات منه لنفسه معه وكان إذا ذكر الشيخ رضي الله عنه ينشد شعراً:

لـــي ســـــادة مــــن عـــزهم أقـــدامهم فــــوق الجـــــباه

إن لــــم أكــن مـــنــهم فلـــي فـــي ذكـــرهم عـــز وجــــاه

وكان من شأنه أنه ما خبئ له لا يأكله وكان يكره أن يعلم بطعام أو هدية قبل إتيانها وكان لا يدعو لمحسن بحضرته بل إذا غاب دعا له بظهر الغيب، وكان إذا أهدي له شيء يسير تلقاه ببشاشة وقبول وإذا أهدي له شيء كثير تلقاه بالعزّ وكان لا يثني على مريد ولا يرفع له علماً بين إخوانه خشية عليه أن يحسد وكانت صلاته موجزة في تمام وكان يقول صلاة الأبدال خفيفة وكان إذا تلا تقول الكون كله مستمع له!!.

وصلى قيام رمضان سنة فقال: قرأت القرآن في هذه السنة كأنما أقرؤه على رسول الله- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ- ثم جاء رمضان الثاني فقال قرأته في هذه السنة كأنما اقرؤه على جبريل ثم جاءت السنة الثالثة فقال: قرأته في هذه السنة كأنما أقرأه على الله!!.

وكان إذا كانت ليلة القدر أجبر بها أصحابه ودعا فيها بمقدار ما يدعو كل ليلة ثلاث مرار، وكان يقول: أوقاتنا والحمد لله كلها ليلة قدر، وأنشدنا بعض إخواننا لبعض أهل الطريق شعراً:

لـــولا شـــهود جمـــالكم فـــي ذاتـــي مـــا كـــنت أحـــيا ســـاعة بحـــيـاتـــي

مـــا لـــيلة القـــدر الـــمعظـــم قـــدرها إلا إذا عـــمـــــرت بـــــه أوقـــاتـــــي

إن المحـــب إذا تمكـــن فـــي الهـــوى والحـــــب لـــم يحـــــتج إلـــى مـــيقات

وجاءه الفقيه مكين الدين الأسمر رضي الله عنه فقال له: يا سيدي رايت ليلة القدر ولكن ليست كما أراها كل سنة، رأيتها هذه السنة ولا نور لها فقال الشيخ رضي الله عنه نورك طمس نورها يا مكين الدين، ولقد كنت مع الشيخ مكين الدين هذا بالجامع الغربي من الإسكندرية في العشر الأخيرة من رمضان ليلة ست وعشرين فقال الشيخ مكين الدين: أنا الساعة أرى ملائكة صاعدة وهابطة في تهيئة وتعبئة أرأيت تأهب أهل العرس له قبله بليلة كذلك رأيته فلما كانت الليلة الثانية وهي ليلة سبع وعشرن وكانت ليلة جمعة قال: أنا الساعة أرى ملائكة معهم أطباق من نور الملك توازي مأذنة الجامع، وفوق ذلك ودون ذلك وهذه هي ليلة القدر فلما كانت الليلة الثالثة وهي ليلة ثمانية وعشرين، قال: رأيت هذه الليلة المتغيظة وهي تقول هب أن الليلة القدر حقاً يرعى أمالي حقاً يرعى، وكان الشيخ مكين الدين رضي الله عنه من أرباب البصائر ومن النافذين إلى الله سبحانه وتعالى، وكان الشيخ أبو الحسن يقول عنه: بينكم رجل يقول له ابن منصور أسمر اللون أبيض القلب والله أنه ليكاشفني وأنا مع أهلي وعلى فراشي ومرة أخرى قال الشيخ أبو الحسن فيه ما سلكت غيباً من غيوب الله إلا وعمامته تحت قدمي.

ولقد أخبرني الشيخ مكين الدين هذا. قال: دخلت مسجد النبي بالإسكندرية بالديماس فوجدت النبي المدفون هناك قائماً يصلي وعليه عباءة مخططة فقال لي: تقدم فصل. قلت له: تقدم أنت فصل قال تقدم أنت فصل فإنكم من أمة نبي لا ينبغي لنا التقدم عليه. قال: فقلت له: بحق هذا النبي إلا ما تقدمت فصليت. قال: فأنا أقول: بحق هذا النبي إلا وقد وضع فمه على فمي إجلالاً للفظة النبي كي لا تبرز في الهواء. قال: فتقدمت فصليت.

وأخبرني الشيخ مكين الدين أيضاً قال: بت بالقرافة ليلة جمعة فلما قام الزوار قمت معهم وهم يتلون إلى أن انتهوا في التلاوة إلى سورة يوسف ومنها إلى قوله تعالى: **(وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ)** [يوسف: 58] وانتهوا في الزيارة إلى قبر أخوة يوسف، فرأيت القبر قد انشق وطلع منه إنسان

طويل خفيف شعر اللحية صغير الرأس آدم اللون وهو يقول: من أخبركم بقصتنا هكذا؟ كانت قصتنا، ولقد كنت يوماً مضجعاً وأنا ساكن مطمئن فأجد في قلبي انزعاجاً على بغتة وباعثاً يبعثني على الاجتماع بالشيخ مكين الدين رضي الله تعالى عنه فقمت مسرعاً فدققت عليه الباب فخرج فلما وقع بصره عليّ قال: أنت ما تجيء حتى يسير الناس خلفك فتبسم، وقلت: سيدي قد جئت. فدخل وأخرج لي وعاء، وقال: هذا الوعاء أذهب به إلى الشيخ أبي العباس وقل له قد كتبت فيه آيات من القرآن ومحوتها بماء زمزم وشيء من العسل. فذهبت بذلك إلى الشيخ. فقال: ما هذا؟ قلت: قلت: أرسله إليكم الفقيه المكين الأسمر فأدلى فيه أصبعاً واحدة، وقال: هذا بحسب البركة وأفرغ الوعاء وملأه عسلاً وقال: اذهب به إليه، فذهبت بذلك إليه ثم عدت إليه بعد ذلك فقال لي: رأيت البارحة ملائكة أتوني بأوعية من زجاج مملوءة شراباً وهم يقولون: خذ هذا عوض ما أهديت إلى الشيخ أبي العباس.

وكان الشيخ أبو العباس رضي الله عنه كثير الرجا لعباد الله الغالب عليه شهود وسع الرحمة، وكان يكرم الناس على نحو رتبتهم عند الله حتى إنه ربما دخل عليه مطيع فلا يهتم به، وربما دخل عليه عاص فأكرمه لأن ذلك الطائع ربما أتى وهو متكبر بعلمه ناظر لفعله، وذلك العاصي دخل بكسر معصيته وذلة مخالفته، وكان شديد الكرامة للوسواس في الطهارة والصلاة ويثقل عليه شهود من كان ذلك وصفه. سئل يوماً وانا حاضر فقيل له: يا سيدي فلان صاحب علم وصلاح كثير الوسوسة، فقال: واين العلم يا فلان؟ العلم هو الذي ينطبع في القلب كالبياض في الأبيض والسواد في الأسود.

الباب الخامس
في آيات من كتاب الله تعالى تكلم على تبين معناها وإظهار فحواها

قال الله تعالى: **(الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (2))** [الفاتحة: 2].

قال الشيخ رضي الله عنه: علم الله سبحانه عجز خلقه عن حمده فحمد نفسه بنفسه في أزله. فلما خلق الخلق اقتضى منهم أن يحمدوه بحمده. فقال: الحمد لله رب العالمين، أي قولوا الحمد لله رب العالمين الذي حمد به نفسه بنفسه هو له لا ينبغي أن يكون لغيره فعلى هذا لا يكون الألف واللام عهديتين.

وسمعته يقول في قوله تعالى: **(إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (5))** [الفاتحة: 5]، إياك نعبد شريعة وإياك نستعين حقيقة وإياك نعبد إسلام، وإياك نستعين إحسان وإياك نعبد عبادة وإياك نستعين عبودة إياك نعبد فرق إياك نستعين جمع.

واعلم رحمك الله بإقباله عليك بُودّه وجعلك من الراعين لعهده، أن الله سبحانه وتعالى طلب من العباد أن يعبدوه، واقتضى منهم أن يسجلوا بذلك على أنفسهم نطقاً كما قاموا به عملاً، واقتضى منهم أن يفردوه واقتضى منهم أن تنتظم للعبادة جميع جوارحهم الظاهرة وحقائق وجوداتهم الباطنة، واقتضى منهم الرجعى إليه من دعوى القيومية في العباد بصدق التبري من الحول والقوة. فلما قام العبد لله بالعبادة عملاً اقتضى الحق أن يعترف بها نطقاً ليكون ذلك معاهدة بينه وبين الحق سبحانه حتى إذا تفلتت نفسه عن القيام بالعبادة له وثقلت عليها ملازم التكليف قامت الحجة على العبد بما أعطى الله سبحانه من الاعتراف بالعبادة له، وأنه لا يعبد غيره بقوله إياك نعبد اقتضى من العباد أن تستوعب العبادة جميع جوارحهم الظاهرة وعوالمهم الباطنة بإتيانه بالصيغة هكذا نعبد، وإعراضه عن التعبير بالهمزة المنفردة بالتكلم لأن النون إنما تكون للواحد المعظم في نفسه وليس هذا موضع هذين المعنيين إذ العبد لا يبتدأ يدي الله بوصف عظمه. فلم يبق إلا أن يكون للواحد ومعه غيره وذلك ما أشرنا إليه من الجوارح الظاهرة، والحقائق الباطنة. وأما إنه اقتضى منهم الرجعى إليه من دعوى القيومية في العبادة لأنه لما قال إياك نعبد فأضاف العبادة إليهم واقتضى منهم أن يعترفوا بذلك قياماً بدائرة الفرق التي عليها يترتب التكليف أردف ذلك بقوله وإياك نستعين كي لا يدعي العباد معه أنهم قاموا بالعبادة بأنفسهم فأراد منهم أن يوفوا الحقيقة حقها والشريعة حقها فلك جمع بين الأمرين القيام بالعبادة لربوبيته والتبري من الحول والقوة مع إلهيته.

ثم قال سبحانه: **(اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (6))** [الفاتحة: 6]، قال الشيخ: بالتثبيت فيما هو حاصل والإرشاد بما ليس بحاصل وهذا الجواب ذكره ابن عطية في تفسيره وبسطه الشيخ رضي الله عنه. فقال عموم المؤمنين يقولون: **(اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (6))** معناه: نسألك الثبات فيما هو حاصل والإرشاد لما ليس بحاصل فإنه حصل لهم التوحيد وفاتهم درجات الصالحين، والصالحون يقولون: **(اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (6))** معناه: نسألك التثبيت فيما هو حاصل والإرشاد لما ليس بحاصل فإنهم حصل لهم الصلاح وفاتهم درجات الشهداء والشهيد يقول: **(اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (6))** أي بالتثبيت فيما هو حاصل والإرشاد لما ليس بحاصل فإنه حصل لهم درجات الصديقية وفاتهم درجات القطب. والقطب يقول: **(اهْدِنَا الصِّرَاطَ**

الْمُسْتَقِيمَ (6)) أي بالتثبيت فيما هو حاصل والإرشاد لما ليس بحاصل، فإنه حصل لهم درجات الصديقية وفاتهم درجة القطب. والقطب يقول: **(اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (6))** أي بالثبيت فيما هو حاصل والإرشاد لما ليس بحاصل فإنه حصل له علم رتبة القطبانية وفاته علم إذا شاء الله أن يطلعه عليه أطلعه.

وقال في قوله عز وجل: **(الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ)** [البقرة: 3].

كل موضع ذُكر فيه المصلون في معرض المدح فإنما جاء لمن أقام الصلاة أما بلفظ الإقامة أو بمعنى يرجع إليها. قال الله سبحانه وتعالى: **(الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ).**

رب اجعلني مقيم الصلاة، وأقام الصلاة، وأقم الصلاة، وأقاموا الصلاة والمقيمي الصلاة، ولما ذكر المصلين بالغفلة قال: **(فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ (4) الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ (5))** [الماعون: 4، 5].

ولم يقل فويل للمقيمين الصلاة، والإقامة هو أنه إذا صلى المؤمن صلاة فتقبلت منه خلق الله تعالى من صلاته صورة في ملكوته راكعة ساجدة إلى يوم القيامة وثواب ذلك لصاحب الصلاة.

وقال في قوله سبحانه وتعالى: (**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً**ۖ) [البقرة: 67]. كل إنسان نفسه والله أمرك بذبحها.

وقال في قوله تعالى: **(مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ۖ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ)** [النساء: 79].

قيل إنما وقع التفصيل في العبادة أدباً من الله لنا فأضاف المحاسن إليه، وأضاف المساوئ إلينا، وإن كان فعل العبد كله خلق الله حسنه وسيئه كما قال فأراد ربك أن يبلغا أشدهما فأضاف ذلك إلى الله وقال في السفينة فأردت أن أعيبها ولم يقل فأراد ربك أن يعيبها أدباً في التعبير وكما قال إبراهيم عليه السلام: (وإذا مرضت فهو يشفين فأضاف المرض لنفسه، والشفاء لله عز وجل)، ومنهم من قال إن ذلك داخل في مضمون القول وإن هذا التفصيل حكاه الله عنهم، والتقدير: (فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً) في قوله: **(مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ۖ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ)** [النساء: 79].

ورد عليهم بقوله: **(قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ ۖ)** [النساء: 78].

وقال رضي الله تعالى عنه في قوله تعالى: **(يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ)** [فاطر: 13].

يولج المعصية في الطاعة ففي المعصية يطيع العبد الطاعة فيعجب بها، ويعتمد عليها ويستصغر من لم يفعلها ويطلب من الله العوض عليها فهذه حسنة أحاطت بها سيئات، ويذنب الذنب فيلجأ إلى الله فيه ويعتذر منه ويستصغر نفسه ويعظم من لم يفعله فهذه سيئة أحاطت بها حسنات فأيهما الطاعة وأيهما المعصية.

وقال الفتى: من كسر الصنم؟ قال: الله تعالى. قالوا: سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم. وقال رضي الله عنه في قوله عز وجل: **"أمن يجيب المضطر إذا دعاه الولي لا يزال مضطراً"** ومعنى كلام الشيخ هذا أن العامة اضطرارهم بمثيرات الأسباب فإذا زالت زال اضطرارهم وذلك لغلبة دائرة الحس على مشهدهم فلو شهدوا قبضة الله الشاملة المحيطة لعلموا أن اضطرارهم إلى الله دائم وأن الاضطرار تعطيه حقيقة العبد إذ هو ممكن وكل ممكن مضطر إلى

ممد يمده ومدد يمده وكما أن الحق سبحانه هو الغني أبداً فالعبد مضطر إليه أبداً ولا يزايل العبد هذا الاضطرار لا في الدنيا ولا في الآخرة ولو دخل الجنة فهو محتاج إلى الله فيها غير أنه غمس اضطراره في المنة التي أفرغت عليه ملابسها، وهذا هو حكم الحقائق أن لا يختلف حكمها لا في الغيب ولا في الشهادة ولا في الدنيا ولا في الآخرة فالعلم صفته الكشف أي علم كان وفي أي وقت كان والإرادة صفتها التخصيص أي إرادة كانت وفي أي وقت كانت ومن اتسعت أنواره لم يتوقف اضطراره وقد عتب الله قوماً اضطروا إليه عند وجود أسباب ألجأتهم إلى الاضطرار فلما زالت زال اضطرارهم قال الله سبحانه: **(وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ الْإِنسَانُ كَفُورًا (67))** [الإسراء: 67].

وقال: **(وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (12))** [يونس: 12].

وقال: **(قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (63))** [الأنعام: 63].

إلى غير ذلك من الآيات الواردة في هذا المعنى، ولما لم تصل عقول العموم إلى ما تعطيه حقائق وجوداتهم سلط الحق عليهم الأسباب المثيرة للاضطرار ليعرفوا قهر ربوبيته وعظمة إلهيته ومن الدليل على فخامة رتبة الاضطرار أن الحق سبحانه أوقف الإجابة عليها فقال: **(أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ)** [النمل: 62]، وإذا أراد الله تعالى أن يمنع عبداً شيئاً وهبه الاضطرار إليه فيه فيطلب بالاضطرار فيعطي وإذا أراد الله أن يمنع عبداً أمراً منعه الاضطرار إليه فيه ثم منعه إياه وقال حجة الله على العبد لو اضطررت إلينا لأعطيناك فلا يخاف عليك أن تضطر وتطلب فلا تعطي بل يخاف عليك أن تحرم الاضطرار فتحرم الطلب أو تطلب بغير اضطرار فتحرم العطاء.

وقال في قوله تعالى: **(كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ۖ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (37))** [آل عمران: 37].

ثم قال بعد ذلك: **(وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا (25))** [مريم: 25]، فذكر بعض الناس في هذا تأويلاً لا يرضي ولا ينبغي أن يلتفت إليه وهو أنه كان حبها لله وحده فلما ولدت انقسم حبها وليس كما قال هذا القائل لأنها صديقة كما أخبر الله عنها وأمه صديقة والصديق والصديقة لا ينتقلان من حالة إلا إلى أكمل منها ولكنها كانت في بدايتها متعرفاً إليها بخرق العادة وسقوط الأسباب فلما تكمل يقينها أرجعت إلى الأسباب فالحالة الثانية أتم من الحالة الأولى وقال رضي الله عنه الفتوة والإيمان والهداية قال سبحانه وتعالى: **(إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى (13))** [الكهف: 13].

وقال رضي الله تعالى عنه في قوله تعالى حاكياً عن الشيطان: **(لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ (17))** [الأعراف: 17]، ولم يقل من فوقهم ولا من تحتهم لأن فوق للتوحيد وتحت للإسلام والشيطان لا يمكنه أن يأتي المؤمن من توحيد ولا من إسلامه وقال رضي الله عنه في قوله: **(وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا (125))** [النساء: 125].

قال: سُمي خليلاً لأنه خالل سره محبَّة الله تعالى، وقال الشاعر:

قــد تخللــت مــسلك الــرُّوح منّــي وبــذا ســمي الخــلــيل خـلـــيلا

وإذا مــا نطقــتُ كــنت كــلامــي وإذا مــا صــمت كــنت الغلــيلا

وقال رضي الله تعالى عنه في قوله **(وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ (37))** [النجم: 37] قالَ وفَّى بمقتضى قوله حسبي الله.

وقال في قوله تعالى: **(وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (18))** [الذاريات: 18]، قال من طاعاتهم وأعمالهم التي قاموا بها لله في ليلهم أن يشهدوها من أنفسهم.

ودليل ما قاله الشيخ أن الله سبحانه وصفهم قبل ذلك بقوله: **(كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (17))** [الذاريات: 17]، ثم قال: **(وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (18))** [الذاريات: 18]، فلم يتقدم منهم في ليلهم ذنوب يكون استغفارهم منها وقد جاء في الحديث الصحيح أن النبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ- كان إذا سلم من صلاته استغفر الله ثلاثاً.

وقال الواسطي: العبادات إلى طلب العفو عنها أقرب منها إلى طلب الأعواض عليها.

وقال رضي الله عنه في قوله: **(قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ (58))** [يونس: 58]، أي من طاعاتهم وأعمالهم ومثل ذلك ورحمة ربك خير مما يجمعون.

وقال في قوله سبحانه: **(سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (1))** [الإسراء: 1]، ولم يقل بنبيه ولا برسوله وهو نبيه ورسوله وإنما كان كذلك لأنه أراد أن يفتح باب السريان للاتباع، فأعلمنا أن الإسراء من بساط العبودية والنبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ-كان له كمال العبودية فكان له كمال الإسراء، أسرى بروحه وجسمه وظاهره وباطنه والأولياء لهم قسط من العبودية فلهم قسط من الإسراء يسري بأرواحهم لا بأشباحهم. وسمعته يقول في قوله تعالى: **(إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ (54) فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ (55))** [القمر: 54، 55].

إنَّ المتقين في جنات ونهر في هذه الدار في الدنيا، وفي تلك الدار في جنات العلوم وأنهار المعارف وفي الآخرة في الجنة التي وعدوا بها في مقعد صدق عند مليك مقتدر. وبسط كلام الشيخ هو أن نعيم الجنة الكائن فيها تكون رقائقه معجلة للمقتين في هذه الدار فما كان لهم في الجنة حساً يكون لهم هذه الدار معنى ومثل هذه الآية قوله: **(إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (13))** [الانفطار: 13].

أي في هذه الدار وفي تلك الدار، في هذه الدار في جحيم القطيعة، وفي تلك الدار في جحيم العقوبة وقوله: **(فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ)** [القمر: 55] أي في هذه الدار وفي تلك الدار وفي هذه الدار مقعد صدق العبودية، وفي تلك الدار في مقعد صدق الخصوصية **(عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ (55))** [القمر: 55] في هذه الدار وفي تلك الدار في هذه الدار لهم عندية الأمداد وفي تلك الدار لهم عندية الأشهاد، وقال في قوله تعالى: **(مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ)** [يونس: 5]، الحق الذي خلق

به كل شيء كلمة "كن". قال الله سبحانه: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ﴾ [الأنعام: 73] ، إنما قرن شكره بشكرهما لأنهما أصل في وجودك.

وقال في قوله: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ (17) قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ (18)﴾ [طه: 17، 18]، إلى قوله: ﴿سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ (21)﴾ [طه: 21]، يقال للولي: وما تلك بيمينك أيها الولي؟ قال: هي دنياي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي وغنمه أعضاؤه ولي فيها مآرب أخرى. فيقال له: ألقِها، فألقاها فيكشف له عن حقيقتها ﴿فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ (20)﴾ [طه: 20]. ثم يقال له: خذها ولا تخف ولا يضره أخذها حين أخذها لأنه أخذها بإذن كما ألقاها بإذن فأخذها من الوجه الذي به ألقاها فأطاع الله في أخذها كما أطاع الله في إلقائها.

وقال في قوله: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنزِيلًا (25) الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ﴾ [الفرقان: 25، 26]، إنما قال للرحمن ولم يقل للقهار ولا للعزيز لأن تشقق السماء بالغمام وتنزل الملائكة مظهران من مظاهر القهر والسطوة، فلو قال للقهار أو للعزيز لم يطق العباد ذلك وتفطرت قلوبهم فرفق بهم أن قال الملك يومئذ الحق للرحمن وهكذا قوله: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا (85)﴾ [مريم: 85]. ولم يقل للقهار ولا للعزيز لأن الحشر وهو المطلع شديد فلاطفهم برحمانيته في ظهور سلطان قهره.

وقال وقد سئل عن قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (102)﴾ [آل عمران: 102].

فقال له القائل: من أين للعبد أن يتقي الله حق تقاته؟ ومن أين له أن يموت إلا وهو مسلم؟ فقال الشيخ رضي الله عنه أقول: إن هذه الآية منسوخة بقوله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: 16]، فكانوا قد خوطبوا أولاً بتقوى الله حق تقاته وهو أن يطاع فلا يعصى ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر. ثم خفف عنهم بقوله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ قال الشيخ: ويمكن الجمع بين الآيتين فاتقوا الله ما استطعتم أي في جانب الأعمال وقوله تعالى: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ [آل عمران: 102]. أي في جانب التوحيد. وقوله: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (132)﴾ [البقرة: 132]، أي لا تتعاطوا من الأعمال إلا أعمالاً إذا متم عليها متم مسلمين.

وقال رضي الله عنه: صليت خلف الشيخ صلاة الصبح، فقرأ بـ ﴿حم (1) عسق (2)﴾ [الشورى: 1،2] فلما انتهى إلى قوله: (يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا) [الشورى: 49]، فخطر لي أنها الحسنات ويهب لمن يشأ الذكور فخطر لي أنها العلوم أو يزوجهم ذكوراً وإناثاً علوماً وحسنات ويجعل من يشاء عقيماً لا علم ولا حسنة، فلما سلم الشيخ من الصلاة استدعاني، وقال: لقد وجدت فهمك في الصلاة ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا﴾ الحسنات، ﴿وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ (49)﴾ [الشورى: 49] العلوم ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا ۖ﴾ [الشورى: 50] علوماً وحسنات ﴿وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا ۚ﴾ [الشورى: 50] لا علم ولا حسنة، فتعجبت من اطلاع الشيخ على ذلك فقال أتعجب من اطلاعي على فهمك في الصلاة وقد فهم فلان كذا وفهم فلان كذا حتى عد أفهام الجماعة الذين خلفه...!!!

وقال في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ﴾ [فاطر: 6].

ففهم قوم من هذا الخطاب أنهم أمروا بعداوة الشيطان، فشغلهم ذلك عن محبة الحبيب وقوم فهموا من ذلك أن الشيطان لكم عدو أي وأنا لكم حبيب فاشتغلوا بمحبته فكفاهم من دونه.

قيل لبعضهم: كيف صنعك مع الشيطان؟ فقال: وما الشيطان؟ نحن قوم صرفنا هممنا إلى الله فكفانا من دونه.

وقال رضي الله عنه: قرأت مرة والتين والزيتون إلى أن انتهيت إلى قوله تعالى: **(لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (4) ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ (5))** [التين: 4، 5].

ففكرت في معنى هذه الآية فكشف لي عن اللوح المحفوظ فإذا مكتوب فيه: "لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم روحاً وعقلاً ثم رددناه أسفل سافلين نفساً وهوى". وقال في قوله: **(وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ ۚ)** [يوسف: 24]. همَّت به هَمَّ إرادة وهَمَّ بها هَمَّ ميل لا هم إرادة.

وقال في قوله تعالى: **(لَّقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ)** [التوبة: 117]، إلى قوله: **(تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ)** [التوبة: 117]، فقال عن شيخه أبي الحسن: ذكر توبة من لم يذنب لئلا يستوحش من أذنب لأنه ذكر النبي والمهاجرين والأنصار ولم يذنبوا. ثم قال: وعلى الثلاثة الذين خلفوا فذكر من لم يذنب ليؤنس من قد أذنب، فلو قال أولاً: لقد تاب الله على الثلاثة الذين خلفوا لتفطرت أكبادهم.

وقال رضي الله عنه التقوى في كتاب الله تعالى أقسام تقوى النار. قال تعالى: **(وَاتَّقُوا النَّارَ)** [آل عمران: 131]، وتقوى اليوم قال تعالى: **(وَاتَّقُوا يَوْمًا)** [البقرة: 48، 123، 281]، وتقوى الربوبية: **(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ ۚ)** [النساء: 1، الحج: 1، لقمان: 33]، وتقوى الألوهية: **(وَاتَّقُوا اللَّهَ)** [الحجر: 69] وتقوى الإنية: **(وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ (197))** [البقرة: 197].

وقال رضي الله عنه في قوله تعالى: **(سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ ۚ)** [المائدة: 42]، نزلت في اليهود ومن كان من فقراء هذا الزمان مؤثراً للسماع بهواه أكلاً مما حرمه مولاه فهي نزعة يهودية لأن القوال يذكر العشق وما هو بعاشق والمحبة وما هو بمحب والوجد وما هو بمتواجد فالقوال يقول الكذب والمستمع سماع له ومن أكل من الفقراء طعام الظلمة حين يدعى إلى السماع فهو يصدق عليه قول الله: **(سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ ۚ)** [المائدة: 42].

وقال رضي الله عنه: عبر بعض الصحابة على بعض اليهود، فسمعهم يقرؤون التوراة فتخشعوا، فلما دخلوا على رسول الله- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ- نزل عليه جبريل فقال: (اقرأ! قال: "وما أقرأ؟[66]" قال: اقرأ): **(أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ)** [العنكبوت: 51] إذ تخشعوا من غيره، وهم إنما تخشعوا من التوراة وهي كلام الله، فما ظنك بمن أعرض عن كتاب الله وتخشع بالملاهي والغناء؟...

وقال رضي الله عنه وقد سأله سائل: يا سيدي لم قال عيسى عليه السلام:**(إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (118))** [المائدة: 118]. ولم يقل الغفور الرحيم؟ قال الشيخ: إنما عدل عن قوله فإنك أنت الغفور الرحيم إلى قوله العزيز الحكيم: لأنه لو قال الغفور الرحيم لكان شفاعة من عيسى عليه السلام لهم في المغفرة لا شفاعة في كافر ولأنه عبد من دون الله، فاستحى من الشفاعة عنده وقد عبد معه.

وقال رضي الله عنه في قوله: **(لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۚ)** [الحشر: 21] في هذه الآية مدح لسيد المرسلين- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ- أي أن هذا القرآن لا تثبت له الجبال لو أنزل عليها، وأنت يا محمد تثبتّ لنزوله للقوة الربانية التي أودعناك إياها، وفيه ذم للكافرين أي أن هذا القرآن لو أنزل على جبل لخشع وتصدع وأنتم ما خشعتم ولا تصدعتم.

فائدة: اعلم أن تفسير هذه الطائفة لكلام الله، وكلام رسوله- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ-بالمعاني الغريبة كما مضى من فهم الشيخ قوله يهب لمن يشاء إناثاً الآية الحسنات **(وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ (49))** [الشورى: 49] العلوم **(أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا ۖ)** [الشورى: 50] علوماً وحسنات. وكما مضى أيضاً من قوله: **(إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً ۖ)** [البقرة: 67]، فقال الشيخ بقرة كل إنسان نفسه وكما سيأتي في تفسير الأحاديث، فذاك ليس إحالة للظاهر عن ظاهره، ولكن ظاهر الآية مفهوم منه ما جعلت الآية له ودلت عليه في عرف اللسان، وثم إفهام باطنه تفهم عند الآية والحديث لمن فتح الله قلبه، وقد جاء أنه عليه الصلاة والسلام قال: لكل آية ظاهر وباطن وحد ومطلع"[67] فلا يصدنك عن تلقي هذه المعاني منهم أن يقول لك ذو جدل ومعارضة هذا إحالة لكلام الله عز وجل وكلام رسول الله- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ-، فليس ذلك بإحالة. وإنما كان يكون إحالة لو قالوا لا معنى للآية إلا هذا وهم لم يقولوا ذلك بل يقرون الظواهر على ظواهرها ومراداً بها موضوعاتها، ويفهمون عن الله ما أفهمهم وربما فهموا من اللفظ ضد ما قصده واضعه، كما أخبرنا الشيخ الإمام مفتي الأنام تقي الدين محمد بن علي القشيري رحمه الله تعالى. قال: كان ببغداد فقيه يقال له الجوزي يقرأ اثني عشر علماً فخرج يوماً قاصداً إلى مدرسته فسمع منشداً ينشد شعراً:

إذا العشرون من شعبان ولت فواصل شرب ليلك بالنهار

ولا تشرب بأقداح صغار فقد ضاق الزمان عن الصغار

فخرج هائماً على وجهه حتى أتى مكة، فلم يزل مجاوراً بها حتى مات وقرئ على الشيخ مكين الدين الأسمر رضي الله عنه قول قائل:

لو كان لي مسعد بالراح يسعدني لما انتظرت بشرب الراح إفطارا

الراح شيء عجيب أنت شاربه فاشرب ولو حملتك الراح أوزارا

يا من يلوم على صهباء صافية كن في الجان ودعني أسكن النارا

فقال له إنسان هناك: لا يجوز قراءة هذه الأبيات، فقال الشيخ مكين الدين للقارئ: اقرأ هذا رجل محجوب، ويكفيك في هذا أن ثلاثة سمعوا منادياً يقول: يا سعتر بري، ففهم كل منهم عن الله مخاطبة خوطب بها في سِرِّه سمع الواحد اسعَ تَرَ برّي وسمع الآخر الساعة ترى بري، وسمع الآخر ما أوسع بري فالمسموع واحد واختلفت أفهام السامعين. كما قال سبحانه: **(يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ ۚ)** [الرعد: 4]. وقال سبحانه: **(قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ)** [البقرة: 60].

فأما الذي سمع اسع تر بري، فمريد دل على النهوض إلى الله بالأعمال ليستقبل الطريق بالجدل، وقيل له اسع إلينا بصدق المعاملة ترى برَّنا بوجود المواصلة، وأمّا الثاني فكان سالكاً إلى الله طاولته الأوقات فخاف أن تفوته الوصلة فقيل له ترويحاً على قلبه لما أحرقه نار الشغف الساعة تر بري، وأما الآخر فعارف كوشف له عن وسع الكرم، فخوطب من حيث شهد فسمع ما أوسع بري.
وقال الشيخ محيي الدين بن عربي: دعانا بعض الفقراء إلى دعوة بزقاق القناديل بمصر، فاجتمع بها جماعة من المشايخ، فقدم الطعام وعجز الأوعية وهناك وعاء زجاج جديد قد اتخذ للبول، ولم يستعمل بعد فغرف فيه رب المنزل الطعام، فالجماعة يأكلون وإذا الوعاء يقول منذ أكرمني الله بأكل هؤلاء السادة منيِ، لا أرضى لنفسي أن أكون بعد ذلك محلاً للأذى، ثم انكسر نصفين قال ابن عربي: فقلت للجميع سمعتم ما قال الوعاء؟ قالوا: نعم قلت ما سمعتم فأعادوا القول الذي تقدم قالت فقلت قولاً غير ذلك قالوا وما هو؟ قلت: قال كذلك قلوبكم قد أكرمها الله بالإيمان فلا ترضوا بعد ذلك أن تكون محلاً لنجاسة المعصية وحب الدنيا جعلنا الله وإياك من أولي الفهم عنه والتلقي منه.

الباب السادس
فيما فسره من الأحاديث النبوية وإبداء أسرار فيها على مذهب أهل الخصوصية

قال رضي الله عنه في قوله عليه السلام: **"سبعة يظلهم في ظله يوم لا ظل إلا ظله"، إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلق بالمسجد حتى يعود إليه، ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات حسن وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه**[68]. قال الشيخ: الإمام العادل هو القلب، ورجل قلبه معلق بالمسجد حتى يعود إليه، أي رجل قلبه معلق بالعرش فإن العرش مسجد قلوب الموقنين، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه أي خالياً من النفس والهوى، ورجل تصدّق بصدقة فأخفاها أي عن نفسه وهواه وكذلك قال في قوله تعالى: **(إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا (3))** [مريم: 3].

أي من النفس والهوى. **واعلم**: أن هؤلاء السبعة جازاهم الحق سبحانه من حيث معاملتهم إياه أما الإمام العادل فإنه عدل في عباد الله، فأوى المظلوم إلى ظل عدله فأواه الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله.

وأما الشاب الذي نشأ في عبادة الله، فإنه أوى إلى الله معرضاً عن هواه آوياً إلى كنف مولاه فصنع الحق معه ذلك في الآخرة جزاء كما صنع هو ذلك مع الله في الدنيا معاملة.

وأما الرجل الذي قلبه معلق بالمسجد حتى يعود إليه، فإنه أثر طاعة الله وغلب عليه حب الله فلذلك صار قلبه متلفتاً إلى، المسجد لا يحب البراح عنه يجد فيه روح القرابة وحلاوة الخدمة، فأوى إلى الله مؤثراً لربوبيته، فأظله الله بظله يوم لا ظل إلا ظله جزاء لما سبق من معاملته.

وأما الرجلان اللذان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه، فإنهما تواصلا بروح الله تعالى وتألفا بمحبة الله، فكان ذلك منهما انحياشاً إلى الله، فآواهما الله بظله يوم لا ظل إلا ظله.

وأما الرجل الذي دعته امرأة ذات حسن وجمال، فقال: إني أخاف الله رب العالمين، فإنه صلى نار مخافة الهوى من المولى، وخالف بواعث الطبع المعارضة للتقوى، ولما خاف الله هرب إليه، ولما هرب إليه ههنا معاملة آواه الله إليه في الآخرة مواصلة، فأظله الله بظله يوم لا ظل إلا ظله.

وأما الرجل الذي ذكر الله خالياً ففاضت عيناه، فإنه لم تفض عيناه إلا من القرح التي أحرقت قلبه إما حياء من الله، أو شوقاً إليه، أو خوفاً من ربوبيته، أو لشهود التقصير معه.

فلما فعل ذلك حيث لا يراه أحد إلا الأحد كان ذلك معاملة لله، وانحياشاً إليه بالاعتذار إليه أو بالشوق إليه، فآوى إلى الله فأظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله.

وأما الرجل الذي تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه فإنه قد آثر الله على نفسه ببذل الدنيا إيثاراً لحب الله على ما تحب نفسه، لأن شأن النفس حب الدنيا وعدم البذل لها، فلا يبذل لها إلا من آثر الله عليها، ولذلك قال رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ -: **"والصدقة برهان"**[69] أي برهان يدل على أن العبد آثر مولاه على نفسه وهواه، فلما مال هذا العبد إلى الله بالمعاملة من الله عليه بأن أظله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، وتشترك الأقسام السبعة في معنى واحد، فلذلك

جوزوا جزءاً واحداً اشترك في أن كلاً من هؤلاء السبعة صَلَى حَرَّ مخالفة الهوى في الدنيا، فلم يذقه الله حَرَّ الآخرة وقد قال - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ - حاكياً عن الله: **"لا أجمع على عبدي خوفين، ولا أجمع عليه أمنين إن آمنته في الدنيا أخفته في الآخرة، وإن أخفته في الدنيا آمنته في الآخرة"**[70]. وقال رضي الله عنه في قول رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ -: **"يسروا ولا تعسروا"**[71] أي دلوهم على الله ولا تدلوهم على غيره، فإن من دلك على الدنيا فقد غرك ومن دلك على الأعمال، فقد أتعبك ومن دلك على الله فقد نصحك.

وقال رضي الله عنه في قول رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ -: **"رأيت الجنة، فتناولت منها عنقوداً ولو أخذته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا"**[72]، فقال الأنبياء يطالعون حقائق الأشياء والأولياء يطالعون مثلها، فلذلك قال عليه الصلاة والسلام: **"رأيت الجنة"** ولم يقل كأني رأيت.

وقال حارثة لي: قال رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ -: **"كيف أصبحت يا حارثة"**[73] قال: أصبحت مؤمناً حقاً. فقال - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ -: **"لكل حق حقيقة. فما حقيقة إيمانك؟"**[74] قال: عزفت نفسي عن الدنيا فاستوى عندي ذهبها ومدرها، وكأني أنظر إلى أهل الجنة في الجنة يتنعمون، إلى أهل النار في النار يعذبون، وكأني أرى عرش ربي بارزاً من أجل ذلك أسهرت ليلي، وأظمأت نهاري. فقال له رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ -: **"يا حارثة عرفت فالزم"**[75]. ثم قال - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ -: **"عبد نوَّر الله قلبه بنور الإيمان"**[76]. فقال حارثة: كأني ولم يقل رأيت لأن ذلك للأنبياء دونه، وكذلك قول حنظلة الأسدي لرسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ -: تذكرنا الجنة والنار حتى كانا رأي عين ولم يقل حتى نراها رأي عين لما قدمناه.

وفي حديث حارثة فوائد عشرة:

الفائدة الأولى: أنه لما سأل النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ - حارثة فقال له: **"كيف أصبحت يا حارثة؟"** لم يقل حارثة غنياً ولا صحيحاً، ولا شيئاً من الأحوال البدنية أو الأمور الدنيوية، لأن حارثة علم أن رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ - أجل من أن يسأل عن دنيا بل فهم عنه أنه إنما سأله كيف حاله مع الله؟ فلذلك قال الصحابي أصبحت مؤمناً حقاً أمّا أبناء الدنيا إذا سئلوا فلا يخبرونك إلا عن دنياهم، وربما أخبروك إذا سألتهم عن الضجر بأحكام مولاهم فالسائل لمن هذا وصفه مشارك له، فيما استثاره سؤاله بجريان سببه منه. قال الشيخ أبو العباس لرجل أتى من الحج: كيف كان حجكم؟ فقال ذلك الرجل: كثير الرخاء كثير الماء كذا كذا، وسعر كذا وكذا، فأعرض الشيخ عنه وقال نسألهم عن حجهم وما وجدوا فيه من الله من علم ونور وفتح، فيجيبون برخاء الأسعار وكثرة المياه حتى كأنهم لم يسألوا إلا عن ذلك.

الفائدة الثانية: أنه ينبغي للمشايخ تفقد حال المريدين، ويجوز للمريدين إخبار الأستاذين، وإن لزم من ذلك كشف حال المريد لأن الأستاذ كالطبيب، وحال المريد كالعورة والعورة قد تبدى للطبيب لضرورة التداوي.

الفائدة الثالثة: انظر إلى قوة نور حارثة في قوله أصبحت مؤمناً حقاً، فلولا أنه منصور بنور البصيرة الموجبة لمحض اليقين، والتحق بالمنة ما أخبر بذلك وأبداه، وأثبت لنفسه حقيقة الإيمان

بين يدي صاحب المحو والإثبات، وإنما أبدى ذلك حارثة لأنه علم أن طواعية رسول الله - صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ - واجبة والرسول قد استخبره عن حاله، فلم يسعه الكتم وأبدى ما علم أن الله تفضل به عليه ببركات متابعة رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ - ليفرح له رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ - بمنة الله، فيشكر الله عنه ويسأل الله تثبيت ما أعطاه، ومثل هذا ما ذكره بعض العلماء. قال: وقعت زلزلة بالمدينة زمن خلافه عمر فقال عمر: ما هذا؟ ما أسرع؟ ما أحدثتم؟ والله لئن عادت لأخرجن من بين أظهركم فانظر رحمك الله هذه البصيرة التامة. كيف أشهدته؟ أن الزلزلة إنما هي من حدث وأن ذلك الحدث منهم وأنه بريء منه، فهل هذا إلا من نور البصيرة الكاملة التي وهبها عمر، وكذلك ضربه لأبي هريرة في صدره، حين وجد معه نعل رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ - وقد أمره أن من لقيه من وراء الحائط يشهد أن لا إله إلا الله أن يبشره بالجنة، ورجوعهما إلى رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ - قول عمر: يا رسول الله أنت أمرت أبا هريرة أن يأخذ نعليك، ويبشر من لقي من وراء الحائط يشهد أن لا إله إلا الله بالجنة؟ قال: نعم. قال: لا تفعل يا رسول الله خلهم يعملوا. فقال عليه السلام: **"خلهم يعملوا"**[77] وهاتان الواقعتان يعرفانك بعظم قدر عمر، ووفور أخذه من رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ - واحتظائه من نوره، وهذا الحديث رويناه عن صحيح مسلم، وإنما ذكرته ههنا مختصراً.

الفائدة الرابعة: يفهم من هذا الحديث انقسام الإيمان إلى قسمين: إيمان حقيقي وإيمان رسمي. فلذلك أخبر الصحابي بقوله أصبحت مؤمناً حقاً والحديث يشهد له أيضاً ما رواه البخاري في صحيحه يرفعه أن رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ - قال: **"ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربّاً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً""**[78].

وروى أيضاً أنه - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ - قال: **"ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان، وطعمه أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن توقد نار عظيمة فكان أن يقع فيها خير له من أن يشرك بالله"**[79] وقد جاء في الحديث أيضاً قال: قال رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ -: **"المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف"**[80].

وفي كل خير وقد قال الله سبحانه وتعالى: **(أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا)** [الأنفال: 4].

وهما صنفان عباد آمنوا بالله على التصديق والإذعان، وعباد آمنوا بالله على الشهود والعيان. وهذا الإيمان الثاني تارة يسمى إيماناً، وتارة يسمى يقيناً لأنه إيمان انبسطت أنواره وظهرت آثاره، واستمكن في القلب عموده وداوم السر شهوده، وعنه يكون خالص الولاية كما أن عن القسم الآخر يكون ظاهر الولاية وليس يستوي إيمان مؤمن يغلب الهوى، وإيمان مؤمن يغلبه الهوى، ولا إيمان مؤمن تعرض له العوارض فيدفعها بإيمانه كإيمان مؤمن غسل قلبه من العوارض، فلا ترد عليه لشهوده وعيانه ولأجل هذا ما اختلف أهل الطريق في عبدين أحدهما يرد عليه خاطر الذنب، فيجاهد نفسه حتى يذهب ذلك عنه والآخر لا يخطر له هذا الخاطر أصلاً أيهما أتم والذي لا تشك فيه تفضيل هذا القسم الثاني، فإنه أقرب لأحوال أهل المعرفة، والأول هو حال أهل المجاهدة، ولأنه لا يكون القلب على هذه الصفة إلا والنور قد ملأ زواياه، فلأجل ذلك لم يجد خاطر الذنب مساغاً.

الفائدة الخامسة: مطالبة الرسول - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ - لحارثة بإقامة البرهان على ما أثبته لنفسه يفيدك ذلك أنه ليس كل من ادعى دعوى سُلِّمَتْ له. وقد قال الله سبحانه وتعالى: **(فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (94))** [البقرة: 94]. **(قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (111))** [البقرة: 111]، فموازين الحقائق شاهدة للعباد أو عليهم. وقد قال سبحانه وتعالى: **(وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ)** [الرحمن: 9].

فمن ادّعى حالاً مع الله أقيم عليه ميزانها، فإن شهد له سلمناها له وإلا فلا، وإذا كانت الدنيا على خسارة قدرها عند الله لا نسلم لك إلا ببينة تقيمها، فمن الأحرى أن لا نسلم لك مراتب الموقنين حتى يثبتها لك برهان أو تسلمها لك حقيقة.

الفائدة السادسة: كان الشيخ أبو العباس رضي الله عنه يقول: لو كان المسؤول أبا بكر رضي الله عنه لم يطالبه الرسول عليه السلام بإقامة برهان على ما ادعى لأن عظيم رتبة أبي بكر شاهدة له من غير إظهار برهان، فأراد الرسول عليه الصلاة والسلام أن يعرفنا الفرق بين رتبة أصحابه، **فمنهم** من هو كحارثة لما ادعى حقيقة الإيمان طولب ببرهانها، **ومنهم** من هو كأبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما يثبت لهما رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ - الرتب وإن لم يثبتوها لأنفسهم ألا ترى الحديث الوارد أن بقرة في بني إسرائيل ركبها رجل، وأجهدها فقالت: سبحان الله لم أخلق لهذا إنما خلقت للحرث، فقال الصحابة: سبحان الله أبقرة تتكلم؟! فقال رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ -: **"آمنت بذلك أنا وأبو بكر وعمر وهما غائبان"**[81] فانظر هذه المرتبة ما أفخمها هذه المنزلة ما أعظمها.

وسمعت شيخنا أبا العباس رضي الله عنه يقول: معنى قوله عليه السلام: آمنت بذلك وأبو بكر وعمر أي من غير عجب وأنتم آمنتم متعجبين، فلأجل ذلك قالوا سبحانه الله أبقرة تتكلم، وكان يقول إن الملائكة لما بشرت زوجة إبراهيم بالولد قالت: **(أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ (72))** [هود: 72]. فقالت الملائكة لها: أتعجبين من أمر الله؟ أمر الله لا يتعجب منه، فلم يسمها الحق صِدِّيقة، ومريم لما بشرت بالولد من غير أب، فلم تتعجب من ذلك سمّاها صديقة. فقال سبحانه: **(وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ ۖ)** [المائدة: 75].

الفائدة السابعة: استدلال الصحابي على حقيقة إيمانه، بزهده في الدنيا وكذلك هذا الإيمان إذا تحقق به من قام به أورثه الزهد في الدنيا، لأن الإيمان بالله يوجب لك التصديق بلقائه، وعلمك بأن كل آت قريب يوجب لك شهود قرب ذلك، فيورثك ذلك الزهد في الدنيا، ولأن نور الإيمان يكشف لك عن إعزاز الحق لك، وتأنف همتك من الإقبال على الدنيا والتطلع إليها مع أن الحقيقة تقتضي أن الزاهد في الدنيا مثبت لها، فإنه شهد لها بالوجود إذا ثبتها مزهوداً فيها وإذا شهد لها بالوجود، فقد عظمها وهو معنى قول الشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه، والله لقد عظمتها إذا زهدت فيها ومثل زهد الزاهد فيما زهد فيه فناء الفاني عما فنى عنه، فإثبات أنك فان عن الشيء إثبات لذلك الشيء، فما لا وجود له لا يتعلق به فناء، ولا زهد ولا ترك ولنا في هذا المعنى أبيات كتبت بها لبعض إخواننا يسمى حسناً:

حسن بأن تدع الوجود بأسره حسن فلا يشغلك عنه شاغل

لئن فقهت لتعلمنّ بأنّه لا ترك إلا للذي هو حاصل

ومتـــى شـــهدتَّ ســـواه فـاعلم أنـــه من وهـــمـــك الأدنـــى وقلـــبك ذاهـل

حـــب الإلــــه شـــهُـــوده لـــوجـــوده والله يـعلـم مـا يقُـــول القــائــــل

ولئن أشرت إلى الصـــريح من الـهـــدى دلّـــــت عــليه إن فـــهـــمت دلائــل

وحـديث كـــان ولـيس شـــيء غيـــره يفضي بـه الآن اللـبـــيب العـاقـل

لا غيـــر إلا نـــسـبة مثـــبـــوتــة لـيُـذم ذو تـرك ويُحـمــد فـــاعــل

الفائدة الثامنة: قول الصحابي عزفت نفسي عن الدنيا، فاستوى عندي ذهبها ومدرها العزوف هو ترك الشيء بالتعزف له، والإعراض عنه إذ لو قال تركت الدنيا لم يلزم من الترك عدم التطلع، فرب تارك للشيء وهو له متطلع، فالعزوف إعراض مع كراهة وتحقر من كشف الله له عن حقيقة الدنيا فهذا شأنه فيها. وقد قال رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ -: **"الدنيا جيفة قذرة"**[82]، وقال - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ - للضحاك: **"ما طعامك؟"**[83] قال: قال: اللحم واللبن. قال: ثم يعود إلى ماذا؟ قال: إلى ما قد علمت يا رسول الله. قال: فإن الله جعل يخرج من ابن آدم مثلاً للدنيا، فمن كشف له عن حقيقة الدنيا "فشهدها جيفة قذرة" فحري أن تعزف همته عنها فإن قلت: فقد قال رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ -: **"الدنيا حلوة خضرة"**[84]. فاعلم أن الدنيا جيفة قذرة في مرأى البصائر حلوة خضرة في مرأى الأبصار. فإن قلت: فما فائدة الإخبار بأنها حلوة خضرة، فاعلم أن قوله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ -: **"الدنيا جيفة قذرة"** للتنفير، وقوله: **"الدنيا حلوة خضرة"** للتحذير أي فلا تغرنكم بحلاوتها وخضرتها، فإن حلاوتها في التحقيق مرارة، وخضرتها يبس ولهذا لما سأل رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ - عن أولياء الله قال: هم الذين نظروا إلى باطن الدنيا حين نظر الناس إلى ظاهرها.

الفائدة التاسعة: وقوف الصحابي على مستحق رتبته بقوله، وكأني أنظر إلى أهل الجنة في الجنة يتنعمون ولم يقل نظرت وقد تقدم ذلك من الأنبياء يطالعون حقائق الأشياء، والأولياء يطالعون مثلها.

الفائدة العاشرة: قوله: فمن أجل ذلك أسهرت ليلي، وأظمأت نهاري، فحارثة عبد وصل بكرامة الله إلى طاعة الله ألا ترى كيف قال في الأول عزفت نفسي عن الدنيا؟ ثم قال بعد ذلك: فمن أجل ذلك أسهرت ليلي وأظمأت نهاري، فسبق عزوف نفسه عن الدنيا معاملته لربه.

وكان الشيخ أبو العباس يقول: الناس على قسمين:

قوم وصلوا بكرامة الله إلى طاعة الله، وقوم وصلوا بطاعة الله إلى كرامة الله. قال الله سبحانه: **(يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ (13))** [الشورى: 13].

ونور الله يرد على القلب فيوجب له الاتصاف بصفة الزهد في الدنيا والإعراض عنها ثم تنبت منه إلى الجوارح، فما وصل إلى العين أوجب الاعتبار، وإلى الأذن أوجب حسن الاستماع وإلى اللسان أورث الذكر، وإلى الأركان أورث الخدمة، والدليل على أن النور يوجب عزوف الهمة عن الدنيا والنأي عنها قول رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ -: **"إن النور إذا دخل الصدر انشرح**

وانفسح"[85] فقيل: يا رسول الله فهل لذلك من علامة. "قال التجافي عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود".

وأما حديث حنظلة الأسدي، فقد رواه مسلم في صحيحه قال: لقي حنظلة أبو بكر فقال نافق حنظلة، فقال أبا بكر رضي الله عنه: وما شأن حنظلة؟ فقال: نكون عند رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ -، فيذكرنا بالجنة والنار حتى كأنا رأي عين، فإذا خرجنا من عنده عافسنا الضيعات والزوجات نسينا كثيراً، فقال أبو بكر رضي الله عنه: إنا لنلقى مثل ذلك يا حنظلة، ثم أتيا رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ - فقال حنظلة: يا رسول الله نافق حنظلة، فقال رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ -: "**وما شأن حنظلة**"[86] فقال: نكون عندك يا رسول الله تذكرنا بالجنة والنار حتى كانا رأي عين فإذا خرجنا من عندك عافسنا الضيعات والزوجات نسينا كثيراً، فقال - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ -: "**والذي نفسي بيده يا حنظلة لو تدومون على ما تكونون عليه عندي وفي الذكر لصافحتكم الملائكة في طرقكم، وعلى فرشكم ولكن ساعة وساعة**"[87]

ففي هذا الحديث ثمان فوائد:

الفائدة الأولى: قول حنظلة: نافق حنظلة النفاق مأخوذ من فقهاء اليربوع، وهو أنه يجعل لبيته بابين متى طلب أحدهما خرج من الآخر، كذلك المنافق يظهر بظاهر الإيمان وله مسرب من الكفر باطن إذاعتبه أهل الكفر على ما أظهره من الإيمان فتح مسرباً من باطن كفره ليسلم من عتبهم وإذا ظهرت عليه رتبة أهل النفاق، فعوتب عليها تصوّن من ذلك بظاهر الإيمان الذي أظهره ولذلك أخبر الله عنهم بقوله: **(وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ (14))** [البقرة:14].

فلما رأى حنظلة أنه يكون عند رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ - على حالة، فإذا خرج وحاول أسباب الدنيا تغير حاله، فلم يبق على نحو ما كان عليه عند رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ - خاف أن يكون ذلك نفاقاً لاختلاف حالتيه، فشكا ذلك إلى رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ -، وحمله الإيمان أن أظهر ذلك ليتطلب الشفاء منه ويشكو داءه لمن يوجد الشفاء عنده، فلما شكا ذلك لأبي بكر رضي الله عنه قال له أبو بكر: إنا لنلقى مثل ذلك يا حنظلة، ولم يجبه ابو بكر لأن رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ - كان بين أظهرهم، فلم ير أبو بكر أن يجيب حنظلة ولو أن حنظلة أتى أبا بكر بعد وفاة الرسول - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ - لأجابه.

الفائدة الثانية: يستفاد من حديث حنظلة أن من حمله الصدق على إظهار ما به حصل له الشفاء، أما بأن يقال إن ما ظننته داء ليس بداء، وأما أن يدل من الدواء على ما يزيل الداء، فحنظلة قيل له إن ما ظننته داء ليس بداء.

الفائدة الثالثة: قول حنظلة لرسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ - تذكرنا الجنة والنار حتى كأنا رأي عين، ولم يقل حتى نراها رأي عين لما قدمناه أن الأنبياء يطالعون حقائق الأشياء والأولياء يطالعون مثلها، فلذلك قال حنظلة كانا رأي عين، ولم يقل حتى نراها رأي عين كما قال حارثة وكأن أنظر إلى أهل الجنة، ولم يقل نظرت إلى أهل الجنة وقد تقدم هذا من قبل.

الفائدة الرابعة: ينبغي أن يقلل الدخول في اسباب الدنيا ما أمكن، فهذا الصحابي يقول فإذا خرجنا من عندك عافسنا الضيعات والزوجات نسينا كثيراً، وقد قال رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ -: "**أن قليل الدنيا يلهي عن كثير الآخرة**"[88].

وقال - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ -: **"ما طلعت شمس إلا وجنبها ملكان يناديان أيها الناس هلموا على ربكم فإن ما قل وكفى خير مما كثير وألهى"**[89].

الفائدة الخامسة: قوله عليه السلام: **"لو تدومون على ما تكونون عليه عندي وفي الذكر لصافحتكم الملائكة في طرقكم، وعلى فرشكم"**[90]. فيه إشارة إلى أن الدوام على تلك الحالة عزيز، وأن عدم دوام العبد على تلك الحالة لا يوجب معتبته لما طبع عليه البشر من الغفلة، فكان الدوام على تلك الحالة كالمعوز.

الفائدة السادسة: كان الشيخ أبو العباس يقول: لم يقل - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ -: إن ذلك محال أن يكون أعني ما رتِّب على تقدير الدوام وهو قوله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ -: **"صافحتكم الملائكة في طرقكم وعلى فرشكم"** فقد يكون من أولياء الله يهبه الله ذلك.

الفائدة السابعة: إنما خص الرسول - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ - الفرش والطرق لأن الفرش محل الشهوات والطرق محل الغفلات، فإذا صافحتكم الملائكة في فرشهم وطرقهم فمن الأحرى أن تصافحهم في محل طاعاتهم ومواطن أذكارهم.

الفائدة الثامنة: اقتضت حكمة الله تعالى أن لا يستوي وقت كينونتهم عنده، ووقت ذكرهما سواهما حتى يعرف عظيم قدر رتبة محاضرته - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ -، وعزازة الذكر وجلالة منصبهما، وقد قال رضي الله عنه سمع النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ - أبا بكر يقرأ ويخفت صوته وسمع عمر يقرأ ويرفع صوته، فقال لأبي بكر: لم خفضت صوتك؟ قال: قد أسمعت من ناجيت، وقال لعمر: لم رفعت صوتك؟ قال: أوقظ الوسنان وأطرد الشيطان، فقال لأبي بكر: ارفع قليلاً، وقال لعمر: أخفض قليلاً. قال الشيخ رضي الله عنه أراد أن يخرج كلاً منهما عن إرادته لنفسه لمراد رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ - لهما.

وقال رضي الله عنه في قوله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ -: **"أنا سيد ولد آدم ولا فخر"**[91]. أي ولا أفتخر بالسيادة، وإنما الفخر لي بالعبودية، وكان كثيراً ما ينشد شعراً:

يـا عمـرو نـاد عـبد زهـراء يعـرفه الـسـامع والـراي

لا تدعنـي إلا بـيا عـبدها فـإنـه أشـرف أسـماي

وكان الشيخ ابو الحسن الشاذلي رضي الله عنه يقول: المؤمن في الدنيا أسير ولا فكاك للأسير إلا بإحدى ثلاث. إما بالحيلة، وإما بالفدية، وإما بالعناية. وما ذكره الشيخ مأخوذ من قول رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ - **"الدنيا سجن المؤمن"**[92] قال الشيخ أبو العباس في تفسير هذا الحديث شأن المسجون التحديق بعينيه والإصغاء بأذنيه متى يدعى فيجيب.

وقال رضي الله عنه: الأنبياء إلى أممهم عطية ونبينا محمد - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ - هدية. وفرق بين الهدية والعطية، لأن العطية للمحتاجين والهدية للمحبوبين، قال النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ -: **"إنما أنا رحمة مهداة"**[93] قال في قوله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ -: السلطان ظل الله في الأرض هذا إذا كان عادلاً، وأما إذا كان جائراً فهو ظل النفس والهوى.

وقال رضي الله عنه: مات رجل من أهل الصُّفّة، فوجد في شملته ديناران فقال النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ -: **"كيتان من نار"**[94]، قال الشيخ: وقد مات على عهد رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

وسَلّمَ - كثير من الصحابة وتركوا أموالاً، فما قال فيهم رسول الله - صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلّمَ - مثل ما قال في هذا لأنهم لم يبطنوا خلاف ما أظهروا، وهذا الذي كان من أهل الصفة أظهر الفاقة، وكان عنده هذان الديناران فلما أظهر خلاف ما أبطن قال رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ -: **"كيتان من نار"** وقال في قوله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ -: **"التاجر الصدوق يحشر مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين يوم القيامة"**[95]. فقال رضي الله عنه: بأي طريق يحشر مع النبيين وبأي طريق يحشر مع الصديقين وبأي طريق يحشر مع الشهداء وبأيّ طريق يحشر مع الصالحين؟

قال: يحشر مع الأنبياء لأن شأنهم أداء الأمانة، وبذل النصيحة، فيحشر مع الأنبياء بهذا الوصف وهذا التاجر أدى الأمانة وبذل النصيحة. ويحشر مع الصديقين لأن الصديق شأنه الصفاء في الظاهر، والباطن وقد استوى ظاهره وباطنه. والتاجر الصدوق كذلك فيحشر مع الصديقين بهذا الوصف ويحشر مع الشهداء، فإن الشهيد شأنه الجهاد والتاجر الصدوق يجاهد نفسه وشيطانه وهواه، فيحشر مع الشهداء بهذا الوصف ويحشر مع الصالحين، فإن الصالح شأنه أخذ الحلال وترك الحرام، فيحشر مع الصالحين بهذا الوصف.

الباب السابع
في تفسيره لما أشكل من كلام أهل الحقائق
وحمله لذلك على أجمل الطرائق

قال رضي الله عنه: قال سهل بن عبد الله لا تكونوا من أبناء الدهور ولا من أبناء العد والإحصاء، وكونوا من أبناء الأزل أشقي أو سيعد. ثم قال رضي الله تعالى عنه: يقول أحدهم صليت كذا وكذا ركعة ختمت كذا وكذا ختمة وحججت كذا كذا حجة، فهؤلاء من أبناء العدد والإحصاء فهم إلى عد سيآتهم أحوج منهم إلى عد حسناتهم وأما أبناء الدهور فيقول أحدهم لي في طريق الله سبعون سنة لي في طريق الله ستون سنة وكونوا من أبناء الأزل أشقي أو سعيد يعني لاحظوا ما سبق في علم الله، ولا تتكلوا على ما لكم من العلم والعمل، ولكن أرجعوا لوجود الأزل.

وقال رضي الله عنه: قال بشر الحافي منذ أربعين سنة أشتهي الشواء، فما صفا لي ثمنه. فقال الشيخ رضي الله عنه: من ظن أن هذا الشيخ مكث أربعين سنة ما وجد درهماً حلالاً يشتري به شواء، فقد أخطأ من أين له في الأربعين سنة ما يأكل وما يلبس، وإنما المعنى في ذلك أن هؤلاء قوم أصحاب مراتب لا يأكلون ولا يشربون ولا يدخلون في شيء، ولا يخرجون من شيء إلا بإذن من الله وإشارة، فلو أذن له في أكل الشواء لصفا له ثمنه. وقال رضي الله عنه: قوت القوم على أربعة أوجه: مباح، وحلال، وطيب، وصافي. فالمباح ما كان مستوى الطرفين ما على أخذه عقاب ولا على تركه ثواب. والحلال هو ما لم يخطر لك على بال ولا سألت فيه أحداً من النساء والرجال، والطيب هو ما أخذه العبد بوصف الفناء إذ لا وصف له مع مولاه، والصافي هو ما عاينه العبد من المنبع يعني من عين قدرة الله.

وقال رضي الله عنه: قال الجنيد أدركت سبعين عارفاً، كلهم يعبدون الله على ظن ووهم حتى أخي أبا يزيد، ولو أدرك صبياً من صبياننا لأسلم على يديه. فقال الشيخ معنى قوله يعبدون على ظن ووهم لا يريد بذلك ظناً في المعرفة ووهماً فيها وكيف تجتمع المعرفة والظن أو الوهم؟ وإنما المراد أنهم وصلوا إلى مقامات توهموا أن ليس وراءها للموقنين مقام. فقال الجنيد: لو أدرك صبياً من صبياننا لأسلم على يديه، أي لتبين له أن فوق ذلك المقام مقام إلى ما لا آخر له. ومعنى لاسلم على يديه أي لانقاد له. فالإسلام هو الانقياد. وقال رضي الله عنه: في قوله أبي يزيد خضت بحراً وقف الأنبياء بساحله، إنما يشكو أبو يزيد بهذا الكلام ضعفه وعجزه عن اللحاق بالأنبياء، ومراده أن الأنبياء خاضوا بحار التوحيد، ووقفوا من الجانب الآخر على ساحل الفرق يدعون الخلق إلى الحق، أي فلو كنت كاملاً لوقفت حيث وقفوا وهذا الذي فسر الشيخ به كلام أبي يزيد هو اللائق بمقام أبي يزيد وقد قدمنا عنه أنه قال جميع ما أخذ الأولياء مما أخذ الأنبياء كذق مليء عسلاً ثم رشحت منه رشاحة، فما في باطن الذق للأنبياء وتلك الرشاحة هي للأولياء والمشهور عن أبي زيد التعظيم لمراسم الشريعة، والقيام بكمال الأدب حتى أنه وصف له رجل بالولاية، فأتى إلى زيارته فقعد في المسجد ينتظره، فخرج ذلك الرجل وتنخم في حائط المسجد، فرجع أبو زيد ولم يجتمع به وقال هذا رجل غير مأمون على أدب من آداب الشريعة، كيف يؤمن على أسرار الله وما جاء عن الأكابر أولى الاستقامة مع الله سبحانه من أقوال وأفعال يستنكر ظاهرها أوَّلناها لما علمناه

من استقامتهم وحسن طريقتهم، وقد قال رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ - **لا تظنن بكلمة برزت من امرئ مسلم سوأ وأنت تجد لها في الخير محملاً**[96].
وقال رضي الله عنه: كان الحارث بن أسد المحاسبي إذا مد يده إلى طعام فيه شبهة تحرك عليه أصبعه، فسأل الشيخ سائل فقال: يا سيدي قد جاء أن الصديق قدم له لبن، فأكل منه فوجد كدرته في قلبه، فقال: من أين لكم هذا اللبن؟ فقال غلام له: كنت تكهنت لقوم في الجاهلية، فأعطوني ثمن كهانتي فتقيأه أبو بكر رضي الله عنه، ثم قال: والله لو لم يخرج إلا بمصاريني لأخرجتها، فلم يكن على يدي الصديق عرق يتحرك عليه إذا قدم له طعام فيه شبهة والصديق أولى بكل مزية من سائر الأمة وقد وزن بالأمة، فرجحهم فقال الشيخ رضي الله عنه: الصديق رضي الله عنه كالوكيل المفوض إليه مطهر من البقايا، فلا يحتاج إلى الإشارة والحارث بن أسد بقيت عليه البقايا، فلذلك ألزم الإشارة حتى لا يدخل في شيء بنفسه وهواه، وأبو بكر رضي الله عنه طهر من النفس والهوى، فلا يحتاج إلى الإشارة.
واعلم أن من حسن اختيار الله لأبي بكر أن تناول من ذلك اللبن حتى يتكلف طرحه بعد شربه، فيثيبه الله على ذلك وأيضاً ليجعله قدوة للعباد، فيقتدي به من أكل طعاماً فيه شبهة ولم يعلم أن الأولى له قيئه، وليس لقائل أن يقول ضمنه بأكله وقد تناوله إذ تناوله، وهو غير آثم إذ هو غير عالم، فإن أبا بكر ما سأل عن اللبن إلا حتى وجد له كدرة في قلبه دل ذلك على أن الحرام، أو الشبهة قد يؤثر في القلب كدرة أو قسوة وإن لم يعلم به، متناوله وقت تناوله وهكذا هم أهل التخصيص إن وقع منهم أمر مثل هذا ونحوه، فهو من حسن اختيار الله لهم حتى يفتح بهم السبيل للعباد، وكما أن من حسن اختيار الله لآدم أكله من الشجرة بعد أن نهي عنها حتى يتوب من الفعل، فيكون قدوة للتالين من التائبين وحتى يتعرف الله بحمله، فيعلم أنه أكرم الأكرمين ويوقفه على وجود ستره ولطفه، فيعلمه أنه اللطيف الخبير بعباده المؤمنين، وليكون أكل الشجرة سبباً في النزول والنزول سبباً في الخلافة، فلذلك قال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه: أكرم بها معصية أورثته الخلافة، وقال: "والله لقد أنزل الله آدم إلى الأرض من قبل أن يخلقه بقوله إني جاعل في الأرض خليفة" وقد بسطنا القول في هذا الموضع في (كتاب التنوير) فلا نعيده.
وقال رضي الله عنه: إنما بدأ القشيري في رسالته بالفضل بن عياض وإبراهيم ابن أدهم لأنهما كانا قد تقدم لهما زمن قطيعة، ثم أقبلا فأقبل الله عليهما، فبدأ بذكرهما بسطاء لرجاء المريدين الذين كانت تقدمت منهم الزلات وسبقت منهم المخلفات، ثم رجعوا إلى استفراغ أبواب العنايات، إذ لو بدأ بذكر الجنيد وسهل ابن عبد الله التستري، وعتبة الغلام وأمثالهم ممن نشأ في طريق الله تعالى لقال القائل: ومن يدرك هؤلاء إن هؤلاء لم تسبق لهم زلات ولم تتقدم منهم مخالفات؟ وقال رضي الله عنه في الحكاية المشهورة عن سمنون المحب إنه كان ينشد شعراً:

وليس لي في سواك حظ فكيف ما شئت فاختبرني

فابتلي بعلة الاستبراء[97] وهي احتباس البول، فتجلد يوماً فزاد الألم، فتجلد الثاني فزاد الألم، فتجلد ثالثاً ورابعاً والألم يزيد، فهو في صبيحة اليوم الرابع واذا بإنسان من أصحابه قد أتاه، وقال يا سيدي سمعت البارحة صوتك عند دجلة، وأنت تستغيث إلى الله وتسأل رفع ما نزل بك، فجاءه ثان وثالث ورابع ولم يكن هو سأل، فعلم أنها إشارة من الله له بالسؤال، فصار يدور على صبيان

المكاتب، ويقول ادعوا لعمكم الكذاب فقال الشيخ: يرحم الله سحنوناً عوض ما قال، فكيف ما شئت، فاختبرني كان يقول فكيف ما شئت فاعف عني فطلب العفو أولى من طلب الاختبار.

وقال رضي الله عنه في الحكاية التي ذكرها الأستاذ أبو القاسم القشيري قال الجنيد: دخلت على السري، فوجدته متغيراً. فقلت له: ما بالك يا أستاذ متغيراً؟ فقال: دخل علي شاب آنفاً. فقال لي: ما التوبة؟ فقلت: أن لا تنسى ذنبك. فقال: بل التوبة أن تنسى ذنبك. فما تقول أنت يا أبا القاسم؟ قال: فقلت القول عندي كما قال الشاب لأني إذا كنت في حال الجفاء، ثم نقلني على حال الصفاء، فذكر الجفاء في وقت الصفاء جفاء، فقال الشيخ رضي الله عنه: كلام السري أتم من كلامهما لأن كلام السري يدل على مبادئ المقامات، وكذلك القدوة ملزم بالكلام على مقامات العباد بداياتها ونهاياتها، وإنما تأتي النهايات من البدايات والجنيد لم يكن في ذلك الوقت بمقام ان يكون قدوة، وكذلك الشاب فتكلما على أحوال أهل الارتقاء في نهاياتهم فكلامهما يخص حالهما وكلام السري مهتع موورود للسالكين هذا معنى كلام الشيخ رضي الله عنه.

وقال رضي الله عنه في قول بعضهم: لا يكون الصوفي صوفياً حتى لا يكتب عليه صاحب الشمال شيئاً عشرين سنة، ليس معنى ذلك أن لا يقع منه ذنب عشرين سنة، ولكن معناه إذا أذنب استغفره منه، والملك الموكل يكتب السيئات ولا يكتب السيئة حتى ينتظر العبد لعل ان يرجع أو يتوب، وكلما أراد أن يكتبها قال له ملك اليمين امكث، فعسى أن يتوب إلى أن يبلغ عدداً أما لسبع، وأما العشر الشك مني فحينئذ يكتبها سيئة، فلذلك جاء صاحب اليمين أمين على صاحب الشمال.

الباب الثامن
في كلامه في الحقائق والمقامات وكشفه فيها
عن الأمور المعضلات

قال رضي الله عنه: الشوق على قسمين شوق على الغيبة لا يسكن إلا بلقاء الحبيب وهو شوق النفوس، وشوق الأرواح على الحضور والمعاينة، فإذا رفعك إلى محل المحاضرة والشهود المسلوب عن العلل، فذاك مقام التعريف إيماناً حقيقياً وذاك ميدان تنزل أسرار الأزل، فإذا أنزلك إلى محل المناغرة والجهاد، فذاك مقام التكليف المفيد بالعلل وهو بالإسلام الخفي ميدان تجلى حقائق الأبدية، والمحقق من لا يبالي بأي صفة تكون لأن صفتك تميل لا أنت والصفة من العين للعين، وهو ظهورك والاسم للسان وهو نطقك، والاسم حقيقة الصفة والصفة حقيقة الوجود، والأسرار متنزلة عن الوجود به للصديقة، والحقائق متجلية عن الصفات بالولاية لأهل العلوم الظاهرة عن الاسم بالدليل لأهل السعاية، وإليه الإشارة بقوله عليه السلام: "يا أبا جحيفة سائل العلماء، وخالط الحكماء وجالس الكبراء فالعالم يدلك بالعلم من الأسماء ونهايته الجنة، والحكيم المقرب يحملك باليقين، وبالحقائق من الصفات ونهايته منازل القرابة"[98] وإليه الإشارة بقوله تعالى: **(اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ)** [المائدة: 35].

وغنى لي مُنى قلبي وغنيت كما غنى والكبير يدلك بالأسرار من الوجود

وقال رضي الله عنه: أوقات العبد أربعة لا خامس لها: النعمة، والبلية والطاعة، والمعصية. ولله عليك في كل وقت منها سهم من العبودية يقتضيه الحق منك بحكم الربوبية، فمن كان وقته الطاعة فسبيله شهود المنة من الله عليه إذ هداه لها ووفقه للقيام بها ومن كان وقته المعصية، فسبيله الاستغفار والتوبة ومن كان وقته النعمة، فسبيله الشكر وهو فرح القلب بالله ومن كان وقته البلية، فسبيله الرضا بالقضاء والصبر والرضا رضى النفس عن الشهوات والصبر مشتق من الإصبار، وهو الغرض للسهام وكذلك الصابر ينصب نفسه غرضاً لسهام القضاء، فإن ثبت لها، فهو صابر والصبر ثبات القلب بين يدي الرب. قال رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ -: **"من أعطى فشكر، وابتلي فصبر، وظلم فغفر، وعمل فاستغفر ثم سكت"**، فقالوا: يا رسول الله ماذا له؟ فقال: **"أولئك لهم الأمن وهم مهتدون"**[99] أي لهم الأمن في الآخرة وهم مهتدون في الدنيا.

وقال رضي الله عنه: الناس على قسمين قوم وصلوا بكرامة الله إلى طاعة الله، وقوم وصلوا بطاعة الله إلى كرامة الله. قال سبحانه وتعالى: **(يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ)** [الشورى: 13].

ومعنى كلام الشيخ هذا أن من الناس من حرك الله همته لطلب الوصول إليه، فصار يطوي بهما نفسه ويبدأ طبعه إلى أن وصل إلى حضرة ربه يصدق على هذا قوله سبحانه وتعالى: **(وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ)** [العنكبوت: 69].

ومن الناس من فاجأته عناية الله من غير طلب ولا استعداد، ويشهد لذلك قوله يختص برحمته من يشاء والأول حال السالكين، والثاني حال المجذوبين فمن كان مبدؤه المعاملة فنهايته المواصلة، ومن كان مبدؤه المواصلة رد إلى وجود المعاملة، ولا تظن أن المجذوب لا طريق له بل له طريق

طوتها عناية الله له، فسلكها مسرعاً إلى الله عجلاً، وكثيراً ما تسمع عند مراجعات المنتسبين للطريق أن السالك أتم من المجذوب لأن السالك عرف الطريق، وما توصل إليه والمجذوب ليس كذلك وهذا بناء منهم على أن المجذوب لا طريق له، وليس الأمر كما زعموا، فإن المجذوب طويت له الطريق ولم تطو عنه ومن طويت له الطريق لم تفته ولم تغب عنه، وإنما فاته متاعبها وطول أمدها، والمجذوب كمن طويت له الأرض إلى مكة، والسالك كالسائر إليها على أكوار المطايا.

وقال رضي الله عنه: العارف لا دُنيا له لأن دنياه لآخرته وآخرته لربه.

وقال رضي الله عنه: الزاهد جاء من الدنيا إلى الآخرة، والعارف جاء من الآخرة إلى الدنيا.

وقال رضي الله عنه: الزاهد غريب في الدنيا لأن الآخرة وطنه، والعارف غريب في الآخرة فإنه عند الله.

فإن قلت: ما معنى الغرابة في كلام الشيخ هذا؟، وما معناها في الحديث الوارد؟ **"بدأ الدين غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء"**[100]. فاعلم أن الغربة المذكورة في الحديث معناها قلة من يعين على القيام بالحق، فيكون القائم به غريباً لفقدان المساعدة وعدم المعاضد. ولا ينهض القائم حينئذ إلا قوة إيمانه ووفور إيقانه. فلذلك قال رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ -: **"بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء"**. يريد - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ - لأنهم قاموا بأمر الله في بلاده وعباده حيث تقاعدت همم الناس عن القايم به، وأما الغربة في كلام الشيخ فمعناها أن الزاهد يكشف له عن ملك الآخرة، فتبقى الآخرة موطن قلبه ومعشش روحه، فيكون غريباً في الدنيا إذ ليست وطناً لقلبه عاين الدار الآخرة، فأخذ قلبه فيما عاين من ثوابها ونوالها، وفيما شهد من عقوبتها ونكالها، فاستغرب في هذه الدار، وأما العارف، فإنه غريب في الآخرة فإنه كشف له عن صفات معروفة فأخذ قلبه فيما هناك، فصار غريباً في الآخرة لأن سره مع الله بلا أين، فهؤلاء العباد تصير الحضرة معشش قلوبهم إليها يأوون، وفيها يسكنون فإن تنزلوا إلى سماء الحقوق أو أرض الحظوظ فبالإذن والتمكين والرسوخ في اليقين، فلم ينزلوا إلى الحظوظ بالشهوة والمتعة ولا إلى الحقوق بسوء الأدب والغفلة، بل كانوا في ذلك كله بآداب الله وآداب رسله وأنبيائه متأدبين وبما اقتضى منهم مولاهم عاملين.

وقال رضي الله عنه: الخوف على قسمين: خوف العامة وخوف الخاصة، فخوف العامة على أجسادهم من النار، وخوف الخاصة على خلعهم التي كساهم الله مولاهم أن تدنس بالمخالفة، ومعنى كلام الشيخ هو أن العامة لم تنفذ بصائرهم إلى شهود خلع الحق عليهم من إيمان وإسلام، ومعرفة وتوحيد ومحبة وعلموا أن الله تعالى قد تواعد أهل معصيته بعقوبته، فخافوا من الوقوع في المعصية لئلا يكون ذلك سبب وقوع العقوبة بهم، فكان خوفهم إشفاقاً على نفوسهم من عقوبة الله وأما أهل الخصوصية فأعطاهم الحق من نوره ما أشهدهم به ما كساهم من خلع مننه، فعملوا على صيانتها ليقدموا عليه بها لم تتدنس، ولم تتغير طاهرة نقية مشرقة بهية، وفهموا معنى قوله وثيابك فطهر، فطهروا ملابس إيمانهم وإيقانهم من دنس غفلتهم، وعصيانهم وفهموا أيضاً قوله تعالى: **(يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ)** [الأعراف: 26]، فعبروا الدنيا وقد رفعوا ملابسهم المنن خشية أن تتدنس بأوساخها

كي يقدموا عليه بخلعه التي أنعم الله بها عليهم، وينهضوا له بالوفاء فيما اقتضى منهم. وبالأمانة والصيانة فيما استأمنهم. وكان بعض العارفين ينشد شعراً:

قالوا غداً العيد ماذا أنت لابسه فقلت خلعة ساق حبه جرعا

فقر وصبر هما ثوبان تحتهما قلب يرى ألفه الأعياد والجمعا

العيد لي مأتم إن غبت يا أملي والعيد ما كنت لي مرا ومستمعا

أحرى الملابس أن تلقى الحبيب به يوم التزاور بالثوب الذي خلعا

وقال رضي الله عنه: العامة إذا خوفوا خافوا، وإذا رجوا رجوا، والخاصة متى خوفوا رجوا، ومتى رجوا خافوا ومعنى كلام الشيخ هذا أن العامة واقفون مع ظواهر الأمر، فإذا خوفوا خافوا إذ ليس لهم نفوذاً إلى ما وراء العبارة بنور الفهم كما لأهل الله، وأهل الله إذا خوفوا رجوا عالمين أن من وراء خوفهم، وما به خوفوا أوصاف المرجو الذي لا ينبغي أن يقنط من رحمته ولا أن يؤيس من منته، فاحتالوا على أوصاف كرمه علماً منهم أنه ما خوفهم إلا ليجمعهم عليه، وليردهم بذلك إليه وإذا رجوا خافوا يخافون غيب مشيئته الذي هو من وراء رجائهم، وخافوا أن يكون ما أظهر من الرجاء اختبار لعقولهم، هل تقف مع ظاهر الرجاء أو تنفذ إلى خوف ما بطن في مشيئته، فلذلك استثار الرجاء خوفهم وحكمهم في القبض والبسط، كما قال الشيخ في الخوف والرجاء غير أن البسط مزلة أقدام الرجاء، فهو موجب لمزيد حذرهم وكثرة لجأهم. قال بعضهم: فتح لي باب من البسط، فانبسطت فحجبت عن مقامي ثلاثين سنة.
وكان الشيخ أبو العباس رضي الله عنه ينشد شعراً:

وأقطع السير إليه ذميلا[101] فإذا ما نلت منه وصولا

فأقرع الباب قليلاً قليلا واحذر البسط ونادي يا مجيب

من على بعد ينادي من قريب
فقوله واحذر البسط لما قدمناه، فإنه رزق من الأنوار بسطاً فيخشى على العبد أن يبغيه وجوده. قال الله سبحانه: **(۞ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ)** [الشورى: 27].
والقبض أقرب إلى وجود السلامة لأنه وطن العبد إذ هو في أسر قبضة الله وإحاطة الحق محيطة به. ومن أين يكون للعبد البسط؟ وهذا شأنه والبسط خروجعن حكم وقته، والقبض هو اللائق بهذه الدار إذ هي وطن التكليف وإبهام الخاتمة، وعدم العلم بالسابقة والمطالبة بحقوق الله تعالى.
وأخبرني بعض الصوفية قال: رأى شيخنا شيخه في المنام بعد موته مقبوضاً، فقال له: يا أستاذ ما لك مقبوضاً؟ قال له: يا بني القبض والبسط مقامان من لم يوفهما في الدنيا وفاهما في الآخرة، وكان هذا الشيخ الغالب عليه في حياته البسط، وقوله من على بعد أي من شهود عدم استحقاق الإجابة، أو من على بعد من دعواك لأوصاف الربوبية أو من على بعد بوجود شهود الإساءة.
وقال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه: ما طلبت من الله حاجة إلا وقدمت إساءتي أمامي.

فإن قلت: فحديث الثلاثة الذين دخلوا الغار، فانحطت عليهم صخرة فسدت باب الغار، فقالوا ليذكر كل واحد منكم أرجى عمل عمله، فذكر أحدهم برّه بأبويه، والآخر عفافه عن ابنة عمه مع حبه إياها، والتمكن منها وذكر الآخر تثميره لأجر أجير استأجره. فلما وجده دفع ذلك كله إليه، فكشف الله عنهم ما نزل بهم وزالت الصخرة عن فم الغار فخرجوا. هذا معنى الحديث مختصراً رواه مسلم والبخاري في صحيحيهما وغيرهما من الأئمة. فاعلم أن هؤلاء الثلاثة لم يذكروا طاعتهم إلا وقد شهدوها فضلاً من الله عليهم، فتوسلوا إلى نعمته بنعمته. كما أخبر الله عن زكريا: **(وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا (4))** [مريم: 4]. فتوسل إلى الله بسابق حسن عوائده فيه.

وسألت امرأة بعض الملوك فقالت: إنك قد أحسنت إلينا عام أول، ونحن محتاجون لإحسانك إلينا العام. فقال: أهلاً بمن توسل لإحساننا بإحساسنا، وأعطاها وأجزل لها العطاء ومن فتح له هذا الباب جاز له الإخبار بطاعته، ووجود معاملته لأنه حينئذ متحدث بنعم الله سبحانه.

وقد كان بعض السلف يصبح، فيقول: صليت البارحة كذا وكذا ركعة وتلوت كذا وكذا سورة، فيقال له: أما تخشى من الرياء؟ فيقول: ويحكم وهل رأيتم من يرائي بفعل غيره وكان يفعل مثل ذلك. فيقال له: لم لا تكتم ذلك؟ فيقول: ألم يقل الحق سبحانه: **(وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (11))** [الضحى: 11] وأنتم تقولون لا تتحدث.

وقال رضي الله عنه: كان الإنسان بعد إن لم يكن وسيبقى بعد أن كان ومن كلا طرفيه عدم، فهو عدم. ومعنى كلام الشيخ هذا أن الكائنات لا يثبت لها رتبة الوجود المطلق لأن الوجود الحق، إنما هو لله وله الأحدية فيه. فالعدم وصفة في نفسه.

وقد قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه: الصوفي من يرى الخلق لا موجودين ولا معدومين حسب ما هم في علم رب العالمين.

وقال أيضا: وقد تقدم وأنا لا نرى أحداً من الخلق هل في الوجود أحد سوى الله الملك الحق، وإن كان لا بد، كالهباء في الهواء إن فتشته لم تجد شيئاً.

وفي "كتاب الحكم" من كلامنا العوالم ثابتة بإثباته ممحوة لأحدية ذاته[102].

وقال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه: كان لي صاحب كثيراً ما يأتيني بالتوحيد. فقلت له إن أردت التي لا لوم فيها، فليكن الفرق على لسانك موجوداً والجمع في باطنك مشهوداً وأشبه شيء، بوجود الكائنات إذا نظرت إليها بعين البصيرة، وجود الظلال والظل لا موجود باعتبار جميع مراتب الوجود، ولا معدوم باعتبار جميع مراتب العدم، وإذا ثبتت ظلية الآثار لم تنسخ أحدية المؤثر إذ الشيء إنما يشفع بمثله، ويضم إلى شكله كذلك أيضاً من شهد ظلية الآثار لم تعوقه عن الله، فإن ظلال الأشجار في الأنهار لا تعوق السفن عن التسيار، من ههنا يتبين لك أيضاً أن الحجاب ليس أمراً وجودياً بينك وبين الله، ولو كان بينك وبينه حجاب وجودي للزم أن يكون أقرب إليك منه لا شيء، أقرب من الله، فرجعت حقيقة الحجاب إلى توهم الحجاب، فما حجبك عن الله وجود موجود معه، إذ لا موجود معه وإنما حجبك عنه توهم وجود معه، وذلك كرجل بات في مكان وأراد البراز، فسمع صوت الرياح في كوة هناك فظنه زئير الأسد، فمنعه ذلك عن البراز فلما أصبح لم يجد هناك أسداً، وإنما هو الريح انضغطت في تلك في تلك الكوة فما حجبه وجود أسد، وإنما حجبه توهم الأسد.

وسمعته يقول: لو عذب الله الخلق أجمع لم ينلك من عذابهم شيء، ولو نعمهم أجمع لم ينلك من نعيمهم شيء، فكأنك في الوجود وحدك ثم أنشد شعراً:

أنت المخاطب أيها الإنسان فاجنح إليّ يلمح لك البرهان

وسمعته يقول: دخلت على الشيخ وفي نفسه أن آكل السخن وألبس الخشن. فقال لي: يا أبا العباس اعرف الله وكن كيف شئت.

ودخل على الشيخ أبي الحسن فقير عليه ملابس شَعر، فلما فرغ الشيخ من كلامه دنا من الشيخ وأمسك بملبسه، وقال: يا سيدي ما عبد الله بهذا اللباس الذي عليك، فأمسك الشيخ ملبسه فوجد خشونته. فقال: ولا عبد الله بهذا اللباس الذي عليك لباسي يقول أنا غني عنكم، فلا تعطوني ولباسك يقول أنا فقير إليكم، فاعطوني. وهكذا طريق الشيخ أبي العباس رضي الله عنه، وشيخه أبي الحسن وطريقة أصحابهما الإعراض عن لبس زي ينادي على سر اللابس بالإفشاء، ويفصح عن طريقه بالإبداء ومن لبس الزي، فقد ادعى ولا تفهم رحمك الله أنا نعيب بهذا القول على من لبس زي الفقراء بل قصدنا أنه لا يلزم كل من كان له نصيب مما للقوم أن يلبس ملابس الفقراء، فلا حرج على اللابس ولا على غير اللابس إذا كان من المحسنين ما على المحسنين من سبيل، وأما لبس اللباس اللين وأكل الطعام الشهي، وشرب الماء البارد، فليس القصد إليه بالذي يوجب العتب من الله إذا كان معه الشكر لله.

وقد قال الشيخ أبو الحسن: يا بني برد الماء، فإنك إذا شربت الماء السخن، فقلت الحمد لله تقولها بكزازة، وإذا شربت الماء البارد، فقلت الحمد لله استجاب كل عضو فيك بالحمد لله، والأصل في هذا قوله سبحانه حكاية عن موسى عليه السلام: **(فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ)** [القصص: 24] ألا ترى كيف تولى إلى الظل قصد الشكر لله على ما يناله من النعمة.

وسمعته يقول: اختلف الناس في اشتقاق الصوفي، فمنهم من قال هو منسوب إلى الصوف لأنه لباس الصالحين، وقيل هو منسوب إلى الصفة يعني صفة مسجد رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ - التي نسب إليها أهل الصفة، وهو نسب على غير قياس، ثم قال وأحسن ما قيل فيه أنه منسوب لفعل الله به، أي صافاه الله فصوفي، فسمّي صوفياً، ثم أنشد شعراً:

تخالف الناس في الصوفي واختلفوا وكلهم قال قولاً غير معروف

ولست أمنح هذا الاسم غير فتى صافى فصوفي حتى سمي الصوفي

وسمعته يقول الصوفي مركب من حروف أربعة بالصاد والواو والفاء والياء فالصاد صبره، وصدقه وصفاؤه والواو وجده ووده ووفاؤه، والفاء فقده وفقره وفناؤه، والياء ياء النسبة إذا تكمل فيه ذلك أضيف إلى حضرة مولاه.

وسألته رضي الله عنه عن قول عيسى عليه السلام يا بني إسرائيل بحق ما أقول لكم لا يلج ملكوت السموات من لم يولد مرتين. فقال رضي الله عنه: أنا والله ممن ولد مرتين الإيلاد الأول إيلاد الطبيعة، والإيلاد الثاني إيلاد الروح في سماء المعارف.

وسمعته يقول ولن يصل الولي إلى الله حتى تنقطع عنه شهوة الوصول إلى الله تعالى.

وقال الشيخ أبو الحسن: ولن يصل الولي إلى الله ومعه شهوة من شهواته أو تدبير من تدبيراته، أو اختيار من اختياراته ومعنى كلام الشيخ أنه لن يصل الولي إلى الله حتى تنقطع عنه شهوة الوصول إلى الله، أي انقطاع أدب لا انقطاع ملل يغلب عليه التفويض إلى الله، وشهود حسن الاختيار منه فيلقي القياد إليه، ويترك نفسه سلماً بين يديه، فلا يختار مع مولاه شيئاً لعلمه بما في الاختيار مع الله من الآفات، ولنا في هذا المعنى من قصيدة ذكرناها في كتاب (التنوير)[103]:

وكــن عبـده وألـــق القـياد لـحكمـه وإيـــاك تدبيـــــراً فمـــا هو نـــافـــع

أتحـــكـم تـدبـيـراً وغيـــرك حـاكم وأنـــت لأحــكـــام الإلـــه تـــنـــازع

فمـــحـــو إرادات وكـــل مـــشـيـئـــة هو الغـرض الأقصى فهل أنـت سـامع

كـــــــذلـك ســار الأولـــون فأدركـــوا علـى أثـرهم فلـيـس مـن هـو تابـع

وقال رضي الله عنه: اعلم أن الله خلق الآدمي وقسمه على ثلاثة أجزاء: لسانه جزء، وجوارحه جزء، وقلبه جزء وجعل على كل جزء حفيظاً. فقال: ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد. وقال: **(وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ)** [يونس: 61] وتولى حفظ القلب نفسه، فقال واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم، فاحذروه وسلط على الجوارح الشيطان، واقتضى من كل جزء وفاء ما ألزم به، فوفاء القلب أن لا يشتغل بهم الدنيا ولا بمكر ولا حسد، ووفاء اللسان أن لا يغتاب ولا يكذب ولا يتكلم إلا بما يعنيه، ووفاء الجوارح أن لا يسارع بها إلى معصية ولا يؤذي أحداً من المسلمين، فمن وقع من قلبه، فهو منافق ومن وقع في لسانه، فهو كافر ومن وقع من جوارحه فهو عاص.

وقال رضي الله عنه: صلاح العبد في ثلاثة أشياء: معرفة الله، ومعرفة النفس، ومعرفة الدنيا، فمن عرف الله خاف منه ومن عرف الدنيا زهد فيها ومن عرف النفس تواضع لعباد الله.

وقال رضي الله عنه: قال لي شيخي لا تصحب إلا من يكون فيه أربع خصال الجود في القلة، والصفح عن الظلمة، والصبر على البلية، والرضى بالقضية.

وقال رضي الله عنه: من اشترى زيتاً من بياع، فلما فرغ قال زدني قليلاً فزاده البياع خيطاً من زيت، فدينه أرق من ذلك الخيط ومن اشترى زيتاً من بياع، فلما فرغ قال زدني قليلاً فزاده البياع خيطاً من زيت، فدينه أرق من ذلك الخيط ومن اشترى فحماً، فلما فرغ قال زدني فزاده فحمة فقلبه أسود من تلك الفحمة.

قال رضي الله عنه: الناس على ثلاثة أقسام: قوم غلبت حسناتهم سيآتهم، فهم في الجنة قطعاً وقوم تساوت حسناتهم وسيآتهم، فلا يدخلون النار قطعاً، وقوم غلبت سيآتهم حسناتهم، فلا يخلدون في النار قطعاً.

وقال رضي الله عنه: الدخول في الجنة بالإيمان، والخلود فيها بالنية والدرجات فيها بالأعمال، والدخول في النار بالشرك والخلود فيها بالنية والدرجات فيها بالأعمال.

وقال رضي الله عنه: لا يدخل على الله إلا من بابين، من باب الفناء الأكبر، وهو الموت الطبيعي أو من باب الفناء الذي تعنيه هذه الطائفة.

وقال رضي الله عنه: الكائنات على أربعة أقسام: جسم كثيف وجسم لطيف، وروح شفاف وسر غريب، فالجسم الكثيف بمجرده حيوان، والجسم اللطيف بمجرده جان، والروح الشفاف بمجرده ملك، والسر الغريب هو المعنى المسجود. فالآدمي بظاهر صورته جماد وبوجود نفسه وتخيلها وتشكلها جان، وبوجود روحه ملك وأعطى زائداً على ذلك السر الغريب فلذلك استحق أن يكون خليفة.
وقال رضي الله عنه: ليس العجب ممن تاه في نصف ميل أربعين سنة. إنما العجب ممن تاه في مقدار شبر ستين، أو سبعين سنة وهي البطن.
وقال رضي الله عنه: الأدنى يشرف على الأعلى ولا يحيط به، والأعلى يحيط بالأدنى. فالأولياء لهم الإشراف على مقامات الأنبياء، وما لهم الإحاطة بمقاماتهم والأنبياء يحيطون بمقامات الأولياء.
وقال رضي الله عنه: في قوله بعض السلف لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً، أي لو كشف الغطاء للنفس لم أزدد يقيناً، فيما طالعه القلب.
وقال رضي الله عنه: جميع أسماء الله تعالى إذا أسقطت منه حرفاً أذهبت دلالته على الله كالعليم والقادر والرحيم، وغير ذلك من أسمائه الحسنى إلا اسمه الله، فإنك إذا أسقطت الألف بقي (لله) وإذا أسقطت اللام الأولى بقي (له) وإذا أسقطت اللام الثانية بقي (هو) وهو النهاية في الإشارة وأنشد الحسين بن منصور الحلاج شعراً:

أحــرف أربــع بهـا هـــام قلـبـي وتــلاشـــت بهـا همـومـي وفكـري

ألفــت ألــف الخـــلائـق بالـــصنع ولام عــلـــى المــلامــة تـجـــري

ثـــم لام زيـــادة فـــي الـمعانـــي ثـم هـاء بهـا أهـــيم أتـــــدري

وقال رضي الله عنه: كشف لي عن أرواح الصديقين صاعدة نحو الملأ الأعلى، فإذا (علي) يقال لي:

ومـا جبـنت خيلـي ولكـن تذكـرت مَـرَابِطَهـا من بَــرْبْعِيصَ وميسرا[104]

أي أنها ما فرت جبناً من الخلق، ولكنها تذكرت أوطان تعريف. وقال رضي الله عنه: (الوحي إلقاء معنى في خفاء).
وقال رضي الله عنه: جميع أسماء الله للتخلق إلا اسمه الله، فإنه للتعلق ومعنى كلام الشيخ هذا إنك إذا ناديته يا حليم، خاطبك من اسمه الحليم أنا الحليم، فكن عبداً حليماً وإذا ناديته من اسمه الكريم ناداك من اسمه الكريم أنا الكريم، فكن عبداً كريماً وكذلك في سائر أسمائه إلا اسمه الله، فإنه للتعلق فحسب إذ مضمونه الإلهية والإلهية لا يتخلق بها أصلاً.
وقال رضي الله عنه: السماء عندنا كالسقف والأرض كالبيت، وليس الرجل عندنا من يحصره هذا البيت.
وقال رضي الله عنه: نحن في الدنيا بأبداننا مع وجود أرواحنا، وسنكون في الآخرة بأرواحنا مع وجود أبداننا. وسمعته يقول الفرق بين معصية المؤمن، ومعصية الفاجر من ثلاثة أوجه: المؤمن لا يعزم عليها قبل فعلها ولا يفرح بها وقت الفعل، ولا يصر عليها بعد الفعل، والفاجر ليس كذلك.

وقال رضي الله عنه لبعض أصحابه: ليكن ذكرك الله، فإن هذا الاسم سلطان الأسماء وله بساط وثمرة، بساطة العلم وثمرته النور، ثم النور ليس مقصوداً لنفسه، وإنما ليقع به الكشف والعيان.
وجاء رجل فقيل له: يا سيدي هذا فتى، فقال الشيخ: أنت فتى؟ قال: نعم. فقال له الشيخ: ما تدري ما الفتوة، ليست الفتوة الماء والملح، وإنما الفتوة الإيمان والهداية قال سبحانه وتعالى: **(إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى (13))** [الكهف: 13].
والفتى كما قال الله سبحانه وتعالى عن إبراهيم: **(قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ (60))** [الأنبياء: 60] فسمى فتى لأنه كسر الأصنام، فمن كسر الأصنام فهو الفتى الخليل عليه السلام وجد أصناماً حسية، فكسرها وأنت لك أصنام معنوية، فإن كسرتها كنت فتىً ولك أصنام خمسة النفس والهوى والشيطان والشهوة والدنيا، فإن كسرتها فأنت الفتى وافهم ههنا لا سيف إلا ذي الفقار ولا فتى إلا (علي).
وسئل رضي الله عنه فقيل له يا سيدي: لم بدأ صاحب الرسالة بإبراهيم بن أدهم دون غيره وربما كان غيره متقدماً عليه في التاريخ، فقال الشيخ رضي الله تعالى عنه: لأن إبراهيم كان من ملوك الدنيا، فأصبح وهو كذلك فجاء وقت الظهر وهو من كبار الأولياء، فبدأ به صاحب الرسالة ليعلم أن فضل الله ليس بعمل.
وقال رضي الله عنه: عبد هو في الحال بالحال، وعبد هو في الحال بالمحول فالذي هو في الحال بالحال عبد الحال، والذي هو في الحال بالمحول عبد المحول، وأمارة من هو في الحال بالحال أن يأسى عليها إذا فقدها، ويفرح بها إذا وجدها والذي هو في الحال بالمحول لا يفرح بها إذا وجدت، ولا يحزن عليها إذا فقدت، ومعنى كلام الشيخ هذا أن من تحقق بالله ملك الأشياء، ولم تملكه فيصير الحال قهر تصريفه، وإنما يكون ذلك للرجل لرسوخه في العلم بالله والعلم حاكم على الحال وبه يوزن، والحال إنما هو فرع من فروع العلم والعلم قار ثابت، والحال لا بقاء له ولذلك قالوا:

لو لم تحل ما سميت حالاً وكلما حال فقد زالا

أنظر إلى الظل إذا ما انتهى يأخذ في النقص إذا طالا

والأكابر مَلَّكَهُم الله أحوالهم، وجعلهم حاكمين عليها ومن هنا لما قيل للجنيد رضي الله عنه: ما لنا نرى المشايخ يتحركون في السماع وأنت لا تتحرك؟ فقال: **(وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ۚ)** [النمل: 88]، وقيل لبعضهم: ما لك لا تتحرك في السماع؟ فقال: إنه إذا كان في الجمع كبير احتشمت منه فأمسكت على وجدي، فإذا خلوت وحدي أرسلت عليّ وجدي فتواجدت فانظر كيف كان زمام حاله يمسكها إذا شاء، ويطلقها إذا شاءوا إذا اتسع القلب بمعرفة الله غرقت فيه الواردات، وإنما يبدو أثر الحال على من ضاق عن وسعها، والعارف له وسع المعرفة، فإذا ورد الوارد عليه غرق في وسع معرفته وهل رأيت بحراً فاض بمطر سحاب، ولهذا جهلت أحوال الأكابر أرباب المقامات، واشتهر أهل الأحوال لظهور آثار المواهب عليهم لضعفهم عن كتمها لضيقهم عن وسعها، فربما كان صاحب الحال أحظى بإقبال الخلق من صاحب المقام وبينه وبينه مثل ما بين السماء والأرض، وكلما تمكن الرجل في العلوم الإلهية والمعارف الربانية استغرب في هذا العالم، فيقال من يعرفه ويفقد من يحيط به فيصفه.
وقال رضي الله عنه: (كل سوء أدب يثمر لك أدباً فهو أدب).

وقال رضي الله عنه: المؤمن لا يرضى عن نفسه بالخير إذا كان فيه لأن فوق الخير خيرات أتراه يرضى بالشر!!.
وقال رضي الله عنه: كان الجنيد قطباً في العلم، وكان سهل بن عبد الله التستري قطباً في المقام، وكان أبو يزيد البسطامي قطباً في الحال. وقال رضي الله عنه: اللطف حجاب عن اللطيف ومعنى كلام الشيخ هذا أن اللطف إذا ورد على العبد، فإن كان في الدائرة النفسانية تلقته النفس بالبشاشة والفرح، وإذا كان في الدائرة المعنوية تلقته الروح بالمحبة والمتعة، ويقع الميل ويكون عن الميل السكون ويكون مع السكون الأنس بالمسكون إليه والله لا يحب لك أن تسكن لغيره ولا أن تأنس بشيء دونه، فلذلك قال الشيخ رضي الله عنه: اللطف حجاب عن اللطيف إلى السكون إليه، والإقامة عنده وهذا كما تقدم عن الشيخ أبي الحسن أنه دخل على بعض الرجال، فقال له كيف حالك؟ فقال: أشكو إلى الله من برد الرضى والتسليم، كما تشكو إليه من حر التدبير والاختيار، فقال له الشيخ: أما شكواي من حر التدبير والاختيار، فقد ذقته وأما شكواك أنت من برد الرضى والتسليم، فكيف؟ فقال: أخاف أن تشغلني حلاوتهما عن الله.
وأوحى الله إلى موسى عليه السلام: **(يا موسى نعم العبد برح لولا أنه يسكن لنسيم الأسحار ومن عرفني لا يسكن لغيري)**.
وكان عندنا بالإسكندرية امرأة عارفة بالله أخبرتني أنها سمعت يقال لها أعوذ بك من النور وفتنته ومن الغيب وتلفته.
وأخبرتني أيضاً قالت: كنت أمشي بالإسكندرية، وإذا بناس في لهوهم وطربهم، فقلت في نفسي: هؤلاء في فرح ومسرة وحكم الله من ورائهم، ونحن في مقاساة[105] النوازل، وقهر الأحكام، قالت فإذا (علي) يقال لي ليس أهل الحضرة والأدب كأهل الطيبة والطرب.
وأخبرتني أيضاً قالت: كنت إذا كنت في حضرة أو موقف، وأردني زوجي ليقضي أربه لا أمنعه، ولا يستطيع ذلك كلما أراد مني أمراً عجز عنه قالت حتى يضيق خلقه، ويقول ما هذه إلا حسرة هذه الشابة في حسنها بين يدي لا تمتنع عني، ولا أصل إليها فتقول له في ذلك الوقت من هو الرجل فينا ومن هو المرأة فينا قالت وإذا كان وقت ستر أمكنه ما يريد.
وقال الواسطي: استجلاء الطاعات سموم قاتلة، وصدق رضي الله عنه وأقل ما في ذلك أنك إذا فتح لك باب حلاوة الطاعة تصير قائماً فيها متطلباً لحلاوتها، فيفوتك صدق الإخلاص في نهوضك لها، ويجب دوامها لا قياماً بالوفاء ولكن لما وجدت فيها من الحلاوة والمتعة، فتكون في الظاهر قائماً لله وفي الباطن إنما قمت لحظ نفسك ويخشى عليك أن تكون حلاوة الطاعة جزءاً تعجلته في الدنيا، فتأتي يوم القيامة ولا جزاء لك.
وقال رضي الله عنه: لما قرأت عليه كتاب "الحقائق للسلمي"، فقال فيه: انتهى عقل العقلاء إلى الخيرة، فقال الشيخ عن الشيخ أبي الحسن رضي الله عنهما: ولا حيرة عند المحققين فيما هو فيه الحيرة عند المؤمنين.
وقال رضي الله عنه: الناس على ثلاثة أقسام: عبد وهو بشهود ما منه إلى الله، وعبد هو بشهود ما من الله إليه، وعبد وهو بشهود ما من الله إلى الله، ومعنى كلام الشيخ هذا أن من الناس من يكون الغالب عليه شهود تقصيره، وإساءته، فيقوم مقام المعتذر بين يدي الله تعالى وتلازمه الأحزان وتحالفه الأشجان، ويستولي عليه الكمد كلما بدت منه سيئة، أو كشف له من نفسه عن أوصاف

سوء، وعبد آخر الغالب عليه شهود ما منَّ الله إليه من الفضل والإحسان، والجود والامتنان، فهذا تلازمه المسرة بالله والفرح بنعم الله قال الله سبحانه وتعالى: **(قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ (58))** [يونس: 58]. فالأول حال الزهاد والعباد، والثاني حال أهل العناية والوداد الأول شأن أهل التكليف، والثاني شأن أهل التعريف. الأول حال أهل اليقظة، والثاني حال أهل المعرفة. فلذلك قال الشيخ أبو الحسن العارف من عرف شدائد الزمان في الألطاف الجارية من الله عليه، وغرق إساءته في إحسان الله إليه.

(فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (69)) [الأعراف: 69].

وقال رضي الله عنه أيضا: قليل العمل مع شهود المنة من الله، خير من كثير العمل مع رؤية التقصير من النفس، وقال بعض أهل المعرفة لا يخلو شهود التقصير من الشرك في التقدير، وقال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه قرأت ليلة من الليالي: **(قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (1))** [الناس: 1].

حتى ختمتها فقيل لي شر الوسواس وسواس يدخل بينك وبين حبيبك ينسيك ألطافه الحسنة، ويذكرك بأفعالك السيئة، ويقلل عندك ذات اليمين، ويكثر عندك ذات الشمال، ليعدل بك من حسن الظن بالله ورسوله، إلى سوء الظن بالله ورسوله، فاحذر هذا الباب، فقد أخذ منه كثير من الزهاد والعباد، وأهل الجد والاجتهاد، ولذلك قل أن نجد الزاهد والعابد إلا مكموداً حزيناً لأنه علم أن الله طالبه بالعبودية، وحمله أعباءها وألزمه ما أشفقت السموات والأرض والجبال من حمله.

قال الله تعالى: **(إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ ۖ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا (72))** [الأحزاب: 72].

فعاين الزهاد ثقل ما حملوا، ولم ينفذوا إلى شهود لطف الله الحامل للأثقال عن عباده المتوكلين عليه، فلذلك لزمهم الكمد استولى عليهم الحزن وأهل المعرفة بالله علموا أنهم حملوا من التكليف أمراً عظيماً، وعلموا ضعفهم عن حمله والقيام به متى وكلوا إلى نفوسهم. قال الله سبحانه وتعالى: **(وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا (28))** [النساء: 28]. وعلموا أنهم إذا رجعوا إلى الله حمل عنهم ما حملهم. قال الله سبحانه وتعالى: **(وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ)** [الطلاق: 3].

فرجعوا إليه بصدق الرجعى، فحمل الأثقال عنهم فساروا إلى الله محمولين في محفات المنن مروح عليهم بنفحات اللطف، والآخرون ساروا إلى الله لأثقال التكاليف حاملين تلازمهم المشقات، وتطول بهم المسافات. فإذا شاء أدركهم بلطفه فأخذ بأيديهم من شهود معاملتهم إلى شهود سابق توفيقه لهم، فطابت لهم الأوقات وأشرقت فيهم العنايات.

وأما القسم الثالث وهم الذين مع الله بشهود ما من الله إلى الله، فهؤلاء هم أهل التوحيد والداخلون إلى ميادين التفريد رأوا القسم الأول. وهم الذين غلب عليهم شهود ما منهم إلى الله لم يخرجوا عن باطن الشرك وإن خرجوا عن ظاهره لأنهم أقبلوا على أنفسهم موبخين لها شاهدين لتقصيرهم وإساءتهم، فلو لم يشهدوا الفعل لها أو منها ما توجهوا لها بالتوبيخ إذا قصرت، فلذلك قال ذلك العارف الذي سبق قوله لا يخلو شهود التقصير من الشرك في التقدير، فإن قلت إذا كان توبيخ النفس وذمها يستلزم دقيقة شرك. فكيف تصنع؟ والله قد ذم النفس وأمرنا بتوبيخها إذا قصرت، ووبخها هو إذا كانت كذلك.

فالجواب أن ذمها لأن الله تعالى أمرك بذمها من غير أن تشهد لها قدرة، أو تضيف إليها فعلاً تراها هي الفاعلة له، وأما القسم الثاني وهو الذي بشهود ما من الله إليه، وإن كان خيراً من القسم الأول لكنه ما سلم من إثبات لنفسه إذا رأى نفسه مهداة إليها هدايا الحق، فولا إتيانه لنفسه ما شهد ذلك، فلأجل هذين المعنيين أثر أهل الله القسم الثالث، وهو أن يكون بشهود ما من الله إلى الله فافهم.

وقال رضي الله تعالى عنه: العارف إذا خوف خاف قال الله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام: ففررت منكم لما خفتكم يريد الشيخ رضي الله عنه أن العارف لا يقطعه نظره إلى فضل الله عن شهود عدله، ولا يحجب شهود لطفه عن خوف ما بطن مشيئته.

ويجب أن تعلم أن أهل المعرفة في نهاياتهم، ربما التبس حالهم بأهل البدايات في بداياتهم، فإن المريد في مبدأ إرادته تؤثر فيه المخاوف لعدم استيلاء سلطان الحقيقة عليه، فإذا تحقق فناؤه لم تؤثر فيه الواردات، ولم يدخل تحت حكم العادات فإذا ردَّ إلى حالة البقاء أثرت الأشياء فيه كحاله في بدايته.

(مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ) [طه: 55].

فتجد المريد يخوف فيخاف، والعارف يخوف فيخاف وليسا وإن استويا في الظاهر سواء، فخوف المريد لأجل حجته وخوف العارف لكمال معرفته، ومن هنا لا نفضل عبداً واثقاً بلطفه، ومنته على خائف من غيب مشيئته. وكذلك لا نفضل عبداً وقف مع ظاهر الوعد على عبد رد إلى وجود الأزلية، فاقتطع عن الوقوف مع الوعد الجميل، والنعم ورد إلى ما سبق في القدم. وقد جاء أن رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ - قال يوم بدر ورفع يديه إلى السماء: **"اللهم أن تهلك هذه العصابة لا تعبد"**[106]، وما زال يناشد ربه حتى سقط الرداء عن منكبيه. فقال أبو بكر رضي الله عنه: يكفيك مناشدتك لربك يا رسول الله، فإنه منجز لك ما وعدك فالرسول - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ - لكما علمه بالله كان بشهود المشيئة، وأبو بكر كان بشهود الوعد الجميل، فالرسول - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ - علم ما علمه أبو بكر رضي الله عنه من الوعد الجميل، كيف والوعد إنما وصل لأبي بكر على يد رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ - غير أنه سلك الله به المسلك الأتم من الرجوع إلى المشيئة التي لا تتوقف على شيء، ويتوقف عليها كل شيء.

وقال رضي الله عنه: ليس الشأن من تُطوى له الأرض، فإذا هو بمكة أو غيرها من البلدان، إنما الشأن من تطوى عنه أوصاف نفسه، فإذا هو عند ربه.

وقال رضي الله عنه عن شيخه: خرج الزهاد والعباد من هذه الدار وقلوبهم مقفلة عن الله.

وقال رضي الله عنه عن شيخه: من لم يتغلغل في هذه العلوم مات مُصراً على الكبائر وهو لا يعلم.

وسمعته يقول عن شيخه أبي الحسن: كل شيء نهاك الله عنه، فهو شجرة النهي، آدم لما أكل من الشجرة نزل إلى الأرض للخلافة، وأنت إذا أكلت من شجرة النهي تنزل لماذا تنزل إلى أرض القطيعة.

وقال رضي الله عنه: كان ببلاد المغرب ولي من الأولياء يتكلم على الناس، وكان بادياً فجلس يوماً يتكلم على الناس، فقال له رجل مكشوف الرأس: كبيره هذا يزهدنا في الدنيا، وهو كالدب فكوشف به الشيخ، فقال من فوق المنبر: يا أبا رويس! ما سمنني إلا حبه ثم أنشد شعراً:

وقائل لست بالمحب ولو كنت محباً لذبت مذ زمن

أحـــببـــته والـفـــؤاد فـــي حـــرق لـــم تـــذق الحـــب كـيـــف تعرفنـــي

أحـــب قـــلبـــي ومـــا درى بـــدنـــي ولـــو درى مـــا أقـــام فـــي الـــسمن

وقال رضي الله عنه: عزم إنسان على الشيخ أبي الحسن رضي الله عنه فأتى إليه وأصحابه معه. فلما أكلنا عزمنا على الخروج ولم نشرب، فقال: يا بخلاء من بخل الصوفي أن يأكل ولا يشرب، ثم قال: قال رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ - من سقى مؤمناً شربة ماء مع وجود الماء كان كمن أعتق سبعين من ولد إسماعيل. ثم قال الشيخ إذا أكلتم طعام إنسان، فاشربوا عنده حتى ينال هذا الأجر العظيم.

قال رضي الله عنه: دخلت يوماً على الشيخ أبي الحسن رضي الله عنه فقال: إن أردت أن تكون من أصحابي، فلا تسأل أحداً وإن أتاك شيء من غير المسألة فلا تقبله. فقلت في نفسي: كان النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ - يقبل الهدية، وقال: ما أتاك غير مسألة فخذه.

فقال الشيخ: كأنك تقول كان النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ - يقبل الهدية. وقال ما أتاك من غير مسألة فخذه قال الله في حقه **(قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُم بِالْوَحْيِ ۚ)** [الأنبياء: 45] متى أوحى الله إليك، إن كنت مقتدياً به في الأخذ فكن مقتدياً به، كيف تأخذ كان - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ - لا يأخذ شيئاً إلا ليثبت من يعطيه ويعوضه عليه. فإن تطهرت نفسك هكذا وتقدست هكذا، فأقبل وإلا فلا. وقال لبعض أصحابه: لم تنقطع عني فقال يا سيدي استغنيت بك. فقال الشيخ رضي الله عنه: ما استغنى أحد بأحد ما استغنى أبو بكر رضي الله عنه بالنبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ - ولم ينقطع عنه يوماً واحداً.

وقال رضي الله عنه: **"إن الله لما خلق الأرض اضطربت، فأرساها بالجبال قال الله عز وجل: (وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا (32))** [النازعات: 32]، كذلك لما خلق الله النفس اضطربت فأرساها بجبال العقل".

وقال رضي الله عنه عن شيخه: الوقت ليل، والشأن في الليل الخمود والسكون حتى تطلع شمس المعرفة أو قمر التوحيد، أو نجوم العلم فيستضاء بها.

وقال رضي الله عنه: يقول الله عز وجل: **"يا ابن آدم خلقت الأشياء كلها من أجلك وخلقتك لأجلي، فلا تشتغل بما هو لك عمن أنت له".**

وقال رضي الله عنه: الأكوان كلها عبيد مسخرة وأنت بعد الحضرة. وسمعته يقول: حقيقة النية عدم غير المنوي.

وسمعته يقول: قال عيسى عليه السلام: **"يا بني إسرائيل لا تقولوا العلم في السماء فمن ينزل به ولا في الأرض فمن يصعد به تأدبوا بآداب الروحانيين وتخلقوا بأخلاق النبيين أنبع لكم العلم من قلوبكم ما يغمركم ويغطيكم".**

وقال رضي الله عنه: نحن إذا أتانا مريد له شيء من الدنيا، لا نقول له اخرج عن دنياك وتعال، ولكن ندعه حتى تترشح فيه أنوار المنة، فيكون هو الخارج عن الخارج عن الدنيا بنفسه، ومثل ذلك قوم ركبوا سفينة فقال لهم رئيسها غداً تهب ريح شديدة، ولا ينجيكم منها إلا أن ترموا بعض أمتعتكم فارموا بها الآن، فلا يسمع أحد قوله، فإذا هبت العواصف كان الكيس من يرمي متاعه بنفسه كذلك إذا هبت عواصف اليقين يكون المريد هو الخارج عن الدنيا بنفسه.

وكان يحكى الشيخ عبد الرازق الولي الكبير رضي الله عنه أن رجلاً من أهل المهدية أتاه، فقال له الشيخ: أرى عليك أثر نعمة فمن أين أنت؟ وما قصتك؟ فقال: يا سيدي كنت من أكابر المهديّة، وأعيانها وأكثرها مالاً وعزاً، فورد علينا رجل يدعي أنه من الدالين على الله فجئت إليه، وأنا متطلع محترق على الوصول إلى الله. فقال لي إنك لا تصل إلى هذا الأمر حتى تخرج عن مالك كله، وحتى تطلق نساءَك بتاتاً وحتى تغير زيك، ففعلت ذلك فما ازداد قلبي إلا قسوة، فضاق صدري وحرت في أمري ولم أطق أن أقيم بالمهدية، وقد ذهب ما كنت فيه من المال والجاه ولم أتعوض عن ذلك شيئاً في باطني، فجئت إلى هنا قاصداً للحج، فقال الشيخ عبد الرازق: دعو على غير بصيرة، قاتلهم الله امكث عندنا، فلما جاء أوان الحج أرسله الشيخ مع بعض أهل الإسكندرية فحج. ثم رجع إلى الشيخ بالإسكندرية، فلما جاء أوان السفر إلى المغرب قال الشيخ: اذهب إلى بلدتك. فإذا وصلت إليها فإن الناس يسمعون بك ويخرجون إليك مسرعين، ويعرضون عليك الملابس والمراكب، فخذ أفضلها ملبساً وأحسنها مركباً وأدخل إلى المهدية، فما حمل إليك من الدنيا فاقبله وسيعيد الله لك ما كان لك، وأكثر منه وتجد زوجاتك قد طلقهن أزواجهن، فراجعهن، وتنال من العز والرفعة والغنى أكثر مما كنت فيه، فإذا تكمل لك ذلك كله فتح الله عيني قلبك. قال فسافر الشيخ وأتى ساحل المهدية، فسمع الناس أن فلاناً أتى من المشرق وليس في البلدة إلا من له عليه يد ومعروف، فخرجوا يهرعون بالملابس السَّنِيَّة والمراكب البهية، فلبس أفضلها ملبساً وركب أفضلها مركباً ودخل المهدية، فأهديت له الهدايا وحملت إليه التحف والأموال، ووجد زوجاته قد طلقهن أزواجهن وانقضت عدتهن، فراجعهن فتكمل له جميع ما وعده الشيخ به في ذلك اليوم، ثم فتح الله عيني قلبه.

وتكلم يعني الشيخ رضي الله عنه يوماً في فضائل أبي بكر رضي الله عنه. فقال: قال رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ -: **"ما فضلكم أبو بكر بصوم ولا صلاة ولكن بشيء وقر في صدره"**[107] ثم قال: "ما هو هذا الشيء الذي وقر في صدره؟ فقال بعض الحاضرين: المراقبة، فقال الشيخ: هذا كلام قشور من دون أبي بكر الصديق في الرتبة إذا وجد المراقبة يستغفر الله منها، كما يستغفر العاصي من المعصية وذلك أنه أضاف المراقبة لنفسه، كأنه يقول أنت الرقيب وأنا الرقيب آإله مع الله تعالى عما يشركون".

وقال رضي الله عنه يوصي بعض أصحابه لما عزم على الحج: إذا وصلت إلى البيت، فلا يكن همك البيت وليكن همك رب البيت، لا تكن ممن يعبد الأوثان والأصنام.

وقال رضي الله عنه: من عرف الله لم يسكن إلى الله، لأن في السكون إلى الله ضرباً من الأمن ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون، ومثل هذا ما قال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه، قيل لي: ألا تأمن مكري في شيء وإن أمنتك فإن علمي لا يحيط به محيط وهكذا كانوا.

وكان يقول: إن الولي في فنائه لا بد أن يبقى معه لطيفة علمية عليها يترتب التكاليف، وذلك كما يكون النسيان في بيت المظلم، فهو عالم بوجوده وإن كان غير شاهد له.

وكان يقول: والله ما جلست حتى كان الطيران في الهواء، والمشي على الماء وطي الأرض تحت سجادتي.

وقال رضي الله عنه: وقد قرأت عليه الرعاية للمحاسبي، ما في هذا الكتاب يغني عنه كلمتان أعبد الله بشرط العلم، ولا ترض عن نفسك بشيء، ثم لم يأذن لي في قراءته بعد.

وسئل رضي الله عنه: عن بعض المشايخ الكائنين في وقته، فقال: ضيق عليه الورع ونحن وسع الله علينا بالمعرفة.

وكان يقول في قول بعض أهل الطريق: العارف وسعته المعرفة، والورع ضيق عليه التورع، ألا تظنن أن قولهم العارف وسعته المعرفة، أن يأكل حراماً أو ما فيه شبهة، ولكن العارف ذو بصيرة منيرة تكشف له ما غطى عن الورع، فيمد يده إلى الطعام لعلمه بحله وسلامته من الشبهة على ما أشهدته بصيرته، والورع مستورد ذلك عنه. فلذلك ربما مد العارف يده إلى ما قبض المستورع يده عنه.

وكان رضي الله عنه يقول: من اشتاق إلى لقاء ظالم فهو ظالم.

وكان رضي الله عنه يفضل الغني الشاكر على الفقير الصابر. وهو مذهب ابن عطاء وأبي عبد الله الترمذي الحكيم، ويقول الشكر صفة أهل الجنة والصبر ليس كذلك.

وسمعته يقول القبض على قسمين: قبض له سبب، وقبض لا سبب له، فالقبض الذي له سبب يكون للعموم والخصوص، والقبض الذي لا سبب له لا يكون إلا لأهل التخصيص.

وقال رضي الله عنه: الشكر انفتاح القلب لشهود منَّة الرب يقال شكر ومقلوبة كشر، يقال كشرت الدابة إذا كشفت عن أسنانها، وقال بعض العارفين لو علم الشيطان طريقاً توصل إلى الله أفضل من الشكر لوقف فيها ألا تراه كيف قال؟.

(ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ (17)) [الأعراف: 17].

ولم يقل ولا تجد أكثرهم صابرين، ولا خائفين ولا راجين.

ولما اجتمعت بالسلطان الملك المنصور لاجين رحمه الله قلت له: يجب عليكم الشكر لله، فإن الله سبحانه قد قرن دولتكم بالرخاء وانشرحت قلوب الرعايا بكم والرخاء أمر لا يستطيع الملوك تكسبه ولا استجلابه. كما يتكسبون العدل والجود والعطاء. قال: وما هو الشكر؟ فقلت: الشكر على ثلاثة أقسام: شكر اللسان وشكر الأركان، وشكر الجنان، فشكر اللسان التحدث بنعم الله.

قال تعالى: **(وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (11))** [الضحى: 11].

وشكر الأركان، بالعمل بطاعة الله. قال سبحانه وتعالى: **(اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا ۚ)** [سبأ: 13].

وشكر الجنان، الاعتراف بأن كل نعمة بك، أو بأحد من العباد هي من الله.

قال تعالى: **(وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ۖ)** [النحل: 53].

ومن القسم الأول قال رسول الله- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ-: **"التحدث بالنعم شكر"**[108]. ومن الثاني أنه عليه السلام قام حتى تورمت قدماه. فقيل له: أتتكلف كل ذلك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: **"أفلا أكون عبداً شكوراً"**[109]. ومن الثالث أنه كان عليه السلام إذا اصبح قال: **"اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك، فمنك وحدك لا شريك لك"**[110]. وهذه الأحاديث لم استحضرها وقت مخاطبتي له. فقال: وما الذي يصير به الشاكر شاكراً؟ قلت له: إذا كان ذا علم، فبالتبيين والإرشاد وإذا كان ذا غنى، فبالذل والإيثار للعباد وإذا كان ذا جاه، فبإظهار العدل فيهم ودفع الأضرار والإنكار.

وقال رضي الله عنه: إن لله ملكاً يملأ ثلث الكون، وإن لله ملكاً يملأ ثلثي الكون، وإن لله ملكاً يملأ الكون كله، وإن لله ملكاً وضح قدمه في الأرض لم يجد أن يضع الثانية ثم قال: يقول القائل إذا كان ملكاً يملأ الكون كله فأين يكون الذي يملأ ثلث الكون؟ والملك الذي يملأ ثلثي الكون؟ فقال رضي الله عنه جواباً عن ذلك: اللطائف لا تتزاحم كمثل سراج أدخلته بيتاً فملأ البيت نوره، ولو أتيت بعد ذلك بألف سراج لوسع ذلك البيت أنوارها.

وسمعته يقول: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ لأبي بكر: **"يا أبا بكر أريد أن أدعوك لأمر"**[111] قال: **"هو ذاك"**.

وسمعته يقول: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ: **"يا أبا بكر أتعلم يوم يوم؟"** قال: نعم يا رسول الله سألتني عن يوم المقادير. ولقد سمعتك حينئذ وأنت تقول: **"أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله"**[112].

وقال رضي الله عنه: **"أبو بكر وعمر خلفاء الرسالة، وعثمان وعلي خلفاء النبوة"**.

وقال رضي الله عنه: العامة إذا رأوا إنساناً ينسب إلى طريق الله جاء من البراري والقفار، أقبلوا عليه بالتعظيم والتكريم. وكم من بدل وولي بين أظهرهم لا يلقون إليه بالاً، وهو الذي يحمل أثقالهم ويدافع الأغيار عنهم، لمثلهم في ذلك كمثل حمار الوحش يدخل به الناس البلدة، فيطوف الناس به متعجبين لتخاطيط جلده وحسن صورته، والحمر التي بين أظهرهم وهي التي تحمل أثقالهم لا يلتفتون إليها.

وقال الشيخ أبو الحسن: "يا أبا العباس إذا قال أحد فيك ما ليس فيك، فقل الله يعلم مني ما يعلم". **(وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ)** [لقمان: 22].

وقال أيضاً: علم الله ما يقال في أوليائه والصديقين، فبدأ بنفسه فقضى على قوم أعرض عنهم، فنسبوا إليه الزوجة والولد. فإذا قيل في صديق أنه زنديق أو قيل في ولي أنه غافل عن الله غوى، فإن ضاق الولي أو الصديق بذلك ذرعاً قيل له الذي قيل فيك هو وصفك لولا فضلي عليك، وقد قيل فيَّ ما لا يستحقه جلالي.

وقال رضي الله عنه: **"الهالك بهذه الطائفة أكثر من الناجي"**.

واعلم أن الله ابتلى هذه الطائفة بالخلق، ليرفع بالصبر على أذاهم مقدارهم وليكمل بذلك أنوارهم، وليحقق الميراث فيهم ليؤذوا، كما لو أوذي من قبلهم فيصبروا كما صبر من قبلهم، ولوكان من أتى بهدي أطباق الخلق على تصديقه هو الكمال في حقه، لكان الأولى بذلك رسول الله- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ- وقد صدقه قوم هداهم الله بفضله، وحرم من ذلك آخرون حجبهم الحق عن ذلك فانقسم العباد في هذه الطائفة إلى معتقد، ومنتقد ومصدق ومكذب، وإنما يصدق بعلومهم وأسرارهم من أراد الحق سبحانه أن يلحقه بهم، والمعترف بتخصيص الله وعنايته قليل لغلبة الجهل واستيلاء الغفلة على العباد، وكراهية الخلق أن يكون لأحد عليهم شفوف في منزلة، أو اختصاص بمنة ألم تسمع قوله سبحانه:**(وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)** [غافر: 57].

ومن أين لعموم العباد أن يعلموا أسرار الحق في أوليائه، وشروق نوره في قلوب أحبابه؟ وسبب هلاك الهالك بهم؟ أن من أظهره الله منهم لا بد وأن يظفره ببواهر المنن وخوارق العادات، فتستغرب عقول العموم أن يعطي الله ذلك غير الأنبياء وأن يظهر الخوارق إلا في أهل العصمة، وهؤلاء لم يعلموا أن كل كرامة لولي، فهي معجزة لذلك النبي الذي هو الولي تابع له فظن هؤلاء

أن جريان الكرامة على الولي مساهمة لمقام النبوة، وحاشا لله أن يشترك النبي والولي في مقام كيف، وقد قال أبو يزيد رضي الله عنه: جميع ما أخذ الأولياء مما هو للأنبياء كزق مليء عسلاً، فرشحت منه رشاحة فما انطوى عليه الزق، فهو مثل علوم الأنبياء وتلك الرشاحة هي حظ الأولياء منهم واعلم رحمك الله أن من اعتز بعزيز لم يشاركه في العز، فأولياء الله اعتزوا بالأنبياء الذين اهتدوا بهديهم واقتفوا سبلهم، فلا يشركونهم في عزهم لأن بهم اعتزازهم، ألم تسمع المولى يقول: ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين، فلم يكن إثبات العزة لرسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ، وللمؤمنين من عباده توجب شركة الله في عزه وحكمة الله اقتضت عدم اتفاق العباد على الولي، بل انقسم الأمر فيه كما بيناه لما بيّناه ولأمر آخر، وهو أنه لو كان الخلق كلهم مصدقين للولي، فاته الصبر على تكذيب المكذبين ولو كان الخلق كلهم مكذبين له، فاته الشكر على تصديق المصدقين، فأراد الحق سبحانه بحسن اختياره لأوليائه، أن يجعل العباد فيهم قسمين: مصدق، ومكذب ليعبدوا الله فيمن صدقهم بالشكر، وفيمن كذبهم بالصبر والإيمان نصفان نصفه صبر ونصفه شكر. واعلم أنه لعزازة قدرة الولي عند الله لم يجعله إلا محجوباً عن خلقه، وإن كان بينهم لأنه ظهر لهم من حيث ظاهر علمه ووجود دلالته وبطن بسر ولايته.

وقد قال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه: لكل ولي حجاب، وحجابي الأسباب، فمنهم من كان حجابه ظهوره بالسطوة والعزة، والنفوس لا تحتمل صحبة من هذا وصفه وسبب ظهور ذلك الولي بذلك تجلي الحق عليه بصفة ظهر بها، فإذا غلبت عليه شهوداً غلبت عليه ظهوراً، فلا يصحبه ولا يثبت معه إلا من محق الله نفسه، وهواه، ومن هذا الصنف كان شيخنا ومولانا أبو العباس رضي الله عنه. لا تجلس بين يديه إلا والرعب قد ملك قلبك، ومن خلصه الله من نفسه وهواه، فلا تستغرب ظهوره بالعز، فأي ملك أعظم من هذا الملك. هذا ملك أعوذ الملوك وجوده، أفلا ترى أنه لم يزل في كل قطر وعصر أولياء يذل لهم ملوك الزمان، ويعاملونهم بالطاعة والإذعان ومنهم من يكون حجابه كثرة التردد إلى الملوك والأمراء في حوائج عباد الله، فيقول القصير الإدراك: لو كان هذا ولياً ما تردد إلى أبناء الدنيا وهذا جور من قائله. بل انظر تردده إليهم إن كان لأجل عباد الله وكشف الضرر عنهم، وتوصيل ما لا يستطيعون توصيله إليهم مع الزهد واليأس مما في أيديهم، والتعزز بعز الإيمان وقت مجالستهم، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، فلا حرج على من هذا شأنه لأنه من المحسنين. وقد قال الحق سبحانه **(مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ)** [التوبة: 91]، وهذا كان سبيل شيخ شيخنا القطب الكبير أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه، حتى لقد سمعت الشيخ الإمام مفتي الأنام تقيّ الدين محمد بن علي القشيري رحمه الله يقول: جهل ولاة الأمور بقدر الشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه، كثرة ترداده إليهم في الشفاعات، ويجب أن تعلم أن هذا الأمر لا يقوى عليه إلا عبد متخلق بخلق الله قد بذل نفسه، وأذلها في مرضاة الله وعلم وسع رحمة الله، فعامل بالرحمة عباد الله ممتثلاً لقول رسول الله- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ -: **"الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء"** [113].

وقد بلغني عن الشيخ أبي الحسن رضي الله عنه، أنه استدعى يهودياً كحالاً ليداوي بعض من عنده، فقال له اليهودي: لا أستطيع أن أعالج، فإنه جاء مرسوم من القاهرة أن لا يداوي أحد من الأطباء إلا بإذن من مشارف الطب بالقاهرة، فلما خرج ذلك اليهودي قال الشيخ لخدامه: هيؤا آلة

السفر وسافر لوقته إلى القاهرة، وأخذ لهذا الطبيب إذناً وعاد إلى ذلك الطبيب، ولم يبت بها ليلة واحدة، ثم جاء إلى الإسكندرية فأرسل إلى ذلك الطبيب، فاعتذر له بما اعتذر له به أولاً، فأخرج له الشيخ مكتوباً بالإذن فأكثر اليهودي من التعجب من هذا الخلق الكريم.

وقد يكون حجاب الولي كثرة الغنى وانبساط الدنيا عليه.

وقال بعض المشايخ: كان بالمغرب رجل من الزاهدين في الدنيا، ومن أهل الجد والاجتهاد، وكان عيشه مما يصيده من البحر، وكان الذي يصيده يتصدق ببعضه ويتقوت ببعضه، فأراد أحد أصحاب هذا الشيخ أن يسافر إلى بلد من بلاد المغرب، فقال له الشيخ: إذا دخلت إلى بلد كذا وكذا، فاذهب إلى أخي فلان، فاقرئه مني السلام واطلب الدعاء منه لي، فإنه ولي من أولياء الله تعالى. قال فسافرت حتى قدمت على تلك البلدة، فسألت عن ذلك الرجل فدللت على دار لا تصلح إلا للملوك، فتعجبت من ذلك وطلبته فقيل لي هو عند السلطان، فازداد تعجبي فبعد ساعة وإذا هو قد أقبل في أفخر ملبس ومركب، وكأنما هو ملك في مركبه. قال: فازداد تعجبي أكثر من الأول فهممت بالرجوع وعدم الاجتماع به ثم قلت: لا يمكنني مخالفة الشيخ فاستأذنت فأذن لي. فلما دخلت رأيت ما هالني من العبيد والخدم والشارة الحسنة، فقلت له أخوك فلان يسلم عليك. قال: جئت من عنده؟ قلت: نعم. قال: فإذا رجعت إليه. فقل له: إلى كم اشتغالك بالدنيا؟ وإلى كم إقبالك عليها؟ وإلى متى لا تنقطع رغبتك فيها؟ فقلت لهذا والله هذا أعجب من الأول. فلما رجعت إلى الشيخ قال: اجتمعت بأخي فلان؟ قلت: نعم، قال: فما الذي قال لك؟ قلت: لا شيء. قال: لا بد أن تقول. فأعدت إليه ما قال فبكى طويلاً، وقال صدق أخي فلان هو غسل الله قلبه من الدنيا وجعلها في يديه وعلى ظاهره، وأنا أخذها من يدي وعندي إليها بقايا التطلع، ومن حجب أولياء الله قبولهم من الخلق، فإذا قبل الرجل ما يعطي صغر عند الخلق، وهم لا يكبر عندهم إلا من لا يقبل دنياهم، ومن إذا أعطوا رد عليهم وأبى من القبول منهم ولعل فاعل ذلك، إنما فعله ذواقاً وزندقة واستئنلافاً لقلوب العباد عليه وليتوجهوا بالتعظيم إليه. ولتنطلق الألسنة بالثناء عليه. وقد قال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه من طلب الحمد من الناس بترك الأخذ منهم، فإنما يعبد نفسه، وهواه وليس من الله في شيء، ومما قد يصد عقول العموم عن أولياء الله وقوع زلة ممن تزيّا بزيّهم، أو انتسب إلى مثل طريقهم والوقوف مع هذا حرمان ممن وقف معه. وقد قال سبحانه: **(أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ)** [النجم: 38].

فمن أين يلزم لما أساء واحد من الجنس، أو ظهر عدم صدقه في الطريق أن يكون بقية أهل تلك الطريق. كذلك وقد أنشدنا الشيخ علم الدين الصوفي لنفسه رحمه الله:

اسـتــنـار الرجـــال فـــي كل أرض تحـــت سوء الظـــنون قدر جـــليل

ما يـضر الـــهلال في حـندس اللــيل سواد الســحــاب وهـو جـــمـــيل

وأشد حجاب يحجب عن معرفة أولياء الله شهود المماثلة، وهو حجاب قد حجب الله به الأولين. قال سبحانه حاكياً عنهم: **(مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ)** [المؤمنون: 33].

وقال سبحانه مخبراً عنهم أبشراً منا واحداً نتبعه، وقال سبحانه وقالوا ما لهذا الرسل يأكل الطعام ويمشي في الأسواق، وإذا اراد الله أن يعرفك بولي من أوليائه طوى عنك شهود بشريته، وأشهدك

وجود خصوصيته.

وصية وإرشاد: إياك أيها الأخ أن تصغي إلى الواقعين في هذه الطائفة والمستهزئين بهم لئلا تسقط من عين الله، وتستوجب المقت من الله، فإن هؤلاء القوم جلسوا مع الله على حقيقة الصدق، وإخلاص الوفاء، ومراقبة الأنفاس مع الله قد سلموا قيادهم إليه، وألقوا أنفسهم سلماً بين يديه تركوا الانتصار لنفوسهم حياء من ربوبيته واكتفاء بقيوميته، فقام لهم بأوفى ما يقومون لأنفسهم، وكان هو المحارب عنهم لمن حاربهم، والمغالب لمن غالبهم ولقد ابتلى الله هذه الطائفة بالخلق خصوصاً أهل العلم الظاهر. فقل أن تجد منهم من شرح الله صدره للتصديق بولي معين، بل يقول لك نعم أن الأولياء موجودون ولكن أين هم؟ فلا تذكر له أحد إلا وأخذ يدفع خصوصية الله فيه طلق اللسان بالاحتجاج عارياً من وجود نور التصديق، فاحذر من هذا وصفه، وفر منه فرارك من الأسد، جعلنا الله وإياك من المصدقين لأوليائه بمنه وكرمه.

الباب التاسع
فيما قاله من الشعر أو قيل في حضرته أو قيل فيه هما يتضمن ذكر خصوصيته

قال رضي الله عنه: أطلعني الله على الملائكة ساجدة لآدم، فأخذت بقسطي من لك فإذا أنا أقول:

ذاب رسمــي وصــح صــدق فنــتائي وتجـلت للــســر شمــس ســمــــائي

وتنــزلـــت فـــي العـــوالم أبـــــدي ما انـطوى في الـصفات بعد صـفائي

فـصـفاتي كالشــمس تبـدي صفـاها وود جــودي كالـليـل يخفـي سوائي

أنا مــعنى الوجـود أصـلاً وفـــصــلاً مـــن رآنـــي فــســاجد لبـهائـــي

أي نـــــور لأهـــلــه مــــستـــبــين اشـــهدوني فقــد كــشفت غطـائـــي

وسئل رضي الله عنه عن الروح والنفس فقال شعراً:

إن كنــت ســائلنا عن خالـص المـنن وعن تألف ذات النــفــس بالـبـــدن

وعن تــشبثها بالحـــظ قـد ألـــفـت أدرانهـــا فغـدت تشكو من الطعـــن

وعن بواعــثـــها بالطـــبع مـــائـــلة تهوى بشـــهوتها في ظلمة السِّجن

وعن حقـــيقتها في أصـل معـدنها لا يـنثـني وصفـــها منها إلى وثـن

وعن نــزولــها في حــكمها ولـــها عـلم يفـرقها في القـــبح والحـسن

فاسمع هديت علـوماً عـز سالكها على البـــيان ولا يغـــررك ذو لَسَن

قصداً إلى الحق لا تخفى شواهدها قامـــت حـقائقهـا بالأصل والفـنن

يا ســائلي عن علـوم ليس يدركها ذو فكـــرة بفـــهـــوم لا ولا فطـن

لكـــن بـــنور علي جامــع خمـدت له الـعقول وكـل الخلق في وسن

خـــدها إليـك بحـق لست جاهله والأمـــر مطلـع والحق قـــيدني

على الحقيقة خذ علم الأمور ولا تحجبك صورتها في عالم الوطن

فـفطرة النـفس سر لا يحيط به عـــقل تـــقـيد بالأوهـام والدرن

لكنـها بــرزت بالحكم قائـمة حـتى تــآلــفها السـكان بالسكن

وكــي يقــال عـبـيد قائمون بما ألـقى من الأمر قبل الخلق والمحن

والنــفس بين نزول في عوالمها كآدم ولـــه حــواء فــي قـــرن

والــروح بيـن ترق في معارجها وهـي الموافق للتعريف والمـنـن

مثـــالها في العــلا مـرآة معدنها ألطافها خفيت كالسر فــي العلن

زيتــونة زيتــها نور لشــاربها مـدت هـدايتها في الكون والفنن

والكـــل أنــت بمعنى الإخفاء به والنور يحــجبه كالماء في اللبن

والعــبد محــتجب في عز مالكه دقـت معارفه في الدهر والزمن

وكان ينشد رضي الله عنه:

لو عــاينت عيـنـاك يــتوم تزلـزلـت أرض الــنفوس ودكــت الأجـــبال

لرأيت شـمس الــحق يسطــع نورهـا حيـن التــزلزل والرجــال رجــال

وقال: الأرض أرض النفوس، والجبال جبال العقل، والشمس شمس المعرفة. وكان ينشد رضي الله عنه:

وقفت على التوباد[114] **حـين رأيتـه فكبَّر للــرحمــن حــيــن رآنـــي**

وأذرفـت دمـع العين لما عــرفـته ونـــادى بأعــلى صوته فدعانـــي

فقـلت لــه أين الـذين عـهـــدتـهـم حواليـك في أمــن وطيــب زمان

فقــال مضوا واستودعوني ديـارهم ومــن ذا الــذي يبقي من الحـدثان

وكان ينشد:

لست من جملة المحبين إن لم أجـعل القـلب بيته والمقـــامـا

وطـوافي إجــالة الســر فــيه وهـو ركـنـــي إذا أردت استـلامـا

وكان ينشد رضي الله عنه:

قــد بقــينا مذبــذبين حـــيارى نطــلب الوصـل ما إليه سبـيل

فـدواعــي الهـوى تحــف علينا وخـلاف الهــوى علـينا ثـقيل

وكان ينشد للسهروردي نزيل دمشق:

أبـدا تــحــن إلــيـكـم الأرواح ووصــالكم ريحـانهــا والــــراح

وقــــلوب أهل ودادكــم تـشتاقكم وإلى كــمـــال جمــالــكم تـرتاح

يا رحـــمــة للـعـاشــقـين تحــملوا ثـقل المحبة والهـوى فـضـاح

بالـــسر إن باحوا تـبـاح دمـائـــهـم وكــذا دمــاء البــالحـين تبــاح

وكان ينشد:

مَرَّت لنا بمنى والخيف أوقات وطيب عيش قطعناه وَلَذّات

ولأسلكن ولو أن الأسود بها قوافلا ورماح الحَطِّ غابات

وكان ينشد قول امرئ القيس:

بكـى صحابي لما رأى الدرب دونه وأيـقن إنــا لاحقـــين بقيـــصـــرا

فقـلت لـــه لا تبــك عينــيك إنما تحـــاول ملكاً أو تـــمــوت فتـــعذرا

فكان يقول: نحاول ملكاً بالبقاء أو نموت فنعذر بوجود الفناء.
وكان ينشد من قصيدة ابن العطار:

رفــعت مقــامـــات الوصـول حجابي حــتى احتـــجبت بـكم عن الحـجـاب

ولــزمـــت محــرابي لـــزوم مجـــمَّــع فـرأيـت وجـــه الحـق في المحراب

وقـــتلت مـــن نفـــسي غــلاماً قــتلـه سـبب النجـــاة وأعــظـم الأسـبـاب

وخــرقت لــــوح سفــينتي لأعيبـها فنـجوت ـئمن ملـك لــهـــا غــصَّاب

وكشــفت عن قلــبـي جدار حجابـــه عــن كـنزه البـاقي بـغــير ذهـــاب

ورقــيــت في السبع السموات العلى حـــتى دنـوت فكنت مـــثل الـقــاب

وأنشد بين يديه وأنا أسمع:

خـــذ من كـــلامـــي مــا يـلذ جناه ويـنم كالــمـسك الفتـــيق شذاه

ذكـر الإلـــه ألــزم هـديت لـذكره فـيه القـلـوب تطـيـب والأفـواه

واجعل حلاك تقاه إن أخي الحجى يا صـــاح من كـــانت حلاه تقــاه

ولتـــعمل الأفـــكار في ملـــكوته مستغرقاً في الكشف عن مــعناه

ولتخــلع النــعلين خلـع محـقق خلـــى متـن الكونين في مسراه

ولتــفن حتــى عـن فنــائك إنه عيــن الــبقاء فـعند ذاك تــراه

وإذا بــدى فاعلم بأنك لست هو كـلا ولا أيـضـــاً تكون ســواه

شـــيئان ما اتحـدا ولكن ههـنا سر يضــيق نطــاقــنا عمــاه

يا ســامعـــاً ما قد أشرت له ألا قــلب يــفكر ما وعـــت أذناه

أزل الحــجــاب حـــجاب حسك لك سر ما قد غاب عنك ســناه

إن الإلــه أجــــل ما مـتـعرف من لـم يـراه قد استبان عماه

فـيه يراه ذوو البصائر والنهى ما غـــاب عنهم لحــظة مرآه

أنــى يــغيب وليس يوجد غيره ولكـن شـــديدُ ظـــهوره أخـفاه

ولما انتهى في الإنشاد إلى قوله:

وإذا بدى لك فاعلم بأنك لست هو كــلا ولا أيــضاً تكــون ســـواه

ســـيـــان ما اتـــحدا ولكن هـــهنا ســر يضـــيــق نطــاقنا عما هو

قال الشيخ: ولا نستطيع أن نبينه أبداً قرأت عليه القصيدة المنسوبة لابن الفرس:

الله ربـــــــي لا أريــــــد ســــواه هـــل فـــي وجــود الحــــق إلا الله

ذات الإلـــه بـــهـــا قـــوام ذواتـــنـــا هــل كــان يــوجد غــيـــره لـــولاه

لا غـــــرو فـــي أنــــا رأيـــنـــاه به فـــالنـــور يظــهـــر ذاتــه فـــتــراه

فالســالكـون مشــاهـدون لصــنعه مستـــغرقـــون بفـكـرهـــم إيـــاه

والعـــارفـــون مشــاهـدون لـذاتــه حـــتى كـــأن قـــلوبـــهـــم مثـــواه

يا غـــائباً والحـــق فـيه حــاضـــرٌ أتغــــيب عنه وما شـــهدت ســواه

من لم يشــاهد بالبــصــــيرة ذاته فلــــقد أحـــاط به حجــاب عمـــاه

من لا يــرى في كل حـــــــال غيره فمـــن المـــــحال عليه أن ينــــساه

من كان في الملكوت يســري فكره فالفوز بالحــسنــى ثواب سراه

سبحـــان من خرق الحجـــاب لعبده وهـــذا منــــهج قــصـــــده فــرآه

سبــحــــان مـــن مـلأ الوجود أدلة ليلـــوح ما أخــــفى بمـــا أبــده

سبحــــــان من لـــــو لم تلح أنواره لم تــــعرف الأضـــداد والأشــباه

مـــولاي أنت الواحـــد الصمد الذي في حضــــرة الملـــكوت شاهدناه

مولاي أنسك لم يدع لي وحــــشة إلا محــــى ظلـــمـاتها بســــناه

مـــولاي عبدك لا يخاف تعــطشاً أيـــخـافه والـــحـــق قد رواه

مــــولاي لا آوي لــغيـــرك إنه حـــــرم الهدى ما لم تكــن مأواه

أنت الذي خصـــصتنا بوجـودنا أنت الـذي عرفتــــنا معنـــاه

لم أفـــش ما أودعتــــــنيه فإنه ما ذاق ســــر الحق من أفـشاه

من كان يعـــلم أنك الفــرد الذي بهر العقـــــول فحســبه وكفاه

فقال الشيخ رضي الله عنه: كل هذا تحويم وليس هو عين القصد ووجدت بخط ابن ناسي قال: كتبت إلى سيدي وشيخي أبي العباس المرسي، وكان قد ورد سلامه عليّ وقال:

ويرد السلام من الإمــــام فسرني أني مررت بخاطر لم ينســــــــني

إن كنت تعلم يا رســـــول الله بأنه باق على العـــــــهد القديم فهنني

شيخي أبو العبـــــاس واحد وقته خـــضر الزمان ورب عين الأعين

أســــــفي على وقت لديك قطعته بالبـــــــــاطن الربي قد ربيتني

وما كنـــــــت إلا حائراً فرددتني وإلى الطـــريق المستقيم هديتني

وسقيــــتني ماء الحياة وكنت لي كالخــــضر لما أن رويت سقيتني

ولو استطعت قطعت عمري عنده لأعيش بعد الموت في عيش هني

يا أيـــــها المرسي ببحر معارف ســــــافر إلى المرسي بريح ليّن

فهو الطريق إلى النبي المصطفى إن كنــت يومـــاً بالإرادة تعـتني

صــلى عليـــه الله ما ذكر اسـمه في عـــالم من عـــالم متفــــنن

ومدحه الأديب الفاضل شرف الدين البوصيري بقصيدة منها:

أما المحـــبة فهي بذلك نــفوس فتــنعّمي يا مهجــتي بالــبوس

بذل المحــب لمن أحب دموعه وطوى حشاه على أحر رسيس

صدق وقل من لم يقيم كقيــامـه لم ينــتفع مــنه امرؤ بجلوس

ثم مرَّ فيها إلى أن قال:

قــبـل الإلــه تقـربـي بمـــديحـــه وتـــوجــهي لجنـــابه المحـــروس

رمت المسير إليه فأعجزني السرى وأبــاحــني مــرآة غـــير بـــوس

أكــرم بـيـــوم الأربـــعــاء زيــارة لــك أنــه عــنــدي كألف خمـيس

كــل اتصــالات الــسعد ســعيــدة بمـــثـابة التثــليث والتســـديــس

شــرفـــاً لشـــاذلة ومرسيةٍ سرت لهـــمـــا الرئـــاسة من أجل رئيس

ما إن نســبــت إليها شيخــيهما إلا جــلــوتهما جـلاء عـــروس

وكنت في مبدأ الشبيبة عملت قصيدة فيه، وأنشدت بين يديه فلما فرغ من إنشادها قال أيدك الله بروح القدس وهي هذه:

برزت ســـــــــــــلمى بأثناء الخيم فأرتنا البـــــــــــــدر من تحت اللمم

وحــــــــــــدا الحادون لما أبصروا وجهـــــــــــها في الليل صبحاً قد ألم

وعـــــــــــــذرناهم وماذا عجبي أن يُـــــــــــرى وجهه لسلمى في الظلم

كضـــــــــــياء الصبح أو بدر الدجا وجهـــــــــــــها أكمل نوراً وأتم

لو رآهـــــــــــا البدر أثنى راجعاً خجــــــــــــلاً من وجهها ومحتشم

أو رأتــــــــها الشمس لم تطلع ضحًى ثم صــــــــــــارت خدن هم وندم

عذبت قلــــــــــــبي بهجران به عذب العشــــــــــاق قبليَ في القدم

وكســـــــــــــتني ثوب هم وضنًى صــــــــــــرت بين الناس فيه كالعلم

وأبت إلا صـــــــــــــدوداً دائماً فأبى دمــــــــــــــعي إلا أن يتم

فســــــــــــهرت الليل أرعى نجمه أذكر الوصـــــــــــول الذي قد انصرم

كلما رمـــــــــــــت لعيني هجعة قال لي القـــــــــــلب رويداً لا تنم

تدعي العـــــــــــشق وتأتى ضده إنما العـــــــــــشق سهاد وسقم

لازم الـــــــــــباب بذل وأسًى فهم في الحـــــــــــب شرط يلتزم

ودع التـــــــــــقصير في خدمته شـــــــــــمر الذيل ولا تخشى الألم

واجـــــــــــتهد علـك أن تنجو غداً من عـــــــــــذاب الله خلاق الأمم

لا تقـــــــــــولن إن هذا زمـن عســـــــــــر فيه وجود من سلم

أولـــــــــــياء الله لم ينقرضوا إن حـــــــــــزب الله غير منهزم

قد رايـــــــــــنا كلهم في واحد ذي بـــــــــــهاء ووفاء وهمم

في أبي العـــــــــــباس لمجموع الذي منـــــــــــحوه من علوم وحكم

بأبي العبـــــــــــاس زالت كربة عن قـــــــــــلوب الخلق وانحابت ظلم

وبه شـــــــــــمس الهدى قد ظهرت وبه در العلـــــــــــوم قد نظم

أي نور قـــــــــــد بدا لأهله أي عـــــــــــلم قد بدا لمن فهم

ولقد فـــــــــــضله رب العلا وكساه حـــــــــــللاً من النعم

قل لأقـــــــــــوام أرادوا شأوه أقـــــــــــصروا إن الإله قد قسم

ليـــــــــــس هذا الأمر هيناً فتـــــــــــنالوه بـــــــــــجد وهمم

نازعوا الله تعـــــــــــالى حكمه إذ أرادوا ســـــــــــتر ذا النور الأعم

أن يـــكونوا أنكروا شمس الضحى إذ تـــــــــــبدي النور منها واستتم

فهُم أخـوان جـــــــــــهل وهوًى وهـــــــــــم أخدان هم وندم

وقـــــــــــديماً قـــال فيه شيخه وهو قـــطب الأرض والعلم الأعم

إنمـــــا أنـت أنا فاعـــــلم بـذا أن هـــــذا ليـس أمـــراً مكتـتم

وحديث الشيخ عنه شائع ذائع ما بـــين عــرب وعـــجـــم

لو بســــــطـــناه طـــال بسطه ولـــزاد الشـــرح فـــيه وعظم

أنهــــم لــن يستـــطيعوا جحده فــــتراهم ما زجي شهدهم بِسُم

فليـــــــدم غيظـــهم وحقـــدهم وليـــموتـــوا كلـــهم موتــة غم

دمت في عز على رغـم الــعدا ما رقى القمري في غصن سلم

ولما انتهى في إنشادها إلى قولنا:

وقـــديـــماً قـــال فـيه شـيـخـــه وهو قطب الأرض ذو العلم الأعم

إنـــمـــا أنـــت أنا فـاعـــلـم بــــذا إن هذا لـيـس أمــراً مـكــتـتم

قال الشيخ رضي الله عنه: والله لقد قال لي الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه: يا أبا العباس، ما صحبتك إلا لتكون أنت أنا وأنا أنت. قال الشيخ رضي الله عنه: والله لقد قال الشيخ ابو الحسن، يا أبا العباس ما صحبتك، إلا لتكون أنت أنا وأنا أنت. ومكث بعد ذلك مدة سنتين ثم أتى الشيخ رضي الله عنه من الصعيد، فلما اجتمعت به أراني قصيدة عملها فيه إنسان من أهل أخميم. وقال لي أجبه فذهبت فتوقف عليّ القول، فقلت عجباً يأمرني الشيخ ويتوقف على القول هذا والله من عدم صدقي. فلما قلت ذلك فتح الله علي باب القول حتى كأنما كانت سيلاً يدفق إلى أن تكلمت قصيدة. فلما قرئت عليه وقعت منه بموقع الرضى حتى كان يمكث المدة من الزمان ويستعيدها، وقال: لما قرأت عليه هذا الفقيه صاحبني وبه مرضان وقد عافاه الله منهما يعني وجعاً برأسي والوسوسة في الطهارة ولا بد أن يجلس ويتحدث في العالمين وهي هذه القصيدة:

قــف بالديـــار فــقـد بــدا معـنــاها فلـــمن تســـير وما الـمراد سواها

وأرح فــلاحــك قد بلغت المنحنى فلـــطالمـــا جـــهدت ودام ســـراها

وطـــالما قطـــعت مهامه واغتدت أرســــاغـــها مخضوبة بدمـــــاها

تمسي وتصبح لا تمل من السرى حـــتى تشـــكت أيـنـــها ووجـــاها

رفـقاً بـها يا أيــــهـا الحـــادي لا تغـــري بـها فالشوق قد أغراها

يكفي الذي لاقته من ألم السرى وكــفى بها وجـــداً بها وكـــفـاها

أو ما تــراها كيف تجري دمعها حتـــى تـــبل من الدمـــوع ثراها

يحـدو بهـــا نـحو الديـار غرامها ويقـــودها نحــو الحبـــيب هواها

فـــازت بأن وصـــلت إلى أحبابها فتـــمايلت والشوق حشو حشاها

حنـــت وأَنَّت لذرات وادي النــقا واستـــبشرت مــنه بنــبل منــاها

فســـرورها كــسرور أيــام غدا فيها أبو العباس شمس ضحاها

تــاهت بأحــمد إذ أتــاها رحمة وغـدت به بيـن الورى تـتباهى

وتـــشرفت أوقــاتها بمــجــيئه وتـحـلت الأيـــام مــنه حـــلاها

وغـدا يســـدد أمــر ديـن محمد فـــأزاح عـــنها كــربة وجـلاها

إن تلـــقه تلـــقى إماماً راسخـــاً حبــراً منـــيباً صـــادقـــاً أوّاهـــا

قد كمــلت فــيه الفضـائل كــلها وتجـمــعت فيــه على أخــراها

كم ســنة مــاتت فأحياها رسمها كم بـدعة عقدت فـحل عــراها

كم مــن أتاه والمعــاصـــي دأبه قــد قـــيدته نــفســه بـــهــواها

فــأزال عنـــه ما به فتــقـشعت عــنه سحـــائب ظـــلمة بدُجاها

كم من قلـوب قد أميتت بالهوى أحـيا بها من بــعد ما أحـــياها

أحيـيت علم القوم في زمن به قل المســـاعد فانجــلت ظلماها

وأتــيت غـوثاً للأنـــام وقيل ذا ركـبت محـارم واستبيح حماها

وغدوت ترفل في ثياب معارف ولبــست من حلل التقى أسناها

ما زالت حتى طاوعتك نفوسنا فأزلت عنـــها جهلها وعـــماها

من بعدما ظـفرت بنا وتحكمت فينا وزلـــت عن ســـبيل هداها

ذلـــلــتــها حتى أتــت منــقـادة من بعدما جمحت وعز شفاها

فلذلك أضحى ودها لك خالـصاً بشرى لها في ودها بـشــراها

فغدوت أعــلى همها في جــهرها وكذلك ايـــضاً أنت في نجـــواها

ما زلـــتم تهـــــدون أمة أحــمد فبـــكم تكــــمل بــرها وتــقـــاها

قد كان قـــدمـــاً بالتبـــرية خيره حتـى أتى قـطب الـورى فهداها

بالشـــاذلي تقـشعت ظلمــاتهــا وتنـــورت بمجــيئه أفقــاهـــا

كنز التقى علم الهدى بحر الندى قــطب البــرية غوثها مــلجاها

من كــان أن خــطب ألمـ حماها وروى بها عن صـــرفه ووقاها

كهـف تلـوذ به البريــــة كلها ترجــوه في لأرائهــــا ورخاها

حــتى توفـــاه الإله فــــيا لها من بغيــة قد حـــازها وحواها

وخلـقته في حــــاله ومقـــامه بالإرث منـــــه فارتقيت علاها

الله أبــقى للـــبرية أحـــمـــداً وأقـامه فيـــها لـكي يــرعــاها

أن الذيــن تـــعــرضـــوا لفخاره طبــقت جـفــونهم عــلى أقذاها

أن تنكروا الآيــات وهـي ظواهر فلــقد تبدت واســتنار سنـــاهـــا

هم يعـلمـــون بأنه قطب الورى لكنه غلب النـــفوس شــفـــاها

أو ما تــرى قـــوم النبي محمداً جحدوا ولــحوا في الجحود سفاها

فأدام غيـــظهم المـلـيك ولم تــزل في حـــالة يرضــى بـها مــولاهــا

تهدى إلـيــك المــكرمات بأسرها وتـــناول من رتــب العلى أقصاها

وكان يعجبه منها:

كم من قلوب قد أميتت بالهوى أحيا بها من بعد ما أحياها

فكان يعيد القصيدة إلى هذا البيت فإذا انتهى في الإنشاد إليه استعاده.
جعل الله مدحنا هذا موضوعاً في الميزان وموجباً للرضوان بمنه وكرمه.

الباب العاشر

في دعائه وذكره عقيب كلامه وحزبه الذي رتبه للآخذين من علومه وأفهامه وشيء من دعاء أبي الحسن وحزبيه وبهما يكون لهذا الباب وجود ختامه

كان من ذكره رضي الله: لا إله إلا الله الأول الآخر الظاهر الباطن محمد رسول الله- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ- الكامل الفاتح الخاتم.

وكان من ذكره أيضاً: يا الله يا نور يا حق يا مبين أحيي قلبي بنورك وأقمني لشهودك وعرفني الطريق إليك.

ومن ذكره أيضاً: رب اغفر لي واجعلني لك عبداً ذائب النفس بأنوارك مطموس الحس بجلالك واغفر للمؤمنين والمؤمنات.

ومن دعائه: اللهم اغفر لي واسترني، ولا تفضحني في الدنيا والآخرة وعلمني وذكرني وفهمني وارحمني وفرحني وبرئني، وفرغني من كل شيء إلا من ذكرك وطاعتك، وطاعة رسولك ومحابك ومحاب رسولك- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ -.

ومن دعائه عقيب كلامه: اللهم كن بنا رؤوفاً وعلينا عطوفاً، وخذ بأيدينا إليك أخذ الكرام عليك، وقومنا إذا اعوججنا وأعنا إذا استقمنا، وخذ بأيدينا كلما عثرنا وكن لنا حيثما كنا.

وقال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه: اللهم إن الدنيا حقيرة، حقير ما فيها وإن الآخرة كريمة، كريم ما فيها. وأنت الذي حقرت الحقير وكرمت الكريم، فأنَّى يكون كريماً من طلب غيرك؟ أم كيف يكون زاهداً من اختار لدنياه معك؟ فحققني بحقائق الزهد حتى أستغني عن طلب غيرك، وبمعرفته حتى لا أحتاج إلى طلبك، إلهي كيف يصل إليك من طلبك؟ أم كيف يفوتك من هرب منك؟ فاطلبني برحمتك ولا تطلبني بنقمتك يا عزيز يا منتقم إنك على كل شيء قدير.

وقال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه: اللهم اسلبني عقلاً يحجبني عنك وعن فهم آياتك، وعن فهم كلام رسولك وهب لي من العقل الذي خصصت به أنبياءك ورسلك والصديقين من عبادك واهدني بنورك هداية المخصصين بمشيئتك، ووسع لي في النور توسعة كاملة تخصني بها برحمتك، فإن الهدى هداك وأن الفضل بيدك تؤتيه من تشاء وأنت ذو الفضل العظيم.

وقال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه: يا واسع يا عليم يا غني يا كريم يا ذا الفضل العظيم. اللهم أجلسنا على بساط القرب منك بالفناء عن غيرك وبالبقاء بنورك، أو بالتقرب بالأخذ عما هو لنا إلى ما هو لك من جهة العلم أو العقل، أو من جهة العمل والحال. وهيمنا في برزخ الصنع ناظرين بك إليك ومنك إلى غيرك إنك على كل شي قدير.

قال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه: يا عزيز يا غني يا رحيم يا كريم يا واسع يا عليم يا ذا الفضل العظيم اجعلني عندك دائماً، وبك قائماً ومن غيرك سالماً وفي حبك هائماً، وبعظمتك عالماً وأسقط البين بيني وبينكم حتى لا يكون شيء أقرب إليّ منك، ولا تحجبني بك عنك إنك على كل شيء قدير.

قال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه: اللهم هب لي من النور الذي رأى به رسولك ما كان، وما يكون ليكون العبد بوصف سيده لا بوصف نفسه غنياً بك عن تجديد النظر لشيء من المعلومات،

ولا يلحقه عجز عما أراد من المقدورات ومحيطاً بذات السر بجميع أنواع الذوات، ومرتباً للبدن مع النفس والقلب مع العقل والروح مع السر والأمر مع البصيرة والعقل الأول الممتد عن الروح الأكبر المنفصل عن السر الأعلى.

وقال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه: اللهم ارزقني من كنز لا حول ولا قوة إلا بالله، فإنها كنز من كنوز الجنة، واضربني بها ضربة تمحو به من قلبي كل قوة، وأغنني بذلك الرزق عن ملاحظة النفس والخلق، وأخرجني به عن ذل الفقر، والتدبير والاختيار وعن الغفلة والشهوة، ومشيئة النفس والقهر والاضطرار، إنك على كل شيء قدير.

وقال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه: يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه، اجمع بيني وبين طاعتك على بساط مشاهدتك وفرق بيني وبين هم الدنيا وهم الآخرة. ونب عني في أمرهما واجعل همي أنت، واملأ قلبي بمحبتك وبهجة أنوارك وخشع بسلطان عظمتك ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين، ولا أقل من ذلك وها نحن نثبت حزب سيدنا، ومولانا الشيخ الإمام قطب العارفين علم المهتدين شهاب الدين أبو العباس، أحمد بن عمر المرسي رضي الله عنه. وإن كان بعضه من كلام شيخه الشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه وبعده نذكر حزب الشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه.

حزب الشيخ أبي العباس
رضي الله تعالى عنه

أعوذ بالله **من الشيطان الرجيم**
(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ (1) الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (2) الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ (3) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (4) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (5) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (6) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (7)) [الفاتحة1-7] آمين.
(اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۖ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ (255)) [البقرة:255].
(آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (285 (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۖ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ۚ أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (286)) [البقرة:285-286].
(الم (1) اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ (2) نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ (3) مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ ۗ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ) [آل عمران:1- 4].
(يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (1) قُمْ فَأَنذِرْ (2) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (3) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (4) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (5) وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ (6) وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ (7)) [المدثر:1- 7].
(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4) عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (5)) [العلق:1-5].
(الرَّحْمَٰنُ (1) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (2) خَلَقَ الْإِنسَانَ (3) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (4) الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ (5) وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ (6) وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ (7) أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ (8) وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ (9))]الرحمن: 1- 9[. **(تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ)** [الرحمن:78].
(سبحان ربي العظيم (ثلاث) **(سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (1) لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (2) هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (3) هُوَ**

الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (4) لَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (5) يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ۚ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (6)) [الحديد:1- 6]).

(هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ۖ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ (22) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (23) هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (24)) [الحشر:22- 24].

(قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (1) اللَّهُ الصَّمَدُ (2) لَمْ يَلِدْ (3) وَلَمْ يُولَدْ (4) وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ (5)) [الإخلاص: 1- 5].

(قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (1) مِن شَرِّ مَا خَلَقَ (2) وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ (3) وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ (4) وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ (5)) [الفلق:1- 5].

(قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (1) مَلِكِ النَّاسِ (2) إِلَٰهِ النَّاسِ (3) مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (4) الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ (5) مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ (6)) [الناس:1- 6].

اللهم يا من هو كذلك وعلى ما وصفه به عباد الله المخلصون من النبيين والصديقين والشهداء، والصالحين والعلماء، الموقنين والأولياء المقربين من أهل سمواته وأرضه، وسائر الخلق أجمعين أسألك بها، وبالآيات والأسماء كلها وبالعظيم منها، وبالأم والسيدة وبخواتيم سورة البقرة، وبالمبادئ والخواتيم وبآمين على الموافقة، وبحاء الرحمة وميم الملك ودال الدوام.

(مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (29)) [الفتح:29].

"اخون قاف ادم حم هاء آمين كهيعص" اغفر لي، وارحمني برحمتك التي رحمت بها أنبياءك ورسلك، ولا تجعلني بدعائك رب شقياً وإني خفت وأخاف أن أخاف، ثم لا أهتدي إليك سبيلاً، فاهدني إليك وأمني بك من كل خوف ومخوف في الدين والدنيا والآخرة إنك على كل شيء قدير.

اللهم يا بديع السموات والأرض، يا قيوم الدارين ويا قيوم كل شيء يا حي يا قيوم يا إلهنا، لا إله إلا أنت كن لنا ولياً ونصيراً، وآمنا بك من كل شيء حتى لا نخاف إلا أنت، واجعلنا في جوارك واحجبنا بالذي حجبت به أولياءك، فترى ولا يراك أحد من خلقك، واصبب علينا من الخير أكمله وأجمله، واصرف عنا من الشر أصغره وأكبره.

(طس) [النمل:1]. **(حم)** [غافر: 1]. **(عسق)** [الشورى:2]. **(مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ (19) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (20))** [الرحمن:19- 20].

اللهم إنا نسألك الخوف منك، والرجاء فيك، والمحبة لك، والشوق إليك والأنس بك والرضى عنك، والطاعة لأمرك على بساط مشاهدتك ناظرين منك إليك وناطقين بك عنك، لا إله إلا أنت سبحانك ربنا ظلمنا أنفسنا وقد تبنا إليك قولاً وعقداً، فتب علينا جوداً وعطفاً واستعملنا بعمل ترضاه وأصلح لنا في ذريتنا، إنا تبنا إليك وإنا من المسلمين يا غفور يا ودود يا رحيم اغفر لنا ذنوبنا، وقربنا بودك وصلنا بتوحيدك وارحمنا بطاعتك، ولا تعاقبنا بالفترة ولا بالوقفة مع شيء دونك واحملنا على سبيل القصد، واعصمنا من جائرها إنك على كل شيء قدير.
اللهم يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه، اجمع بيننا وبين الصدق، والنية والإخلاص والخشوع والهيبة والحياء والمراقبة والنور، واليقين والعلم والمعرفة والحفظ والعصمة والنشاط والقوة والستر والمغفرة، والفصاحة والبيان والفهم في القرآن، وخصنا منك بالمحبة والاصطفائية والتخصيص والتولية، وكن لنا سمعاً وبصراً ولساناً وقلباً وعقلاً ويداً ومؤيداً، وآتنا العلم اللدني والعمل الصالح والرزق الهني الذي لا حجاب به في الدنيا، ولا حساب ولا سؤال، ولا عقاب عليه في الآخرة على بساط علم التوحيد والشرع سالمين من الهوى والشهوة والطبع. وأدخلنا مدخل صدق وأخرجنا مخرج صدق واجعل لنا من لدنك سلطاناً نصيرا.
يا علي يا عظيم يا حليم يا سميع يا بصير يا مريد يا قدير يا حي يا قيوم يا رحيم، يا من هو هو هو يا هو أسألك بعظمتك التي ملأت أركان عرشك، وبقدرتك التي قدرت بها على خلقك، وبرحمتك التي وسعت كل شيء وبعلمك المحيط بكل شيء، وبإرادتك التي لا ينازعها شيء، وبسمعك وبصرك القريب من كل شيء يا من هو أقرب إلي من كل شيء، قد قل حيائي وعظم افترائي وبعد منائي واقترب شقائي، وأنت البصير بمحنتي وحيرتي وشهوتي وسوآتي تعلم ضلالتي وعمايتي وفاقتي وما قبح من صفاتي آمنت بك وبأسمائك وصفاتك وبمحمد رسولك، فمن ذا الذي يرحمني غيرك، ومن ذا الذي يسعدني سواك، فارحمني وأرني سبيل الرشد، واهدني إليه سبيلاً وأرني سبيل الغي وجنبني إياه سبيلاً، واصحبني منك الحق والنور والحكم والفصل، والبيان واحرسني بنورك يا الله يا نور يا حق يا مبين.
اللهم إني أصبحت وأنا أريد الخير وأكره الشر، وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله، فاهدني بنورك لنورك فيما يرد عنك وفيما يصدر مني إليك وفيما يجري بيني وبين خلقك، وضيق علي بقربك واحجبني بحجب عزتك وعز حجبك، وكن أنت حجابي حتى لا يقع شيء مني إلا عليك، وسخر لي أمر هذا الرزق واعصمني من الحرص والتعب في طلبه، ومن شغل القلب وتعلق الهم به. ومن الذل للخلق بسببه، ومن التفكر والتدبير في تحصيله ومن الشح والبخل بعد حصوله، وما يعرض في النفس من ذلك وتخلقه بقدرتك على علمك وإرادتك، ومن ضرورات الحاجات إلى خلقك واجعله سبباً لإقامة العبودية ومشاهدة أحكام الربوبية، وهب لي حفنة من حفناتك ونوراً من أنوارك، وذكراً من أذكارك وطاعة من طاعات أنبيائك، وصحبة لملائكتك، وتول أمري بذاتك، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين، ولا أقل من ذلك. واجعلني حسنة من حسناتك، ورحمة بين عبادك تهدي بها من تشاء **﴿إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (52) صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ (53)﴾** [الشورى: 52، 53].

اللهم اهدني لنورك وأعطني من فضلك، وامنعني من كل عدو هو لك ومن كل شيء يشغلني عنك، وهب لي لساناً لا يفتر عن ذكرك، وقلباً يسمع بالحق منك وروحاً يكرم بالنظر إليك، وسراً ممتعاً بحقائق قربك، وعقلاً خامداً بجلال عظمتك، وزين ما ظهر وما بطن مني بأنواع طاعتك يا سميع يا عليم يا عزيز يا حكيم.

اللهم كما خلقتني فاهدني وكما أمتني، فأحيني وكما أطعمتهم فأطعمني واسقني ومرضي لا يخفى عنك، فاشفني وقد أحاطت بي خطيئتي، فاغفر لي وهب لي علماً يوافق علمك، وحكماً يصادف حكمك واجعل لي لسان صدق بين عبادك واجعلني من ورثة جنتك، ونجني من النار وأدخلني الجنة حالاً ومالاً برحمتك وأرني وجه محمد نبيك، وارفع الحجاب فيما بيني وبينك واجعل مقامي عندك دائماً بين يديك وناظراً بك إليك وأسقط البين عني حتى لا يكون بين بيني وبينك، واكشف لي عن حقيقة الأمر كشفاً لا طلب بعده لعبدك مع المزيد المضمون بكريم وعدك **(إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (26))** [آل عمران: 26].

يا الله يا عزيز يا حكيم إنك قد أيدت من شئت بما شئت كيف شئت على ما شئت؟ فأيدنا بنصرك لخدمة أوليائك ووسع صدورنا لمعرفتك عند ملاقاة أعدائك واجلب لنا من رضيت عنه حتى نخضع له، ونذل كما جلبته لمحمد رسولك واصرف عنا كيد من سخطت عليه، كما صرفته عن إبراهيم خليلك وآتنا في الدنيا أجرنا بالعافية من أسباب النار، ومن ظلم كل جائر جبار وبسلامة قلوبنا من جميع الأغيار، وبغفلنا الدنيا وحبب لنا الدنيا وحبب لنا الآخرة واجعلنا فيها من الصالحين **(إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (26))**.

يا الله يا عظيم، يا سميع، يا عليم، يا بر، يا رحيم، عبدك قد أحاطت به خطيآته، وأنت العظيم، وندائي كأنه لا يسمع، وأنت السميع وقد عجزت عن سياسة نفسي، وأنت العليم وأني لي برحمتها، وأنت البر الرحيم. كيف يكون ذنبي عظيماً مع عظمتك أم كيف تجيب من لم يسألك، وتترك من سألك أم كيف أسوس نفسي بالبر، وضعفي لا يعزب عنك أم كيف أرحمها بشيء وخزائن الرحمة بيدك.

إلهي عظمتك ملأت قلوب أوليائك، فصغر لديهم كل شيء فاملأ قلبي بعظمتك حتى لا يصغر ولا يعظم لديه شيء، واسمع ندائي بخصائص اللطائف فإنك السميع من كل شيء.

إلهي ستر عني مكاني منك متى عصيتك، وأنا في قبضتك واجترحت ما اجترحت فكيف بالاعتذار إليك.

إلهي معصيتك نادتني بالطاعة وطاعتك نادتني بالمعصية، ففي أيهما أخافك وفي أيهما أرجوك. إن قلت بالمعصية قابلتني بفضلك، فلم تدع لي خوفاً وإن قلت بالطاعة قابلتني بعدلك فلم تدع لي رجاء، فليت شعري كيف أرى إحساني مع إحسانك، أم كيف أجهل فضلك مع عصيانك.

(ق. ح) سران من سرك وكلاهما دالان على غيرك، باقياً للسر الجامع الدال عليك لا تدعني لغيرك **(إنك على كل شيء قدير)**.

يا الله، يا فتاح، يا غفار، يا منعم، يا هادي، يا ناصر، يا عزيز هب لي من نور أسمائك ما أتحقق به حقائق ذاتك، وافتح لي واغفر وأنعم علي، واهدني وانصرني وأعزني يا معز يا مذل ولا تذلني بتدبير مالك، ولا تشغلني عنك بما لك، فالكل كلك والأمر أمرك والسر سرك عدمي وجودي، ووجودي عدمي، فالحق حقك والجعل جعلك، ولا إله غيرك وأنت الحق المبين يا عالم السر

وأخفي يا ذا الكرم والوفا علمك قد أحافظ بعبدك، وقد شقى في طلبك فكيف لا يشقى من طلبك غيرك، تلطفت بي حتى علمت أن طلبي لك جهل وطلبي لغيرك كفر، فأجرني من الجهل واعصمني من الكفر يا قريب أنت القريب، وأنا البعيد قربك آيسني من غيرك وبعدي عنك ردني للطلب لك فكن لي بفضلك حتى تمحو طلبي بطلبك يا قوي يا عزيز **(إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (26)).**

اللهم لا تعذبنا بإرادتنا وحب شهواتنا، فنشتغل أو نحجب أو نفرح بوجود مرادنا، أو نحزن أو نسخط أو نسلم تسليم النفاق عند الفقد، وأنت أعلم بقلوبنا فارحمنا بالنعيم الأكبر والمزيد الأفضل والنور الأكمل، وغيبنا وغيب عنا كل شيء وأشهدنا إياك بالأشهاد، وانصرنا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الإشهاد يا الله يا قدير يا مريد يا عزيز يا حكيم يا حميد، إن نسألك بالقدرة العظمى والمشيئة العليا وبالآيات والأسماء كلها، وبهذا العظيم منها أن تسخر لنا هذا البحر، وكل بحر هو لك في الأرض والسماء والملك والملكوت، كما سخرت البحر لموسى وسخرت النار لإبراهيم وسخرت الجبال والحديد لداود، وسخرت الريح والشياطين والجن لسليمان، سخر لنا كل شيء يا من بيده ملكوت كل شيء، وهو يجير ولا يجار عليه، يا علي يا عظيم يا حليم يا عليم. (احون- قاف- حم- هاء) آمين. وصل الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وسلم.

حزب الشيخ أبي الحسن الشاذلي
رضي الله تعالى عنه

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ (1) الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (2) الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ (3) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (4) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (5) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (6) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (7)) [الفاتحة1-7] آمين.

(اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۖ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ (255)) [البقرة:255].

(آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (285) لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۖ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ۚ أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (286)) [البقرة:285-286].

((1) اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ (2) نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ (3) مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ ۗ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ (4) إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ (5) هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (6)) [آل عمران:1- 4].

) قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ ۖ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (26) تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (27)) [آل عمران:27،26].

(الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (78) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (79) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (80) وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ (81) وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ (82) رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (83) وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ (84) وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ (85) اغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ (86) وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ (87) يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (88) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (89) وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ (90) وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ (91)) [الشعراء: 78-91].

(سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (1) لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (2) هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (3) هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (4) لَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (5) يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ۚ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (6)) [الحديد:1- 6].

(هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (23) هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (24)) [الحشر:23- 24].

(وَالضُّحَىٰ (1) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ (2) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ (3) وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ(4) وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ (5) أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ (6) وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ (7) وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ (8) فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ (9) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ (10) وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (11)) [الضحى:1- 11].

(أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ(1) وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ (2) الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ (3) وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ (4) فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (5) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (6) فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ (7) وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب (8)) [الشرح: 1- 8].

(۞ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ۚ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ۚ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (111)) [التوبة111].

(التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (112)) [التوبة 112].

(قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (1) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (2) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (3) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (4) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (5) إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (6) فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (7) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (8) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (9) أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (10) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (11)) [المؤمنون: 1- 11].

(إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ

وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا) [الأحزاب: 35].

(۞إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (19) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (20) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا (21) إِلَّا الْمُصَلِّينَ (22) الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ (23) وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ(24) لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ(25) وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ (26) وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ (27) إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ (28) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (29) إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ(30) فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (31) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (32) وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ (33) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (34) أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ (35)) [المعارج: 19- 35].

اللهم إن نسألك صحبة الخوف وغلبة الشوق وثبات العلم ودوام الفكر.

ونسألك سر الأسرار المانع من الإصرار حتى لا يكون لنا مع الذنب أو العيب قرار، واجتنبنا واهدنا إلى العمل بهذه الكلمات التي بسطتها لنا على لسان رسولك، وابتليت بهن إبراهيم خليلك فأتمهن.

(**قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا**) [البقرة: 124].

(قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي) [البقرة: 124].

(قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ) [البقرة: 124].

فاجعلنا من المحسنين من ذريته ومن ذرية آدم ونوح، واسلك بنا سبيل أئمة المتقين.

"بسم الله وبالله ومن الله وإلى الله وعلى الله فليتوكل المتوكلون".

حسبي **الله** آمنت **بالله**، رضيت **بالله**، توكلت على **الله**، ولا قوة إلا **بالله**، أشهد ألا إله إلا **الله** وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، رب اغفر لي وللمؤمنين والمؤمنات.

و **(الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (2) الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ (3) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (4) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (5) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (6) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (7))** [الفاتحة1-7].

قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى

رب إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً، فاغفر لي وتب علي. لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين.

يا الله، يا علي، يا عظيم، يا حليم، يا عليم، يا سميع، يا بصير، يا مريد، يا قدير، يا حي، يا قيوم، يا رحمن، يا رحيم، يا من هو هو، يا هو، يا أول، يا آخر، يا ظاهر، يا باطن تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام.

اللهم صلني باسمك العظيم الذي لا يضر معه شيء في الأرض، ولا في السماء، وهب لي منه سراً لا تضر معه الذنوب شيئاً، واجعل لي منه وجهاً تقضي به الحوائج للقلب والعقل والروح والسر والنفس والبدن، ووجهاً ترفع به الحوائج من القلب والعقل والسر والروح والبدن والنفس وأدرج أسمائي تحت أسمائك، وصفاتي تحت صفاتك، وأفعالي تحت أفعالك، درج السلامة وإسقاط الملامة وتنزل الكرامة، وظهور الإمامة وكمل لي ما ابتليت به أئمة الهدى من كلماتك وأغنني حتى تغني بي، وأحيني حتى تحيي بي ما شئت ومن شئت من عبادك، واجعلني خزانة الأربعين ومن خلاصة المتقين واغفر لي فإنه لا ينال عهدك الظالمين.

"طس- حم- عسق". **(مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ (19) بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ (20))** [الرحمن: 19،20].

(الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (2) الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ (3) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (4) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (5) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (6) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (7)) [الفاتحة1-7].

(قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (1) اللَّهُ الصَّمَدُ (2) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (3) وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ (4)) [الإخلاص: 1- 4] (ثلاث).

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

فصل في دعاء الشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله تعالى عنه

ومن دعائه رضي الله عنه:

يا الله، يا فتاح، يا عليم، يا غني، يا كريم، افتح قلبي بنورك، وارحمني بطاعتك، واحجبني عن معصيتك، وامنن عليّ بمعرفتك، واغنني بقدرتك عن قدرتي، وبعلمك عن علمي، وبإرادتك عن إرادتي، وبحياتك عن حياتي، وبصفاتك عن صفاتي، وبوجودي عن وجودك، وبدنوك عن دنوي، وبقربك عن قربي، وبحبك عن حبي، وبصدقك عن صدقي، وبحفظك عن حفظي، وبنظرك عن نظري، وبتدبيرك عن تدبيري، وباختيارك عن اختياري، وبحولك وقوتك عن حولي وقوتي، وبجودك وكرمك وفضلك ورحمتك عن علمي وعملي، إنك على كل شيء قدير.

اللهم إن الدنيا حقيرة، حقير ما فيها وأن الآخرة كريمة كريم ما فيها.

وأنت الذي حقرت الحقير وكرَّمت الكريم، فأنَّى يكون كريماً من طلب غيرك أم كيف يكون زاهداً من اختار لدنياه غيرك.

فحققني بحقائق الزهد حتى أستغني بك عن طلب غيرك، وبمعرفتك حتى لا أحتاج إلى طلبك. إلهي كيف يصل إليك من طلبك أم كيف يفوتك من هرب منك، فاطلبني برحمتك، ولا تطلبني بنقمتك، يا عزيز يا منتقم، إنك على كل شيء قدير.

وقال رضي الله عنه: **اللهم** اسلبني عقلاً يحجبني عنك وعن فهم آياتك، وعن فهم كلام رسولك وهب لي من العقل الذي خصصت به أنبياءك ورسولك، والصديقين من عبادك واهدني بنورك هداية المخصصين بمشيئتك، ووسع لي في النور توسعة كاملة تخصني بها برحمك، فإن الهدى هداك وأن الفضل بيدك تؤتيه من تشاء وأنت ذو الفضل العظيم.

وقال رضي الله عنه: يا عزيز، يا رحيم، يا حكيم، يا غني، يا كريم، يا واسع، يا عليم، يا ذا الفضل العظيم، اجعلني عندك دائماً، وبك قائماً، ومن غيرك سالماً، وفي حبك هائماً، وبعظمتك عالماً، وأسقط البين بيني وبينك حتى لا يكون شيء أقرب إليّ منك، ولا تحجبني بك عنك إنك على كل شيء قدير.

وقال رضي الله عنه: يا الله يا حميد يا مجيد، يا الله يا كريم يا بر يا رحيم، يا الله يا قوي يا متين، هب لي من رحمتك ما أحمدك به، فأكون من المؤمنين، وارزقني من لطائف العز ما أكون به قوياً متيناً حاملاً محمولاً في العالمين، وهب لي من كرمك ما أكون به براً تقياً من الصالحين، يا رحيم، يا لطيف، الطف بي لطفاً لا يدركه وهم الواهمين.

إلهي وجدتك رحيماً حيث لا أرجوك، فكيف لا أجدك ناصراً وأنا أرجوك، من لي إذا قطعتني؟ ومن لي إذا لم ترحمني؟ فصلني من حيث تعلم ولا أعلم إنك على كل شيء قدير.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

---

1 الأغيار: هم كل ما سوى الله تعالى أي المخلوقات جميعها ويعبر عنها أيضاً بالسوى والأكوان والحوادث والمخلوقات والسراب والخيال والآثار.

2 هي اعتبار الذات من حيث لا نسبة بينها وبين شيء أصلاً ولا شيء إلى الذات نسبة أصلاً. (لطائف الأعلام للشيخ عبد الرزاق القاشاني).
3 حضرة الهوية: هو باطن مفاتح الغيب/هوية الحق: غيبه الذي لا يمكن ظهوره ولكن باعتبار جملة الأسماء والصفات.... وهي مأخوذة من لفظة (هو) الذي للإشارة إلى الغائب وهي في حق الله تعالى إشارة إلى كنه ذاته باعتبار أسمائه وصفاته مع الفهم بغيبوبية ذلك (الإنسان الكامل للشيخ عبد الكريم الجيلي، الباب السادس والعشرون في الهوية).
4 التفرقة: شهود الأغيار **لله** عز وجل. (موسوعة الكسنزان).
5 الجمع: شهود الأغيار **بالله**. (موسوعة الكسنزان).
ويقول الشيخ عبد الغني النابلسي: الجمع شهود الوحدة في عين الكثرة ولا بقاء له إلا في غلبة الروحانية على الجسمانية، والفرق: شهود الكثرة في عين الوحدة وذلك من غلبة الجسمانية على الروحانية. (موسوعة الكسنزان).
6 التفريد: هو شهود الحق ولا شيء معه فيشهده منفرداً وذلك لفناء الشاهد في المشهود (لطائف الأعلام).
7 الطائل: الكثير، الغزير.
8 رواه ابن حبان في الصحيح، ذكر وصف العلماء الذين لهم الفضل الذي ذكرنا قبل، حديث رقم (88) ورواه أبو داود في سننه، باب الحث على طلب العلم، حديث رقم (3641) [3/317] ورواه غيرهما.
9 أهل مقام الإحسان مقام توحيد الشهود والعيان.
10 أهل مقام الإحسان مقام توحيد الشهود والعيان.
11 رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، ذكر أخبار سيد المرسلين..، حديث رقم (4189) [2/660] ورواه ابن حبان في الصحيح، ذكر الخبر المصرح بأن هذا القول إنما زجر عنه من أجل التفاخر..، حديث رقم (6242) [14/135] ورواه غيرهما.
12 رواه السيوطي في الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة 126، وابن عراق في تنزيه الشريعة 2/341، وأيضاً ابن تيمية في أحاديث القصاص 29، الفتني في تذكرة الموضوعات 86. ورواه العجلوني في كشف الخفاء 2/191. أيضاً علي القاري في الأسرار المرفوعة 271، 272.
13 رواه العجلوني في كشف الخفاء، 1/16. أيضاً السيوطي في الدر المنثور 6/301.
14 رواه الطبراني في المعجم الكبير 12/305.
15 رواه البخاري في صحيحه 9/179. ورواه مسلم في صحيحه أيضاً وابن أبي شيبة في الإيمان 326.
16 رواه الدارقطني في كتاب السنن 2/210.
17 رواه ابن حنبل في مسند ابن حنبل 6/58. أيضاً رواه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين 2/71.
18 أورده الصَغاني في الموضوعات برقم (24) [1/33] ونصه ونصه: "ذروني ما تركتكم وإني تركتكم على المحجة البيضاء النقية ليلها كنهارها إن تمسكتم بها لن تضلوا

بعدي؛ كتاب **الله** وعترتي واتباع أصحابي وسنتي".

19 رواه الهيثمي في معجم الزوائد 3/126، 10/241. والسيوطي في جمع الجوامع 4584، والطبراني في المعجم الكبير 10/192، وابن كثير في التفسير 7/439، وأيضاً الزبيدي في إتحاف السادة المتقين 7/140، 9/502. ورواه أبي نعيم في حلية الأولياء 2/280، 6/274. والسيوطي في الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة 521 أيضاً العجلوني في كشف الخفاء 1/343.

20 رواه أحمد بن حنبل 3/454، 456، 6/399.

21 رواه الواسطي في تاريخ واسط من طريق حمدون بن سلم بن برزخ الحذاء.

22 أخرجه البخاري في صحيحه 8/35. رواه الترمذي 2020. ورواه أحمد بن حنبل في المسند 2/175، 362، 466، 3/484، 5/34، 370، 372، 373. أيضاً البيهقي 10/105. أيضاً مستدرك الحاكم 3/615. ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه 8/345. أيضاً الهيثمي في موارد الظمآن 1971، 1972. ورواه ابن عبد البر في تجريد التمهيد 403. ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد 8/69، 70، 10/209. ورواه ابن حجر في المطالب العالية 2585، 2586. ورواه ابن عبد البر في التمهيد 7/245، 246، 248، 249، 250. ورواه البغوي في شرح السنة 13/159، ورواه الطبراني في المعجم الكبير 2/293، 7/97. ورواه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين 8/4، 5، 6، 620. ورواه المنذري في الترغيب والترهيب 3/445، 446، ورواه التبريزي في مشكاة المصابيح 5104 ورواه العراقي في المغني عن حمل الأسفار 3/161، 162، ورواه ابن سعد في الطبقات الكبرى 7/38، 39، ورواه البخاري في التاريخ الكبير 5/267، ورواه ابن حجر في فتح الباري 10/519 ورواه الذهبي في الطب النبوي 23 ورواه أبي نعيم في حلية الأولياء 6/234، 8/368 ورواه البغدادي في تاريخ بغداد 3/108، 14/425 وروي في الأذكار النووية 365 ورواه أبي نعيم في تاريخ أصبهان، 1/340.

23 رواه ابن ماجه في كتاب السنن 223، ورواه ابن حجر في تلخيص الحبير 3/164، ورواه الزبيدي في كتاب إتحاف السادة المتقين، 1/71، 338، 450 ورواه الهندي في كنز العمال 28679، وروي أيضاً في تفسير القرطبي 4/14، 13/164،، ورواه العراقي في حمل الأسفار 1/9 ورواه البخاري في التاريخ الكبير 337 ورواه الفتني في تذكرة الموضوعات 20 ورواه العجلوني في كشف الخفاء 2/22، 83 رواه السهمي في تاريخ جرجان 336 ورواه ابن حجر في الكاف الشاف في تخريج أحاديث الكشاف 124، ورواه السيوطي في الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة 114، ورواه علي القاري في الأسرار المرفوعة 230/247.

24 رواه ابن ماجه في كتاب السنن 223، ورواه ابن حجر في تلخيص الحبير 3/164، ورواه الزبيدي في كتاب إتحاف السادة المتقين، 1/71، 338، 450 ورواه الهندي في كنز العمال 28679، وروي أيضاً في تفسير القرطبي 4/14، 13/164،، ورواه العراقي في حمل الأسفار 1/9 ورواه البخاري في التاريخ الكبير 337 ورواه الفتني في تذكرة الموضوعات 20 ورواه العجلوني في كشف الخفاء 2/22، 83 رواه السهمي في تاريخ

جرجان 336 ورواه ابن حجر في الكاف الشاف في تخريج أحاديث الكشاف 124، ورواه السيوطي في الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة 114، ورواه علي القاري في الأسرار المرفوعة 230/247.

25 ورواه الفتني في تذكرة الموضوعات 20 ورواه علي القاري في الأسرار المرفوعة 274 ورواه العجلوني في كشف الخفاء 2/83 ورواه الشوكاني في الفوائد المجموعة 886 ورواه السيوطي في الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة 113.

26 رواه البخاري 5/69 ورواه البيهقي في السنن الكبرى 8/197، ورواه العجلوني في كشف الخفاء 2/65 والشوكاني في الفوائد المجموعة 212.

27 أورده الكندي في السلوك في طبقات العلماء والملوك [1/262].

28** أورده السيوطي في الدر المنثور وعزاه إلى ابن عساكر عن ابن عباس ورواه بنحوه الحاكم في المستدرك، كتاب الأدب، حديث رقم (7707) [4/301] ورواه غيره.

29 رواه الخطيب البغدادي في شرف أصحاب الحديث 47.

30*** رواه الطبراني الأوسط، من اسمه سيف، حديث رقم (3660) [4/78] ورواه القضاعي في المسند، حديث رقم (1349) [2/276] ورواه غيرهما.

31 رواه الطبراني في المعجم الكبير 11/375، الهيثمي في جميع الزوائد، 1/117 وابن سعد في الطبقات الكبرى 3/1/8، الزبيدي في إتحاف السادة المتقين 6/300، 10/351، السيوطي الدر المنثور 2/245، 3/283 وابن كثير في التفسير 4/159، والبخاري في التاريخ الكبير 8/335.

32* جَلَقَ الشيء: كشفه/جلق رأسه: حلقه/جلق فمه عند الضحك: فتحه.

33** قنواناً: القناء العذق وهو من النخل كالعنقود من العنب.

34*** شمراخ: العنقود عليه عنب/غصن دقيق ينبت في أعلى الغصن الغليظ.

35. رواه المتقي الهندي في كنز العمال 30243.

36 رواه الطبراني في المعجم الكبير 6/248. ابن كثير في التفسير 8/143، السيوطي في الدر المنثور 6/215 والمتقي الهندي في كنز العمال 34572 وابن أبي عاصم في السنة 1/134.

37 رواه ابن حجر في لسان الميزان 6/111.

38 هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

39 رواه القضاعي في المسند برقم (584) [1/340] ورواه ابن أبي شيبة في المصنف حديث رقم (29271) [6/34].

40 رواه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين 10/571.

41 رواه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين 8/477.

42 رواه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين 9/569.

43 رواه ابن حجر في فتح الباري 13/227، رواه ابن أبي حاتم الرازي في علل الحديث 2855.

44 رواه ابن أبي عاصم في كتاب السنة، 1/251.

45 رواه الترمذي في السنن 2206، رواه المنذري في الترغيب والترهيب 4/250، ورواه المتقي الهندي في كنز العمال 43564، أيضاً رواه السيوطي في الدر المنثور 6/137، أيضاً رواه ابن عدي في الكامل في الضعفاء 6/2434.
46 رواه أبو داود في سننه 1368، أيضاً رواه النسائي في سننه (المجتبى) 2/68.
47 رواه البخاري في صحيح البخاري 8/122، أيضاً رواه أحمد بن حنبل في مسنده 2/514، 537. ورواه البيهقي في السنن الكبرى 3/18. أيضاً رواه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين 9/97. ورواه ابن حجر في فتح الباري 11/294.
48 رواه البيهقي في السنن الكبرى 3/18، 19. أيضاً رواه ابن المبارك في الزهد 415. ورواه الهندي في كنز العمال 5377، 5378، 5379. أيضاً رواه ابن عبد البر في التمهيد، 1/195. ورواه العراقي في المغني عن حمل الأسفار 4/77. أيضاً رواه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين 4/462، 6/368. ورواه البستي في العزلة 97. أيضاً رواه الشهاب في مسند 1147 - 1148.
49 رواه الزبيدي في إتحاف السادة المقتين 5/161. أيضاً رواه ابن ماجة في سننه 2/27.
50 رواه القرطبي في التفسير 17/230.
51 رواه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين 7/234.
52 رواه النسائي في سنن المجتبي 6/3. ورواه أحمد بن حنبل في مسند 2/264، 268، 314، 396، 412، 455، 501. أيضاً رواه الهيثمي في مجمع الزوائد 1/260، 8/258. ورواه الحميدي في مسند 5/945.
53 رواه ابن حبيب في مسند الربيع 1/91، أيضاً رواه الزبيدي في إتحاف السادة المتقيـن 5/245، 6/175، ورواه ابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق 7/208.
54 رواه ابن أبي شيبة في الإيمان 115، ورواه العجلوني في كشف الخفاء 2/208.
55 رواه المنذري في الترغيب والترهيب 3/162، ورواه السيوطي في الدر المنثور 1/269، أيضاً رواه ابن حجر في فتح الباري 11/108.
56 رواه الترمذي في سننه 3127، أيضاً رواه أبي حنيفة في مسند 1/ 189، ورواه أبي نعيم في حلية الأولياء 4 / 6.94 / 188، أيضاً رواه الطبراني في المعجم الكبير 8 / 121، ورواه البغوي في السنة 14 / 31.
أيضاً رواه ابن كثير في التفسير 1 / 479. 4 / 461، ورواه الزبيـدي في إتحــاف السادة المتقييـن 6 / 544، 7/ 259، ورواه ابن حجر في فتح الباري 12 / 388، ورواه الهندي في كنز العمال 30730، ورواه ابن حجر في لسان الميزان 5 / 1154، وأيضاً عيسى الحلبي في ميزان الاعتدال 8098، ورواه أيضاً الشوكاني في الفوائد المجموعة 243، ورواه أيضاً ابن عراق في تنزيــه الشريعــة 2 / 305، ورواه العجلوني في كشف الخفاء 1/ 24، أيضاً رواه السيوطي في الدر المنثور 4 / 103، ورواه العقيلي في الضعفاء 4/ 129.
57 رواه مسلم ابن الحجاج في صحيح مسلم وعيسى الحلبي في الأذكار النووية 13/44، 45، 47، وابن حنبل أحمد في مسند 5/156. والطبراني في المعجم الكبير 19/421، والهيثمي في مجمع الزوائد 10/98، والبغوي في شرح السنة 5/68، والزبيدي في إتحاف

السادة المتقين 9/466، وابن حجر في المطالب العالية 3439، والسيوطي في الدر المنثور 1/353، 4/233، وابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق 4/435، وابن عدي في الكامل في الضعفاء 1/171، وابن الجوزي في العلل المتناهية 2/349، والعقيلي في الضعفاء 2/200.

58 حميثرة: وادي وجبل بصحراء عيذاب به ضريح الإمام أبي الحسن الشاذلي: يزوره مئات الآلاف من أهل صعيد مصر في يوم عرفة ممن لا يستطيعون القيام بفرض الحج ويقع وادي حميثرة على طريق أسوان– برنيس. (ويكبيديا– الموسوعة الحرة).

59 هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

60 البندر: مرسى السفن في الميناء (فارسي معرب) ويطلق الآن على البلد الكبير يتبعه بعض القرى.

61 رواه مسلم ابن الحجاج في صحيح مسلم وعيسى الحلبي في الأذكار النووية 41، وأبي داود في السنن 1515، وأحمد بن حنبل في مسند 4/211، 260. والبيهقي في السنن الكبرى 7/92، والطبراني في المعجم الكبير 1/28، والتبريزي في مشكاة المصابيح 2324، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين 5/75، 8/299، 517، 9/95، 628. والبخاري في التاريخ الكبير 2/43. والبغوي في شرح السنة 6/180، والسيوطي في الدار المنثور 6/63، وابن حجر في فتح الباري 11/110، والهندي في كنز العمال 207.

62 الجُذَير: بناء عضوي دقيق بالشَّعر في صورته.

63 أورده ابن كثير في البداية والنهاية [6/263] وأورده علي الحلبي في السيرة الحلبية، [2/58] وأورده غيرهما.

64 رواه البيهقي في السنن الكبرى 4/96، 6/39، 7/7، والدارقطني في سننه 2/136، و5/4 و55. والزيلعي في نصب الراية 2/398، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين 7/453، 10/95، والبغوي في شرح السنة 3/114.

65 رواه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين 9/554، وابن كثير في البداية والنهاية 11/58، 12/13، المتقي الهندي في كنز العمال 44102، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد 4/277، 11/94، أبي نعيم في حلية الأولياء 4/121، وعلي القاري في الأسرار المرفوعة 170، والسيوطي الحلبي في الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة 67، والفتني في تذكرة الموضوعات 68، والشوكاني في الفوائد المجموعة 82، العجلوني في كشف الخفاء 1/395 وابن أبي حاتم الرازي في علل الحديث 2523، والألباني في السلسلة الضعيفة 600، وابن عدي في الكامل في الضعفاء 2/701.

66 رواه ابن أبي شيبة في مصنفه 14/ 292، وأبي نعيم في دلائل النبوة 1/69، والسيوطي في الدر المنثور 6/368.

67 أورده المتقي الهندي في كنز العمال، حديث رقم (3086) [2/24] وعزاه إلى الطبراني عن ابن مسعود ونصه: "أنزل القرآن على سبعة أحرف لكل حرف منها ظهر وبطن ولكل حرف حد ومطلع".

68 رواه البخاري في صحيحه 1/168، 2/138، 8/126، ومسلم ابن الحجاج في صحيح مسلم 3 رقم 91، والترمذي في سننه2391، والمجتبي في سنن النسائي 8/222، وأحمد

بن حنبل في مسنده 2:439، وابن عبد البر في التمهيد 2/280، 281. وابن خزيمة في صحيحه 358، والبغوي في شرح السنة 2/354، والمنذري في الترغيب والترهيب 1/217، وابن حجر في فتح الباري 2/143، 12/112، وابن المبارك في الزهد 473، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين 4/112، 7/5، 6/175، 9/214، وابن حجر في تلخيص الجبر 3/115، والتبريزي في مشكاة المصابيح 701، وابن الجوزي في زاد المسير 1/325، وابن عبد البر في تجريد التمهيد 48، والبغوي في شرح السنة 293، ابن حبيب في مسند الربيع 1/15، 53، 69، والبيهقي في الأسماء والصفات 371، وابن كثير في تفسيره 1/477، 4/313، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار 1/296، 2/157، 3/101، 287، وابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق 1/452، 6/250، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد 12/239، والبغوي في شرح السنة 2/354.

69 رواه مسلم ابن الحجاج في صحيح مسلم 1 رقم 1. والترمذي في السنن 3517، وأحمد بن حنبل في مسنده 5/342. والدارمي في السنن 1/167. والبيهقي في السنن الكبرى 1/42، والهيثمي في موارد الظمآن 261، 2336، 2553، والسيوطي في الدر المنثور 1/12، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين 2/304، 5/15.

70 رواه البيهقي في مجمع الزوائد 10/308، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين 10/277.

71 رواه عبد الرزاق في مصنف 1659 و16620، وأحمد بن حنبل في مسند 4/399.

72 رواه أحمد بن حنبل في مسند 1/359.

73 رواه الطبراني في المعجم الكبير 3/302، وابن أبي شيبة في مصنف 11/43، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين 9/327، والسيوطي في الدر المنثور 3/162، والهندي في كنز العمال 36988، 36989، 36991، وابن كثير في التفسير 3/552، وابن أبي شيبة في الإيمان 115، وابن القيسراني في تذكرة الموضوعات 604.

74 رواه ابن أبي شيبة في الإيمان 115، والعجلوني في كشف الخفاء 2/208.

75 رواه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين 2/238، والسيوطي في الدر المنثور 3/163، وابن أبي شيبة في الإيمان 114 – 115 والشجرى في أمالي 1/32. وابن كثير في التفسير 3/553، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار 4/215، وأبي نعيم في حلية الأولياء 1/242.

76 رواه ابن أبي شيبة في مصنف 11/43، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين 9/327، والمتقي الهندي في كنز العمال 36990 وابن أبي شيبة في الإيمان 115.

77 رواه مسلم ابن الحجاج في صحيح مسلم وابن شيبة في الإيمان 10 رقم 52 وابن حجر في فتح الباري 1/228، والألباني في السلسلة الصحيحة 3/298.

78 رواه مسلم ابن الحجاج في الصلاة بـ 7 رقم 13، وأحمد بن حنبل في مسند 1/181.

79 رواه مسلم ابن الحجاج وابن شيبة في الإيمان 67، والمجتبي في سنن النسائي 8/94 وأحمد ابن حنبل في مسند 3/103، 174، 230، والهيثمي في موارد الظمآن 285، وعبد الرزاق في مصنف 20320، والهيثمي في مجمع الزوائد 1/55، والمتقي الهندي في كنز

العمال 43212، والمنذري في الترغيب والترهيب 5/547، وأبي نعيم في حلية الأولياء 1/27، 2/288، وابن كثير في التفسير 3/583.

80 رواه الطبراني في المعجم الكبير 17/304، والهيثمي في مجمع الزوائد 2/245، وابن حجر في فتح الباري 13/227، ابن أبي حاتم الرازي في علل الحديث 2855.

81 رواه الترمذي في السنن 3677 - 3695، والقرطبي في التفسير 16/66.

82 رواه العجلوني في كشف الخفاء 1/493، والسيوطي الحلبي في الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة 85.

83 رواه القرطبي في التفسير 19/220.

84 رواه الهيثمي في مجمع الزوائد 10/246، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين 8/82، والطبراني في المعجم الكبير 19/350، والمتقي الهندي في كنز العمال 6075، والبغوي في شرح السنة 8/12، والمنذري في الترغيب والترهيب 4/162، والبخاري في التاريخ الكبير 5/45، وأبي نعيم في حلية الأولياء 2/64، والعجلوني في كشف الخفاء 1/492.

85 رواه الحاكم في مستدرك 4/311، والمتقي الهندي في كنز العمال 302، والسيوطي في جمع الجوامع 2995، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين 1/425، 10/255، والتبريزي في مشكاة المصابيح 5228.

86 رواه ابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق 5/14.

87 رواه مسلم ابن الحجاج في صحيح مسلم (التوبة) 12. والزبيدي في إتحاف السادة المتقين 9/216، وابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق 5/14.

88 هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

89 رواه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين 9/284، وأبي نعيم في حلية الأولياء 1/226.

90 رواه مسلم بن الحجاج في صحيح مسلم 3 ورقم 12، والهيثمي في مجمع الزوائد 10/308، والمتقي الهندي في كنز العمال 10370، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين 9/216، والبغوي في شرح السنة 1/167، والألباني في السلسلة الصحيحة 1965، وابن عساكر في تهذيب دمشق 5/14.

91 رواه الحاكم في المستدرك 2/604، وحمزاوي في مناهل الصفا 4، والفارابي في الشفا للقاضي عياض 1/90، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين 7/572، والمتقي الهندي في كنز العمال 32040، 33682، والخطابي في إصلاح خطأ المحدثين 29.

92 رواه مسلم بن الحجاج في صحيح مسلم في الزهد والمقدمة 1. والترمذي في سننه 2324، وابن ماجة في سننه 4113، وأحمد بن حنبل في مسنده 2/197، والحاكم في المستدرك 3/604، 4/315، والهيثمي في مجمع الزوائد 10/288، 289، والطبراني في المعجم الكبير 6/298، والبغوي في شرح السنة 14/296، 297. والزبيدي في إتحاف السادة المتقين 7/412، 8/80، 393، 9/141، 10/227. والهيثمي في موارد الظمآن 2488، والمنذري في الترغيب والترهيب 3/137، والسيوطي في الدر المنثور 3/238، والتبريزي في مشكاة المصابيح 5158، 5249. والمتقي الهندي في كنز العمال 6081، 6082، 29261. والقرطبي في تفسيره 16/88، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار 3/197، 4/127، وابن المبارك في الزهد 212. والشجري في أمالي 2/161، 163،

192، وأبي نعيم في حلية الأولياء 8/177، 185. وابن حجر في المطالب العالية 3171، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد 6/104، 12/340، وابن عدي في الكامل في الضعفاء 3/889، 4/1638، والسيوطي الحلبي في الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة 83، وعلي القاري في الأسرار المرفوعة 366، وابن أبي حاتم الرازي في علل الحديث 1917.
93 روه الشهاب في مسنده 1160، 1161. وابن كثير في التفسير 5/381، والبغوي في شرح السنة 13/213، والتبريزي في مشكاة المصابيح 2800، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين 7/162، وابن كثير في البداية والنهاية 6/299، والسيوطي في الدر المنثور 4/342، والبيهقي في دلائل النبوة 1/158، والآجري في الشريعة 458، وابن سعد في الطبقات الكبرى 1/128، وابن أبي شيبة في مصنفه 11/504، وابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق 1/66، وعيسى الحلبي في ميزان الاعتدال 7211، وابن حجر في لسان 5/233، وابن عدي في الكامل في الضعفاء 4/1546.
94 رواه أحمد بن حنبل في مسند 1/137، والهيثمي في مجمع الزوائد 3/41، 125، 10/240، 241. والطبراني في المعجم الكبير 8/148. والهيثمي في موارد الظمآن 2481، وعبد الرزاق في مصنف 1649، وابن شيبة في مصنف 3/372، والدولابي في الكنى والأسماء 1/164. والسيوطي في الدر المنثور 2/57، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين 9/905، والشجيري في أمالي 2/205، 213. وابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق 4/271.
95 رواه الترمذي في سننه 1209، والدارمي في سننه 2/247. والسيوطي في الدر المنثور 2/144، والمتقي الهندي في كنز العمال 9217، والسيوطي في جمع الجوامع 10351، والتبريزي في مشكاة المصابيح 2796، 2797، والمنذري في الترغيب والترهيب 2/585، والبغوي في شرح السنة 8/4، والقرطبي في التفسير 5/156، والهيثمي في الفتاوى الحديثية 44، وابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق 2/63، وابن القيسراني في تذكرة الموضوعات 1054، والدارقطني في سننه 3/7، وابن أبي حاتم الرازي في علل الحديث 1156.
96 أورده السيوطي في الدر المنثور وعزاه إلى أحمد في الزهد عن عمر بن الخطاب، [7/565].
97 وفي نسخة [الأسر].
98 رواه المتقي الهندي في كنز العمال 29263.
99 أورده السيوطي في الدر المنثور وعزاه إلى البغوي في معجمه وابن أبي حاتم وابن قانع والطبراني وابن مردويه والبيهقي عن سخبرة [3/310].
100 رواه مسلم بن الحجاج في صحيح مسلم 232، وابن ماجه 3986، 3988، والطحاوي في مشكل الآثار 1/298. والشهاب في مسنده 1054. والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد 3/272، 11/307، 12/257. والقرطبي في التفسير 4/172، 8/1181، والهيثمي في مجمع الزوائد 7/278، والسهمي في تاريخ جرجان 217، وابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق 1/39، وأبي عوانة في المسند 1/102، والتبريزي في مشكاة

المصابيح 159. وابن تيمية في أحاديث القصاص 59. والزبيدي في إتحاف السادة المتقين 1/265، والمتقي الهندي في كنز العمال 1201، وأبو عوانة في المسند 21/102. وابن حجر في فتح الباري 7/7. وابن عدي في الكامل في الضعفاء 3/1130، والسيوطي الحلبي في الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة 57.

101 ذمل البعير: سار سيرا سريعا لينا.

102 مطبوعة في الدار بعنايتنا وثلاثين حكمة منها بشرحنا.

103 كتاب التنوير في إسقاط التدبير مطبوع في الدار.

104 قال في تاج العروس: وقال أبو عمرو: كانت بر بعيص وميسرا وقعة قديمة وقد سألت عنها من لقيت من العلماء فما أخبرني أحد عنها بشيء [1/440].

105 وفي نسخة [ملاقاة] بدل [مقاساة].

106 رواه مسلم بن الحجاج في صحيح مسلم 1383، 1384، وأحمد بن حنبل في مسند 1/32، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين 9/228، والقرطبي في التفسير 16/263، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار 4/168، وابن حجر في فتح الباري 7/1289، والمتقي الهندي في كنز العمال 2990، 29939، 30012، وعلي القاري في الأسرار المرفوعة 444.

107 رواه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين 1/324.

108 رواه العجلوني في كشف الخفاء،1/354،

109 أخرجه البخاري في صحيحه 2/63، 6/169، 7/124، ومسلم بن حجاج في صفات المنافقين 79، 80،81. والترمذي في السنن 412. والمجتبي في سنن النسائي 3/219. وابن ماجه في سننه 1419، 1420. واحمد بن حنبل في مسنده 4/251، 255، 6/115، والبيهقي في السنن الكبرى 2/497، 3/16، 7/39، والطبراني في المعجم الصغير،1/71، 118، وابن خزيمة في صحيحه 1182، 1183، 1184، والهيثمي في مجمع الزوائد 2/271، وابن حجر في المطالب العالية 529. والمنذر في الترغيب والترهيب،1/26، 2/373، وأبي نعيم في حلية الأولياء 7/250، 8/289، والبغوي في شرح السنة 4/174، 7/387، والساعاتي في بدائع المنن 316، 317. وابن حجر في فتح الباري 8/584، 9/105، 11/303. والبغوي في شرح السنة 4/45. والتبريزي في مشكاة المصابيح 1220. وعيسى الحلبي في ميزان الاعتدال 4731. وابن حيان في المجروحين،1/161، 2/31. والزبيدي في إتحاف السادة المتقين 5/185، 186، 7/78. والعراقي في المغني عن حمل الأسفار 4/87، 85. والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد 4/ 331، 7/197، 265، 14/101، 306. والقاضيب عياش في الشفا،1/465، 2/251، 391، 9/47، 59. وأحمد بن حنبل في الزهد 17، 92. وابن مبارك في الزهد 36. وحمزاوي في مناهل الصفا 26. والترمذي في الشمائل 140. والسيوطي في الدر المنثور 2/111، 6/70. والمتقي الهندي في كنز العمال 18580، 18581. وابن عبد البر في التمهيد 6/224، وابن أبي شيبة في مصنف 13/232.

110 أخرجه عيسى الحلبي في ميزان الاعتدال 4493. وابن السني في عمل اليوم والليلة 39. والهيثمي في موارد الظمآن 2361. والسيوطي في الدر المنثور 1/154.

111 رواه البيهقي في دلائل النبوة، 1/417.
112 رواه الهيثمي في مجمع الزوائد، 1/42. والدولابي في الكنى والأسماء، 1/46.
113 أخرجه أبي داود في سنن 4941. والترمذي في سننه 1924. وأحمد بن حنبل في مسنده 2/160. والبيهقي في السنن الكبرى 9/41. والحاكم في المستدرك 4/159. والمنذري في الترغيب والترهيب 3/202. والتبريزي في مشكاة المصابيح 4969. والسيوطي في الدر المنثور 6/65. وابن حجر في فتح الباري 13/359. وابن أبي شيبة في مصنفه 8/338. والحميدي في مسنده 591. والبيهقي في الأسماء والصفات 423. وحمزاوي في مناهل الصفا 36. والبخاري في التاريخ الكبير 9/64. والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد 3/260، 438. والعجلوني في كشف الخفاء، 1/525. والمتقي الهندي في كنز العمال 5969.
114 التوباد: اسم جبل في المملكة العربية السعودية جنوب مدينة الرياض.